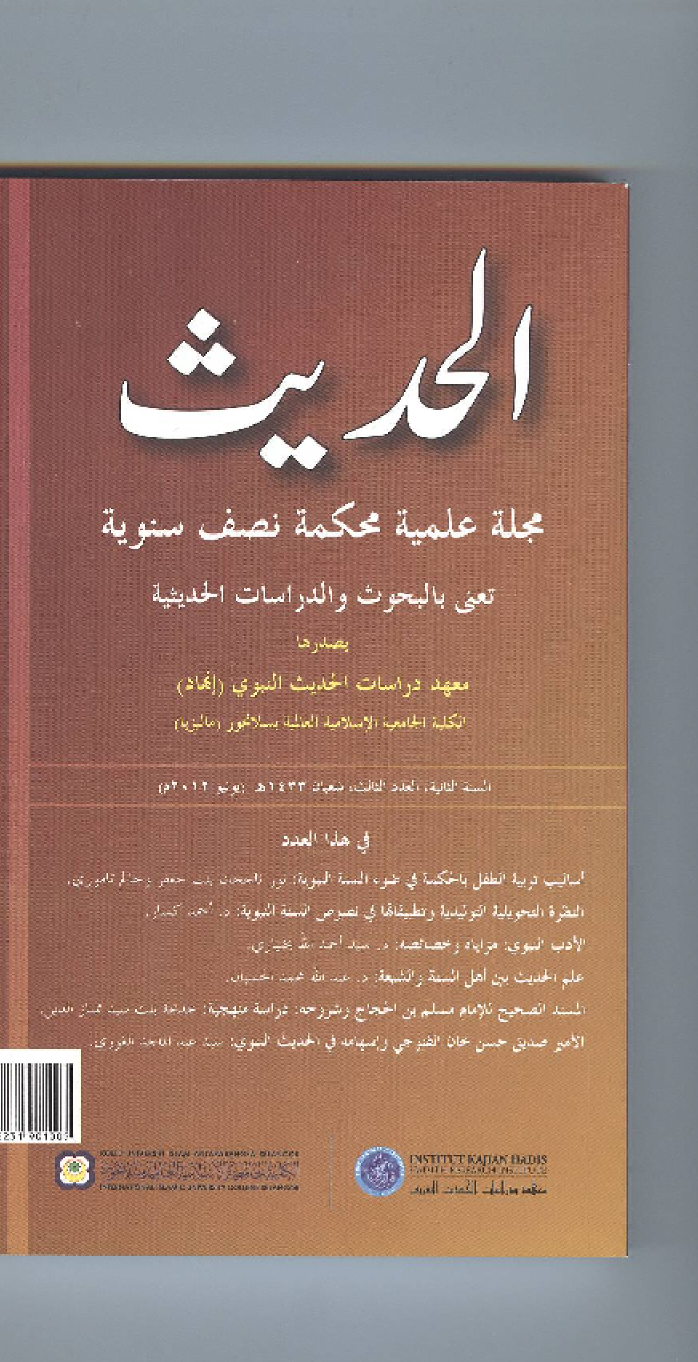

الحديث
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تعنى بالبحوث والدراسات الحديثية
يصدرها
معهد دراسات الحديث النبوي (إنهاد)
الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسلانجور (ماليزيا)
السنة الثانية، العدد الثالث، شعبان ١٤٣٣هـ (يونيو ٢٠١٢م)
في هذا العدد
أساليب تربية الطفل بالحكمة في ضوء السنة النبوية
النظرة التحويلية التوليدية وتطبيقاتها في نصوص السنة النبوية
الأدب النبوي: مزاياه وخصائصه
علم الحديث بين أهل السنة والشيعة
المسند الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج وشروحه: دراسة منهجية
الأمير صديق حسن خان القنوجي وإسهامه في الحديث النبوي
INSTITUT KAJIAN HADIS





مجلة علمية محكمة نصف سنوية

تعنى بالبحوث والدراسات الحديثية

يصدرها

معهد دراسات الحديث النبوي (إنهاد)

الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسلانجور (ماليزيا)

السنة الثانية، العدد الثالث، شعبان ١٤٣٣هـ (يونيو ٢٠١٢م)

في هذا العدد

شروط النشر بالمجلة

تعنى مجلة "الحديث" بنشر البحوث والدراسات المتعلقة بالحديث وعلومه، وهي مجلة نصف سنوية تصدر مرتين في السنة في كل من شهرَي **يونيو** و**ديسمبر**، وللراغبين في النشر بالمجلة تسليم أبحاثهم العلمية، قبل شهرين – على الأقل– من موعد إصدار المجلة، وذلك وفق الشروط التالية:

١) أن يكون البحث في إطار السنة وعلومها فقط.
٢) أن يتسم البحث بالأصالة والجدة والمنهجية العلمية.
٣) أن يلتزم البحث بالمحافظة على العقيدة الإسلامية، ولا يتجاوز الثوابت الشرعية، مع عدم الإساءة إلى المذاهب الفقهية، والتحريج للشخصيات والهيئات.
٤) أن يلتزم البحث بالمنهج العلمي في توثيق المعلومات وخصوصاً التخريج للحديث، مع ضبط الآيات القرآنية.
٥) أن يكون البحث صحيح اللغة، سليم الأسلوب.
٦) ألا يكون البحث قد سبق نشره أو أرسل إلى دورية أخرى.
٧) لا يتجاوز البحث عن (٣٠) صفحة، وأن يكون حجم الصفحة(A4) ، وحجم الخطّ (١٦)، ونوع الخط(Traditional Arabic) ، والمسافة بين الأسطر ١،٥.
٨) أن ترقم هوامش كل صفحة على حدة، على حجم الخط (١٢).
٩) تخضع البحوث الواردة إلى المجلة للتحكيم العلمي.
١٠) يشعر صاحب البحث بقبوله للنشر أو عدمه.
١١) يقدم الباحث مع بحثه نبذة عن حياته منصوصاً فيها على المؤهلات العلمية من الجامعة فما فوق وتاريخ ومكان الحصول عليها والعمل الآن.
١٢) ترتب البحوث داخل العدد وفق اعتبارات فنية.
١٣) يقدم الباحث نسختين من البحث مع قرص الحاسوب (الدسكت).

البحوث والمراسلات تُرسَل باسم مدير التحرير على العنوان التالي:

Executive Editor of **JOURNAL HADITH**
HADITH RESEARCH INSTITUTE (INHAD)
SELANGORE INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY COLLEGE (KUIS)
BANDAR SERI PUTRA, 43600, BANGI
SELANGORE (DARUL EHSAN)
M A L A Y S I A.
E – Mail: hadis2008inhad@gmail.com

الهيئة الاستشارية

محتويات العدد

أساليب تربية الطفل بالحكمة
في ضوء السنة النبوية

إعداد: **نور ناجحان بنت جعفر**[١] **وحالم تاموري**[٢]

ملخّص البحث

يتناول هذا البحث أسلوب تربية الطفل بالحكمة في ضوء السنة النبوية، ويعتمد على منهجَين رئيسَين، أولهما: المنهج الاستقرائي، وذلك من أجل جمع الأحاديث النبوية المتعلقة بأسلوب تربية الأطفال بالحكمة. والثاني: المنهج الوصفي التحليلي لاستخراج الأسلوب التربوية بالحكمة الخاصة بالأطفال عن طريق دراسة الأحاديث النبوية وتحليلها. واشتمل هذا البحث على مقدمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة. المطلب الأول: مفهوم تربية الطفل، والمطلب الثاني: مفهوم تربية الطفل بالحكمة، والمطلب الثالث: أسلوب تربية الطفل بالحكمة في السنة النبوية، مع بعض التنبيهات حول هذا الأسلوب.

المطلب الأول: مفهوم تربية الطفل

أولاً: مفهوم التربية لغةً واصطلاحاً:

من حيث اللغة، هنالك ثلاثة أفعالٍ يمكن أن يرد إليها اشتقاق كلمة "التربية"[٣]: الفعل الأول: ربا، يربو، بمعنى: نما وزاد، مثل قولنا: ربا الشيء يربو إذا نما وزاد. وفي هذا المعنى نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّباً لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو

[١] المحاضرة في قسم الكتاب والسنة في الجامعة العلوم الإسلامية الماليزية. noornajihan@usim.edu.my

[٢] المحاضرة في قسم الكتاب والسنة في الجامعة الوطنية الماليزية. tamuri67@gmail.com

[٣] انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، **لسان العرب**، ج ١٤، ص ٣٠٤، مادة (ربا)؛ والفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، ص ١٦٥٩، مادة (ربا).

عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

الفعل الثاني: رَبِيَ، يربي، بمعنى: نشأ وترعرع، مثل قولنا: ربي فلان في بني فلان، أي: نشأ وترعرع فيهم، وعليه قول ابن الأعرابي:

فمن يك سائلاً عني فإني   بمكة منْزلي وبها ربيت

وفي هذا المعنى أيضاً نزل قوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ [النساء: ٢٣]. فالتربية هنا بمعنى: النشوء والترعرع.

الفعل الثالث: ربّ، يُرب، بمعنى: أصلح ورعى، أي ساس وتولّى الأمر، وفي هذا المعنى نزل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. فالتربية هنا بمعنى: الاصلاح والرعاية. فالتربية إذن من الناحية اللغوية تأتي بمعنى: الزيادة والنماء، والنشوء والترعرع، والاصلاح والرعاية، وتولّي الأمر.

أما التربية اصطلاحاً، فقد ذكر بعض العلماء تعريفات عدة تجمع في مفرداها المعاني اللغوية السابقة. ومن تلك التعريفات ما يلي:

١) "إنشاء الشيء حالاً إلى حد التمام"[١].

٢) "تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، وقد وصف به تعالى للمبالغة"[٢]، كما في قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

[١] الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد أبو القاسم، **المفردات في غريب القرآن**، ص١٨٤.

[٢] البيضاوي، عبد الله بن عمر أبو سعيد، **أنوار التنْزيل وأسرار التأويل**، ص ١٠٠.

[٤] أحمد، لطفي بركات، **في الفكر التربوي الإسلامي**، ص ٥٢.

٣) "الجهود المقصودة التي تبذل من الإنسان بشكل خاص لإحداث تغييرات فيه، مرغوب فيها."[1]

ثانياً: مفهوم الطفل لغةً واصطلاحاً:

تُطلَق كلمة "الطِّفْل" لغةً على: الصغير من كل شيء. وكلُّ جُزْءٍ من كلِّ شيء، عَيْناً كان أو حَدَثاً، ولا فعل له. يُقال: حاجَةٌ طِفْلٌ أي: يَسيْرَةٌ قَصِيْرَة، وريْحٌ طِفْلٌ أي: لَيِّنَةٌ. كما تأتي بمعنى الصغير من أولاد الناس، والبقر، والظباء. وقد يكون الطِّفلُ واحِداً وجَمْعاً، وذكراً ومؤنثاً، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧]، وقال الله تعالى: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾ [نور: ٣١]. والعرب تقول: جارية طفلة وطفل، وجاريتان طفل، وجوار طفل، وغلام طفل، وطفلان وأطفال وطفلات في القياس.[2]

ويجوز المطابقة في التثنية والجمع والتأنيث، فيقال: الطفلة، وأطفال، وطفلات. وقال بعضهم: يبقى هذا الاسم للولد حتى يميز، ثم لا يقال له بعد ذلك طفل، بل صبي، وحَزَوّر، ويافع، وبالغ. وذهب بعضهم إلى أنه يقال له طفل إلى أن يحتلم.[3]

أما الطفل في اصطلاح علماء التربية، فيضم جميع الأعمار ما بين المرحلة

---

[1] انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١١، ص ٤٠١؛ والمناوي، محمد عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ج ١، ص ٤٨٣؛ والرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، ج ١، ص ٤٠٣.

[2] انظر: الفيومي، أحمد بن محمد، **المصباح المني**، ص ١٤٢، مادة: (طفل).

الجنينية ومرحلة الاعتماد على النفس، ولذلك حُدِّدَت الطفولة بالفترة الواقعة ما بين الحلم وسن الثامنة عشرة، بمعنى أنها تشمل مراحل النمو التالية: مرحلة ما قبل الميلاد، مرحلة المهد (من يوم الولادة إلى سن سنتين)، الطفولة المبكرة (من سن سنتين إلى سن ٦ سنوات)، الطفولة المتوسطة (من سن ٦ سنوات إلى سن ١٢ سنة)، ثم مرحلة المراهقة (من سن ١٣ سنة إلى ١٨سنة). فالطفل من ناحية التربية وعلم النفس، يقصد به الإنسان منذ الميلاد إلى أن يكتمل نموه ويصل إلى حالة النضج. واصطلح على تعريف الطفل بذلك في قوانين عدد من الدول بينما يمتد سن الطفل في بعض الدول المتقدمة إلى سن الحادية والعشرين.[١]

ثالثاً: مفهوم تربية الطفل في اصطلاح علماء التربية

إذا استعمل مصطلح التربية في ميدان تربية الطفل، فهناك تعريفات متعددة وردت على ألسنة وأقلام الباحثين في مجال التربية، ومن تلك التعريفات ما يلي:

١) "عملية توفير الفرص الملائمة، لنمو الفرد نمواً متكاملاً في جميع نواحي شخصيته الجسمية، والعقلية، والعاطفية، والاجتماعية، حتى يستطيع ممارسة أنماط سلوكية مختلفة تمكنه من التكيف مع الحياة والمجتمع."[٢]

٢) "تزويد الطفل بما يحتاج إليه من الثقافة الإنسانية الضرورية، وتغذيته بما يحتاج إليه من التغذية الضرورية، وحفظه من كل سوء، ورعايته خلال مرحلة نموه، وتهذيب أخلاقه، ونفسه، لينشأ نشأةً سليمةً، ولينمو نمواً متكاملاً، من الناحية الجسمية، والروحية، والعقلية، والنفسية، والاجتماعية، والأخلاقية، حتى يعلو شأنه، وترتفع منْزلته، ويكون شريفاً في قومه."[٣]

---

[١] انظر: الجراجرة، عيسى. **رياض الإسلام**، ص ٤٣– ٤٥.

[٢] هندي، صالح ذياب، **الثقافة الإسلامية**، ص ١٣.

[٣] يالجن، مقداد، **التربية الأخلاقية في الإسلام**، ص ٥١.

٣) "عملية تكوين للإنسان، يسعى إليه المربي بإثارة القدرات الكامنة لدى الطفل، ثم توجيهها توجيهاً سليماً، وذلك باستخدام أفضل أساليب التربية والتعليم التي توصّل إليها المربون"[١].

وقد توصّلت الباحثةُ من خلال ما سبق إلى: أنَّ كل التعاريف تتفق على أن تربية الطفل هي عملية تكوين شخصية الطفل وتنميتها من جميع جوانبها، وإحكام بنائها إلى حد الكمال، عن طريق استخدام الأساليب التربوية المناسبة لكل مرحلة من مراحل عمر الطفل، مما ييسّر له حسن التعامل مع الآخرين في المجتمع الذي يعيش فيه.

رابعاً: تربية الطفل في المنظور الإسلامي

لم يكن هذا الاصطلاح بهذا اللفظ – تربية الطفل- موجوداً أو مستعملاً في عهد السلف، ولكن يمكن إطلاقُ هذا المصطلح على أسس، ومبادئ كانوا يطبقونها في العملية التربوية. إذ لم يكن فن تربية الطفل، أو التربية عموماً، علماً مستقلاً، كما هي حاله في وقتنا الحاضر، ويعد هذا العلم من العلوم الحديثة التي ظهرت في أوروبا قبل مائتي سنة تقريباً، وعرفت فيه باسم "parenting"[٢].

ويمكن إطلاقُ هذا المصطلح على أسس ومبادئ كان يطبقها المجتمع الإسلامي الأول في العملية التربوية، والذي قام بتلك المهمة أحسن قيام، مستعيناً في ذلك بما جاء في القرآن الكريم، والسنة النبوية من مبادئ تربوية سامية وشاملة. قال الله تعالى ﴿إِنَّ هَـــذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾ [الإسراء: ٩]. فإن كل من يقرأ القرآن بتدبر وتفكر، يراه كتابَ عقيدةٍ وتشريع، كما أنه كتاب تربية وتوجيه. فقد اشتمل

[١] محرم، خالد محمد، **بناء الشخصية من خلال التربية الإسلامية**، ص ١٤.

[٢] انظر: المقبل، محمد بن محمد، **الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام**، ص ٢٤.

القرآن الكريم على منهجٍ متكاملٍ في التربية، وهو منهج يمتاز بالدقة والشمول، لجميع مراحل حياة الإنسان. كما أنه منهج رباني لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. هو منهج يختلف اختلافاً جوهريا عن كل المناهج البشرية، وهنا يكمن السبب في نجاح المنهج الإسلامي في التربية. لذلك تجد فيه أساليب تربوية تتفق مع أرقى ما توصَّل إليه الفكر التربوي قديماً وحديثاً.

والسنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن العظيم، وقد اتفقت على ذلك مختلف المذاهب والفرق الإسلامية، وإذا كان القرآن الكريم يعالج أمور الحياة وقضايا الإنسان بطريقة مجملة، فقد جاءت السنة النبوية الشريفة مفسرةً ومبينةً لهذا الإجمال، كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [الجمعة: ٢]. فالكتاب في الآية، أحد أسماء القرآن الكريم، أما الحكمة، فتطلق على عدة معان، منها: المعرفة بالدين، والفقه في التأويل، والفهم الذي هو سجية ونور من الله تعالى. وقيل: الحكمة هي الحكم والقضاء. وقيل: الحكمة هي السنة المبيِّنة على لسان رسول الله ﷺ مراد الله فيما لم يُنص عليه في الكتاب، وهذا القول الأخير هو ما رجَّحه الإمام القرطبي في تفسيره. [١]

ومن يدرس شخصية الرسول الله ﷺ يجده مربياً عظيماً يخاطب الناس على قدر عقولهم ويراعي حاجاتهم، كما يراعي مواهبهم، واستعداداتهم، وطبائعهم، يراعي في المرأة أنوثتها، وفي الرجل رجولته، وفي الكهل كهولته، وفي الطفل طفولته. ومن خلال استقراء كتب الأحاديث والسيرة النبوية، نجد أن الرسول الله ﷺ قد كان له في تعامله مع الأطفال وتربيته لهم، أساليب وطرق عديدة، يراعي فيها حاجاتهم وطبيعتهم. والأحاديث المتعلقة بتعامله مع الطفل كثيرة متعددة، يمكن

---

[١] انظر: القرطبي، محمد بن أحمد أبو عبد الله، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١٨، ص ٨١.

الاستفادة منها في إرساء قواعد دستور رعايتهم، وتربيتهم، والعناية بهم، وحمايتهم من كل أذى متوقع. فهو ﷺ يؤكِّد حقَّ الطفولة البريئة في الاستمتاع بفترة الطفولة، وذلك بتأكيده على أن لعالم الطفل خصوصية متميزة يجب أخذها بعين الاعتبار على الدوام، خلال عمليات رعاية الطفل والعناية به. كما رُوي عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: "سابقني النبي فسبقته ﷺ، فلبثنا حتى إذا رهقني اللحم سابقني فسبقني، فقال: «هذه بتيك»"[1]. وهذا يدلنا على حاجة الطفل للعب والترويح، ومراعاة النبي ﷺ لحاجته وخصوصيته.

وقد جاء في رواية أخرى إقراره ﷺ للعب الحبشة بالحراب في المسجد في الأعياد والمناسبات، وعدم إنكاره عليهم، فعن أبي هريرة ﷺ قال: "دخل عمر، والحبشة يلعبون في المسجد فزجرهم عمر، فقال رسول الله: «يا عمر! فإنما هم بنو أرفدة»".[2] وسمح رسول الله ﷺ للسيدة عائشة – رضي الله عنها – أن تستمتع بالنظر إليهم وهم يلعبون، حيث قالت رضي الله عنها: "لقد رأيت رسول الله ﷺ يوماً على باب حجرتي، والحبشة يلعبون في المسجد، ورسول الله ﷺ يسترني بردائه، أنظر إلى لعبهم"[3].

هنا نتأكّد أن النبي ﷺ يراعي حقوق الأطفال في الاستمتاع بفترة طفولتهم، حيث سمح للسيدة عائشة – رضي الله عنها – أن تستمتع بالنظر إلى لعبهم. وفي ذلك تقول رضي الله عنها: "فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع

---

[1] أخرجه أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ج ٦، ص ٣٩، رقم الحديث ٢٤١٦٣، وقال محقق الكتاب: هذا حديث صحيح.

[2] متفق عليه. أخرجه البخاري –واللفظ له–، في **صحيحه**، كتاب أبواب المسجد، باب: أصحاب الحراب في المسجد، ج ١، ص ١٧٣، رقم الحديث ٤٤٣؛ ومسلم، في **صحيحه**، كتاب صلاة العيدين، باب: الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه، ج ٢، ص ٦٠٢، رقم الحديث ٨٩٢.

[3] أخرجه البخاري، في **صحيحه**، كتاب المناقب، باب: قصة الحبشة وقول ﷺ: يا بني أرفدة، ج ٣، ص ١٢٩٨، رقم الحديث ٣٣٣٧.

اللهو".[1]

والعملية التربوية في نظر الإسلام، غير محدَّدة بفترة معينة من عمر الإنسان، حيث إنها تريد من المرء أن يعمل على تربية نفسه وغيره حتى آخر لحظة من حياته. ومع ذلك، فإنَّ مرحلة الطفولة هي من أهم المراحل في حياة الإنسان، وأكثرها خطورة؛ لأنها أساس لمراحل الحياة التالية. ويؤكِّد ذلك ما قررّه علماء النفس من أهمية مرحلة الطفولة إلى سن الخامسة، ومدى تأثيرها على المراحل التالية من عمر الإنسان، فهم يقرِّرون بأن الخبرات الطفولية في السنوات الخمس الأولى من عمر الإنسان، لها أثر كبير في تشكيل شخصيته في المستقبل.[2]

والطفل أمانة من الله تعالى للأبوين، وهما مسؤولان عن رعاية أولادهم، وقد جعل ذلك أمانة في أعناقهم. وقد أمر الله تعالى بأداء الأمانة، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[النساء: ٥٨]. فالمخاطب في هذه الآية قيل إنها نزلت في ولاة الأمر، من ولي من أمور الناس شيئاً.

وتُطلَق "الأمانة" مجازاً على ما يجب على المكلَّف إبلاغه إلى أربابه ومستحقيه من الخاصة والعامة كالدين، والعلم، والعهود، والجوار، والنصيحة، ونحوها. والأمانات من صيغ العموم.[3] إذاً، فالآية عامة تتعلق بكل المكلَّفين، فمثلاً السلطان مسئول عن رعيته، والمدير مسئول عن موظفيه، والأبوان مسئولان عن

[1] أخرجه البخاري، في **صحيحه**، كتاب النكاح، باب: حسن المعاشرة مع الأهل، ج ٥، ص ١٩٩١، رقم الحديث ٤٨٩٤.

[2] انظر:

Duane P. Schultz & Sydney Ellen. Schult, **Theories of personality** 59.

[3] انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، **الدر المنثور**،ج ٢، ص ٥٧١؛ ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج ١، ص ٩٦٩.

[4] سبق تخريجه.

[5] انظر: الضامن، ريما كمال، **الأسرة ورعاية الذات الإنسانية للأطفال**، ص ١٧.

أولادهما. ويؤكِّد ذلك ما جاء في الحديث الشريف: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده، ومسؤول عن رعيته».[1] والأطفال شأنهم شأن أي رزق ينعم الله به على من يشاء من عباده، كيفما شاء ومتى شاء، كما توضِّحه الآيتان الكريمتان: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ. أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠].

وتُعَدّ تربية الطفل من أهم الموضوعات المتعلقة بالعائلة المسلمة، لكونها الركيزة الرئيسة في تكوين المجتمع الإسلامي الصحيح. وحول أهمية تربية الأطفال في الإسلام، جاء قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ناراً﴾[التحريم: ٦]، مما يشير إلى أهمية وقاية الوالدين لأنفسهم ولأبنائهم من خلال التوجيه لصالح الأعمال.[2]

إنَّ تربية الطفل في نظر الإسلام لا تقتصر على الجوانب المادية والحاجات الجسدية فقط، بل تشمل النواحي الروحية والمادية. فيختلف بذلك مفهومها عن مفهوم التربية في الحضارات الغربية الحديثة التي تعمل على تنمية الجوانب المادية وإشباعها، وتغفل الجانب الروحي إغفالاً يوشك أن يكون تاماً. كما صرح بذلك أحد المفكرين المسلمين المعاصرين سيد محمد نقيب العطاس، فالإنسان

يتكون من أربعة عناصر: القلب، والنفس، والروح، والعقل، ولا يمكن إغفال جانب منها على جانب الآخر.[1]

إن التربية الإسلامية ليست قواعد نظرية دون تطبيق، بل تجمع بين العلم والعمل وبين الفكر والسلوك، وذلك بما يعود على الفرد والمجتمع بالنفع والسعادة في الدارين؛ الدنيا والآخرة، قال الله تعالى ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ... ﴾ [القصص: ٧٧].

بناءاً على ما سبق: يمكن تعريف "تربية الطفل" في نظر الإسلام بأنها عملية جادة لتنشئة الإنسان الكامل، ليدرك مسئولياته الفردية وعلاقاته الاجتماعية وسائر مهمّاته، بأساليب مناسبة، مستندة في مفاهيمها ومبادئها وقيمها إلى القرآن والسنة المطهّرة. فلا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فصلاح الأول، كان باتباع القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ وتطبيقها في واقع الحياة. ولن يصلح حال هذه الأمة إلا بالعودة إلى هذين المصدرين والتمسك بما جاء فيهما.

المطلب الثاني: التربية بالحكمة

يميل الطفل في المرحلة المتوسطة إلى تقبُّل الآراء والحقائق عن الكبار، وتكون لديه قابلية كبيرة للاستهواء والانقياد، كما أن قدرته على التفكير المجرد تكون جيدة، فيميل إلى الاحتكاك بالكبار وتلقّي القِيَم والمعايير عنهم. لهذا كان أسلوب الحكمة والموعظة في هذه الفترة هاماً للغاية، إذ إن الطفل لا يفهم معظم تصرفات الكبار، فتكون تربيته بالموعظة الحسنة وسيلة مهمة وجيدة في هذه الفترة، خاصةً وأن الطفل مستعد للتقبل والاقتناع.

---

[1] انظر: Al Attas, Syed Muhammad Naquib, **The nature of man and the psychology of the human soul**, 5.

أولاً: مفهوم الحكمة

إن كلمة "الحكمة" في اللغة عبارة عن العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل.[1]

أما الحكمة في الاصطلاح هي "المعرفة المُحكمة، أي الصائبة المجرّدة عن الخطأ، فلا تُطلَق الحكمة إلا على المعرفة الخالصة عن شوائب الأخطاء وبقايا الجهل في تعليم الناس وفي تهذيبهم. فالحكمة هي معرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه بحسب الطاقة البشرية بحيث لا تلتبس على صاحبها الحقائق المتشابهة بعضها ببعض ولا تخطئ في العلل والأسباب. وهي اسم جامع لكل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحاً مستمراً لا يتغيّر".[2]

ثانياً: أهمية الحكمة في تربية الطفل

إن الحكمة من أساليب التربية المؤثرة في تكوين الطفل إيمانياً، وإعداده خلقياً، ونفسياً، واجتماعياً. وذلك لما للحكمة من أثر كبير في تبصير الطفل حقائق الأشياء، ودفعه إلى معالي الأمور، وتحليه بمكارم الأخلاق، وتوعيته بمبادئ الإسلام.

وقد اهتم القرآن الكريم والسنة النبوية بإلقاء الموعظة، والتصرُّف بالحكمة في تربية الطفل. فلا عجب أن نجد القرآن الكريم قد انتهج أسلوب الموعظة الحسنة، وخاطب النفوس بها، وكرَّرها في كثير من آياته، ومن ذلك موعظة لقمان لابنه حيث قص الله علينا ذلك بقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، كما أمر الله تعالى رسول ﷺ باتباع هذا الأسلوب، وذلك في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن

[1] انظر: الفيروز آبادي، حمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، ص ١٤١٥.

[2] ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج ١٤، ص ٣٢٧.

سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٧٥].

إن للحكمة في التربية الإسلامية للطفل أهمية كبيرة، فهي تعني إتقان الأمور وإحكامها، بحيث توضع في مواضعها المناسبة وفي الأوقات المناسبة. فيوضع القول اللين في موضعه ويختار الوقت المناسب للتوجيه والإرشاد للطفل. لقد وجّه الإسلام الأبوَين أن يعظا أبناءهم موعظة حسنة، مع الرفق بهم والحرص عليهم، حيث إن النفس الإنسانية تتأثر بما يلقي إليها من كلام، ولذا كانت الحكمة والموعظة الحسنة من أفضل الأساليب التي تصل إلى النفس، وتحرِّك الوجدانَ، وهي ذات أثر كبير في تربية الطفل.

المطلب الثالث: مظاهر التربية بالحكمة في السنة النبوية

يمكن التعرُّف على مظاهر الحكمة من خلال تعامل النبي ﷺ مع الأطفال وتربيته لهم في النقاط التالية:

أولاً: حسن المناداة:

المقصود بهذا الأساس أن يُنادَى الأطفالُ بعبارات لطيفة قريبة من نفوسهم، ولهذا الأساس آثار طيبة في نفس الطفل، منها: أنه يشعر الطفل بأهميته عند الكبار، ومن ثم تسهل عليه الاستجابة للأوامر الموجهة إليه، وأنه يغرس المحبة والمودة في قلوب الأطفال، وأنه يساعد على القضاء على المنكرات والأخطاء عند الأطفال، فيخجل الطفل من عدم الاستجابة لمن يعظه بالحسنى.

فعن عبد الله بن جعفر ﵁: "أن النبي ﷺ أمهل آلَ جعفر ثلاثاً أن يأتيهم، ثم أتاهم فقال: «لاتبكوا على أخي بعد اليوم»، ثم قال:«ادعوا لي بني أخي»، فجيء بنا كأنا أفرخ فقال: «ادعوا لي الحلاق» فأمره فحلق رؤوسنا».[1]

---

[1] أخرجه أبو داود- واللفظ له-، في **سننه**، كتاب الترجل، باب: في حلق الرأس، ج ٢، ص ٤٨٢، رقم الحديث ٤١٩٢؛ والنسائي، في **سننه**، كتاب الزينة، باب: حلق رؤوس الصبيان، ج ٨، ص ١٨٢، رقم

كذلك ما رُوي عن أنس بن مالك ﷺ قال: "إن كان النبي ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «يا أبا عمير! ما فعل النغير»"[1].

ويستفاد من الأحاديث: أن النبي ﷺ عندما كان ينادي الأطفال؛ يستخدم أسلوباً جذاباً مثل يا غلام!، أو ابن أخي!، أو يناديه بكنيته، مثل قوله: «يا أبا عمير!». وهذا يدل على تلطفه ﷺ في التعامل مع الأطفال، حيث يناديهم بعبارات لطيفة قريبة من نفوسهم.

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة جداً، منها: "جواز تكنية من لم يولد له، وتكنية الطفل وأنه ليس كذباً، وجواز المزاح فيما ليس إثماً، وجواز تصغير بعض المسمَّيات، وجواز لعب الصبي بالعصفور، وتمكين الولي إياه من ذلك، وجواز السجع بالكلام الحسن بلا كلفة، وملاطفة الصبيان وتأنيسهم، وبيان ما كان عليه النبي ﷺ من حسن الخلق، وكرم الشمائل، والتواضع، وزيارة الأهل لأن أم سليم والدة أبي عمير هي من محارمه ﷺ."[2]

ثانياً: التخفيف من اللوم والعتاب:

نلاحظ أن النبي ﷺ ما كان يكثر العتاب على التصرفات الخاطئة للطفل، ولا يلجأ كثيراً إلى التوبيخ والتأنيب. وهذا من حكمته ﷺ في معاملة الأطفال وتربيتهم، فعن أنس بن مالك ﷺ قال: "خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما أمرني بأمر فتوانيت عنه

الحديث ٥٢٢٧. أنه حديث صحيح، حيث قال الهيثمي: "روى أبو داود وغيره بعضه، ورواه أحمد والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح"، انظر: الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، ج ٦، ص ٢٣٠، رقم الحديث ١٠٢٠٨. وكان لجعفر ثلاثة أولاد، وهم عبد الله، وعون، ومحمد، انظر: العظيم آبادي، محمد شمس الحق أبو الطيب، **عون المعبود شرح السنن**، ج ١١، ص ١٦٤.

[2] أخرجه البخاري، في **صحيحه**، كتاب الآداب، باب: الانبساط إلى الناس، ج ٥، ص ٢٢٩١، رقم الحديث ٥٧٧٨. (لأخ لي) هو أخوه من أمه أم سليم ابن أبي طلحة رضي الله عن الجميع، (النغير) مصغر نغر وهو طير كالعصفور محمر المنقار يسميه أهل المدينة البلبل، انظر: المرجع نفسه.

[3] الدهلوي، فخر الحسن، **شرح سنن ابن ماجه**،، ج ١، ص ١٦٥.

أو ضيعته فلامني، فإن لامني أحد من أهل بيته إلا قال: «دعوه، فلو قدر –أو قال: لو قضي– أن يكون كان»".[1] وفي رواية أخرى عن أنس ﷺ قال: "والله لقد خدمته تسع سنين، ما علمته قال لشيء صنعته: «لم فعلت كذا وكذا؟» أو لشيء تركته: «هلا فعلت كذا وكذا»".[2]

وفي هذا الحديث بيان كمال خلقه ﷺ، وحسن عشرته، وحلمه، وصفحه.[3] وإن كثرة اللوم والعتاب للطفل تؤثر على نموه النفسي و"تجعل منه إنساناً يشعر بالخوف، والاضطراب، وضعف الشخصية. بالإضافة إلى عدم مقدرته مستقبلاً على صنع القرار بحرية، أو المشاركة الفعالة في أي مجال من مجالات الحياة، فيكون تابعاً للآخرين في تصرفاته وجميع أنواع سلوكه."[4]

ثالثاً: اختيار الوقت المناسب للتعليم:

من المؤكّد أن اختيار الوقت المناسب للتوجيه والإرشاد له أثر إيجابي هام في التربية. فكان النبي ﷺ ثاقِب النظر في تحيُّن الوقت المناسب والمكان الملائم للنصح والتوجيه، فمن خلال سيرته ﷺ نجده يتخوَّل أصحابه الكرام بالموعظة في كل حين، ويختار الأوقات المناسبة لتوجيه الطفل، وإفادته تربوياً وعلمياً، ومن ذلك ما يلي:

(أ) صحبته في الطريق

من حكمة النبي ﷺ في التعامل مع الطفل، أنه في بعض الأحيان، يوجّه الموعظة

---

[1] أخرجه أحمد، في **مسنده،** ج ٣، ص ٢٣١، رقم الحديث ١٣٤٤٢، وقال محقق الكتاب: حديث صحيح، رجاله رجال الصحيح، وفيه انقطاع، فإن عمران القصير – وهو ابن مسلم – لم يسمع من أنس وإنما رآه رؤية.

[2] أخرجه مسلم – واللفظ له– في صحيحه، كتاب الفضائل، باب: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا، ج ٤، ص ١٨٠٥، رقم الحديث ٢٣٠٩؛ وأبو داود، في **سننه،** كتاب الآداب، باب في الحلم وأخلاق النبي ﷺ، ج ٢، ص ٦٦١، رقم الحديث ٤٧٧٣.

[3] انظر: النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم،** ج ١٥، ص ٧١.

[4] عمر، عطا أحمد، وحمودة، محمود محمد، وبدران، أمية فارس، **تربية الطفل في الإسلام،** ص ١٥٧.

عندما يصاحب الطفل في الطريق، حتى تكون نفس الطفل أشد استعداداً للتلقي، وأقوى على قبول النصائح والتوجيهات.

ومما يدل على ذلك حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – إذ يقول: كنتُ خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال: «يا غلام! إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».[1]

فإن هذا الحديث يدل على أن هذه التوجيهات النبوية كانت في الطريق، وهما يسيران إما مشياً على الأقدام، أو سيراً على الدابة، ولم تكن هذه التوجيهات في غرفة محدودة، وإنما في الهواء الطلق، حيث نفس الطفل أشد استعداداً للتلقي، وأقوى على قبول النصائح والتوجيهات.[2]

وبالإضافة إلى ذلك، كان الرسول ﷺ عندما ينادي الطفل ليعظه، يستخدم أسلوباً جذاباً، مثل: "يا غلام!" عبارة لطيفة قريبة إلى نفسه، حتى تسهل عليه الاستجابة للأوامر الموجهة إليه. فإن النبي ﷺ في هذه الموعظة، علّم ابنَ عباس ظواهر الإيمان بالله؛ والتوكل على الله تعالى في كل الأمور؛ لأن الله تعالى قادر على الإعطاء والمنع، ودفع الضرر، وجلب النفع، كما علمه الاستعانة به وحده في أمور الدنيا والآخرة، والإيمان بالقضاء والقدر، حيث إن كل التقديرات قد كتبها الله تعالى في اللوح المحفوظ.

---

[1] سبق تخريجه. "كنت خلف النبي ﷺ يوما" أي رديفه، انظر: الترمذي، **السنن**، باب: صفة القيامة، والرقائق، والورع، ج ٤، ص ٦٦٧، رقم الحديث ٢٥١٦.

[2] انظر: سويد، محمد نور بن الحفيظ، **منهج التربية النبوية للطفل**، ص ٣١٣.

(ب) وقت المرض:

وإن الإنسان بشكل عام "يرق قلبه وتشرق روحه، وتكون نفسيته أكثر استجابة وتأثيراً إذا داهمه مرض، أو ألمت به مصيبة، سيما في بدنه أو أعضاء جسده، ولذلك فإن حالة الطفل أثناء مرضه تكون مناسبة لتوجيهه وإرشاده مع مراعاة الأسلوب الرقيق الهادي والموجز، رفقاً بحاله مراعاة كافية".[1]

وقد وَجَّهَنا إلى هذا رسولُ الله ﷺ فزار طفلاً يهودياً مريضاً ودعاه إلى الإسلام، كما رواه أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: «أَسْلِمْ!» فنظر إلى أبيه، وهو عنده، فقال له: "أطع أبا القـــاسم ﷺ! فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار».[2]

لقد كان هذا الطفل يخدم الرسول ﷺ، و لم يدعه إلى الإسلام بعد، وعندما وجد النبي ﷺ الوقت المناسب لدعوته، فأتاه وعاده، ودعاه. فهذه الحادثة تدل على اهتمام النبي ﷺ بالوقت المناسب في التوجيه والإرشاد.

هذه أمثلة للأوقات المناسبة في توجيه الطفل وبناء شخصيته، وهي وقت صحبته في الطريق، ووقت المرض، ويمكن أن يقاس عليها غيرها من الأوقات التي يجدها الوالدان مناسبة لأطفالهم.

رابعاً: تزامن التربية مع الوقوع في الخطأ:

كان النبي ﷺ يوجِّه الأطفال، ويقدِّم لهم النصائح في الظروف الملائمة، فإذا لاحظ شذوذاً من الطفل أو تصرفاً مخالفاً للآداب العامة أو القوانين التربوية؛ كان ﷺ

---

[1] الفندي، عبد السلام عطوة، **تربية الطفل في الإسلام**، ص ٢١٣.

[2] أخرجه البخاري، في **صحيحه**، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، ج ١، ص ٤٥٥ ،رقم الحديث ١٢٩٠.

يوجِّه الأطفالَ ويرشدهم دون تأخير أو تأجيل، مراعياً أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة.

فقد أكل رسول الله ﷺ مع الأطفال، ولاحظ جملةً من الأخطاء، فقدَّمها بأسلوب حيوي أثار به عقل ونفس الطفل إلى التصحيح. كما رُوي عن عمر بن أبي سلمى قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام! سَمِّ اللهَ، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مما يليك»، فما زالت تلك طعمتي بعد.[1]

في هذا الحديث نرى حكمته ﷺ، وذلك في تصحيحه للخطأ حين وقوعه، واستخدامه لأسلوب الموعظة الحسنة، حيث لم يعاتبه، أو يوبِّخه على فعله، بل بدأ النصيحة، بقوله: "يا غلام!"، وفي هذا ملاطفة للطفل، وتقرُّب منه، وتهيئة له لتقبل ما يقال له، ويرشد إليه.

وفى هذا الحديث بيان ثلاث سنن من سنن الأكل، وهى: "التسمية، والأكل باليمين، والأكل مما يليه؛ لأن أكله من موضع يد صاحبه سوء عشرة وترك مروءة."[2] بهذه الكلمات المعدودات رسم رسول الله ﷺ لهذا الغلام ولكل من يطلع على هذه الكلمات آداب تناول الطعام ليعتاد على ذلك ويأكل بطريقة محبّبة إلى النفس مثيرة لرضا الآخرين منسجمة مع الذوق السليم.

تنبيهات حول هذا الأسلوب من التربية:

إن النصيحة إذا كانت من الآباء الذين يستخدمون أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة في التربية، تجد من الأبناء نفوساً طيبةً، وآذاناً صاغيةً، وقلوباً متفتحةً،

---

[1] متفق عليه. أخرجه البخاري –واللفظ له–، في **صحيحه**، كتاب الأطعمة، باب: التسمية على الطعام والآكل باليمين، ج ٥، ص ٢٠٥٦، رقم الحديث ٥٠٦١؛ ومسلم، في **صحيحه**، كتاب الأشربة، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما، ج ٣، ص ١٥٩٩، رقم الحديث ٢٠٢٢.

[2] النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم**، ج ١٣، ص ١٩٣.

واستجابةً سريعةً، ولاسيما إذا كان الأبوان قدوةً لأبنائهما فيما يعظان وينصحان؛ لأن الأبناء يوقنون أن وصايا الأبوَين خالصة من الغرض، مجرَّدة من المصلحة.

ونذكر هنا بعض الأمور التي ينبغي التزام الأبوين بها، لتتم الاستفادة من هذا الأسلوب.

أولاً: الموعظة يجب أن تكون بصفة مستمرة، وذلك حتى لا تحصل الغفلة والنسيان. فالتكرار إذاً هام جداً في العملية التربوية، ولكن بشرط ألا يصل إلى الحد الذي يسأم منه المخاطب ويمل.

ثانياً: على الأبوين مراعاة الوقت المناسب لتوجيه الطفل وإرشاده. فإن رأى الأبوان الوقت المناسب للوعظ، قاما بتوجيه الطفل دون إفراط أو إكثار، فإن كثرة الموعظة تؤدِّي إلى الملل، وربما ضعف تأثيرها، وسببت رد فعل عند الأطفال.

ثالثاً: على المربِّي أن يتسم توجيهه بالواقعية، حتى يتقبل الطفل التوجيه ويتمكن من الاستجابة له، وفي هذه الحالة يكون تأثيره أقوى وأثبت.

رابعاً: يجب أن تتسم الموعظة والتوجيهات بالأسلوب الحسن، والبعد عن الجفاف، مع إشعار الطفل أن أبوَيه حريصان على مصلحتهم.

خلاصة القول، إنَّ اتباع أسلوب الحكمة في تربية له أثر بالغ في النفس، ويصبح دافعاً من أعظم الدوافع في تربية النفوس، خاصة نفس الطفل. ولابد حينئذ من اتباع أسلوب الحكمة في تربية الطفل، حتى يتم رد الطفل إلى صوابه، وبناء شخصيته بشكل سليم.

خاتمة:

خلاصة القول: إن اتباع أسلوب الحكمة في تربية له أثر بالغ في النفس، بل إنه من أعظم الدوافع في تربية النفوس، خاصة نفس الطفل. ولابد حينئذ من اتباع أسلوب الحكمة في تربية الطفل، حتى يتم رد الطفل إلى صوابه، وبناء شخصيته بشكل سليم.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية

١) القرآن الكريم

٢) ابن عاشور، محمد الطاهر، د. ت: **التحرير والتنوير**، مؤسسة التاريخ، د. م، ط١.

٣) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، ١٩٩٩م: **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣.

٤) أبو داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، ١٩٨٠م: **السنن**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د.ط.

٥) أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، د. ت: **المسند**، تحقيق: شعيب الأرنوط، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ط.

٦) باحارك، عدنان حسان الصالح، ١٩٩٢م: **مسؤوليات الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة**، دار المجتمع، جدة، ط٣.

٧) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، ١٩٨٧م: **الجامع الصحيح المختصر**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣.

٨) البيضاوي، أبو سعيد، ١٩٨٨م: **أنوار التنْزيل وأسرار التأويل**، دار الكتب العلمية،د. م، د. ط.

٩) الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، ١٩٩٩م: **السنن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار الحديث، القاهرة، ط١.

١٠)الجراجرة، عيسى، د.ت: **رياض الإسلام**، النـــاشرون، عمان، ط١.

١١) الخطيب، عبد الغني، ١٩٨١م: **الطفل المثالي في الإسلام**، المكتب الإسلامي، د. م،ط٢.

١٢) الخطيب، عز الدين، د. ت: **رعاية الطفولة والأمومة**، الاتحاد العام للجمعيات الخيرية، عمان، د. ط.

١٣) الراغب، الأصفهاني، ١٩٦١م: **المفردات في غريب القرآن**، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، د. ط.

١٤) الرحمن، عبد الرحمن النقيب، ٢٠٠٥م: **كيف نعلم أولادنا الإسلام بطريقة صحيحة؟**، دار السلام، القاهرة، ط١.

١٥) رقيط، حمد حسن، ١٩٩٧م: **كيف نربي أبناءنا تربية صالحة؟**، دار ابن حزم، بيروت،ط١.

١٦) السيوطي، وعبد الغني، وفخر الحسن الدهلوي، د. ت: **شرح سنن ابن ماجه**، قديمي كتب خانة، كراتشي، د. ط.

١٧) الشرقاوي، محمود، ١٩٨١م: **الطفل في الإسلام**، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، د. ط.

١٨) الضامن، ريما كمال، ١٩٨٩م: **الأسرة ورعاية الذات الإنســـانية للأطفال**، دار البشير، عمان، د.ط.

١٩) عبد الرحمن، جمال، ٢٠٠٢م: **أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين**، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط٣.

٢٠) عثمان، حسن ملا، ١٩٨٢م: **الطفولة في الإسلام**، دار المريخ، الرياض، د. ط.

٢١) عمر، عطا أحمد، وحمودة، محمود محمد، وبدران، أمية فارس، ٢٠٠٠م: **تربية الطفل في الإسلام**، دار الفكر، عمان، ط١.

٢٢) العناني، حنان عبد الحميد، ٢٠٠١م: **تربية الطفل في الإسلام**، دار الصفاء، عمان، د. ط.

٢٣) الفندي، عبد السلام عطوة، ٢٠٠٣م: **تربية الطفل في الإسلام**، دار ابن حزم، بيروت، ط١.

٢٤) الفيروزآبادي، حمد بن يعقوب، ١٩٩٦م: **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٥.

٢٥) الفيومي، أحمد بن محمد، ١٩٩٠م: **المصباح المنير**، مكتبة لبنان، لبنان، د. ط.

٢٦) القرشي، بيكان بركي، ١٩٨٤م: **القدوة ودورها في تربية النشء**، المكتب الفيصلية، مكة المكرة، ط٢.

٢٧) القرطبي، محمد بن أحمد أبو عبد الله، ١٩٨٠م: **الجامع لأحكام القرآن**، دار شعب، قاهرة، د. ط.

٢٨) قطب، محمد، ١٩٨٢م: **منهج التربية الإسلامية**، دار الشروق، د. م، ط ٨.

٢٩) ماردني، عبد الرحيم، ٢٠٠٥م: **سلسلة قصص رجال حول الرسول**، دار آية، بيروت،ط١.

٣٠) مالك، ابن أنس أبو عبد الله الأصبحي، د. ت: **الموطأ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، د. ط.

٣١) محرم، خالد محمد، ٢٠٠٦م: **بناء الشخصية من خلال التربية الإسلامية**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٣٢) مسلم، ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيســـابوري، ١٩٨٤م: **الجامع الصحيح**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣.

٣٣) المقبل، محمد بن محمد، ١٩٩٧م: **الأولاد وتربيتهم في ضوء الإسلام**، مطبعة نجد العالمية، الكويت، ط٣.

٣٤) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، ١٩٧٢م: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢.

٣٥) هندي، صالح ذياب، ٢٠٠٠م: **الثقافة الإسامية**، دار الفكر، عمان، ط٢.

٣٦) يالجن، مقداد، ١٩٧١م: **التربية الأخلاقية في الإسلام**، مكتبة الخانجي، مصر، ط١.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

Al Attas, Syed Muhammad Naquib (1990), **The nature of man and the psychology of the human soul** (2nd edn.). Kuala Lumpur: IISTAC.

Duane P. S & Sydne E. S. (2000). **Theories of personality** (7th edn.). USA: Thomson Learning Academic Resource Center.



النظرية التحويلية التوليدية وتطبيقاتها
في نصوص السُّنة النبوية

إعداد: **د. أحمد قاسم كسار**[1]

المقدمة:

إنَّ من بين المستجدات على الساحة العلمية النظريات اللغوية الحديثة التي ظهرت في القرن الماضي لتعالج مشكلات وصراعات في غير لغتنا وبلادنا، وبأسلوب محمل بتيارات فلسفية ونفسية واجتماعية منبثقة من أفكار ومذاهب أصحابها.

وقد انساق بعض الباحثين شأنهم شأن غيرهم في الانبهار بتلك الطروحات وتنْزيلها على نصوص اللغة العربية، ولاسيما أن تلك النظريات رفعت القدسية عن النصوص كلها، الأمر الذي جرَّ هؤلاء المستغرِبين لاخضاع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وغيرهما من النصوص الأخرى في لغة العرب على طاولة البحث والتفكيك والتشكيك والنقد وخلافه.

ومن إتجاه معاكس تماماً لهؤلاء ظهر من يرفض وبشدة تلك النظريات وأهلها، وإقصاء الضار والنافع منها عن ميدان النصوص الشرعية، والتمسك بالأوجه اللغوية المبثوثة – فيما يخص السنة النبوية– في مصنفات شروح الحديث وغريبه والحواشي وحواشي الحواشي، والاكتفاء بالجهود العلمية التراثية في خدمة السنة النبوية من النواحي جميعها ذات الرؤية العلمية الموثوق بها من علماء علم الحديث الشريف.

وقد رأينا أنَّ من الوسطية العلمية والشرعية أن نفيد مما جاء في بعض تلك النظريات، وأن نأخذ بأحسنها، أو بأحسن ما فيها؛ ولكي نكون منصفين لا بد من القول إنَّ هناك نظريات لا يمكن أخذ شيء منها كالفكر الحداثي وتأثره بالهرمنيوطيقا الغربية التي استخدمت اللغة مع النصوص الدينية لمساءلة الماضي

[1] المحاضر بقسم القرآن والحديث، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا – ماليزيا.

بوصفه إشكالية رئيسة.

ومن هذا البحث نهدف إلى الإطلاع على موقع النص النبوي الشريف في النظريات اللغوية الحديثة، أو بعضها، ولتحقيق هذا الهدف لا بد من التعريف بالنظرية التحويلية التوليدية، وأخذ فكرة عنها، ثم بيان ما يمكن الإفادة منها كقيمة معرفية حديثة في تطبيقات معينة على سبيل المثال لا الحصر من الأحاديث النبوية الشريفة.

وقد اعتمدت المنهج التاريخي في عرض النظرية، والمنهج التحليلي لنصوص السنة النبوية عموماً وكيفية التعامل معها، ثم المنهج التطبيقي لشواهد نصية من السنة النبوية لنظرية البحث.

تمهيد: التعريف بالنظريات اللغوية الحديثة وموقف الباحثين المعاصرين منها

إنَّ موضوع النظريات اللغوية الحديثة من موضوعات اللسانيات التي هي مجموعة من العلوم يجمعها هدف واحد، وهو دراسة الظواهر اللغوية لدى الإنسان، وتتناول اللسانيات مجموعة من الوسائل لتحقيق غاياتها تتمثل في (١):

١) الظواهر اللغوية من الأصوات المنطوقة والمسموعة والألفاظ والتراكيب والدلالة.

٢) العوامل المؤثرة على هذه الظاهر، فسيولوجية وظيفية أو نفسية أو بيولوجية أو اجتماعية.

٣) اتباع الأساليب العلمية المعروفة من تجربة جمع أو ملاحظة أو استقراء أو استنتاج القواعد الكلية.

٤) الاستعانة بالعلوم الأخرى كالرياضيات والمنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع.

---

(١) انظر: علم اللغة العام: ٢٩.

٥) الاستعانة بالتقنيات الحديثة كالحاسب الآلي وأجهزة تسجيل الصوت والمختبرات اللغوية المتنوعة.

وقد انبثقت من هذه الوسائل مجموعة من النظريات اللغوية الحديثة يمكن أن نجمل الرئيسة منها فيما يأتي:

أولاً: البنيوية

وهو منهج ظهر في أوربا بعد عام ١٩١٦م في كتاب: (محاضرات في علم اللغة العام) لفردينان دي سوسير، واهتم بالمنحى الشكلي الصوري الذي اتخذ من اللغة موضوعاً لها، ودراسة اللسان في ذاته ومن أجل ذاته، وبذلك أقصيت في هذه المدرسة سياقات الحال والطبقات المقامية المتنوعة التي ينجز تحتها الخطاب، واستبعدت موضوعات الدلالة التي هي عنصر رئيس في التواصل اللغوي الاجتماعي.

وهذا المنهج مناسب جداً في اللغات الأوروبية بالنظر لما أصاب هذه اللغات من التطور والتحول اللغويين عن الأصول التاريخية في لغاتهم، فأدب شكسبير لا يمكن أن يقرأه الجيل المعاصر إلا بعد ترجمة لنصوصه، بخلاف لغتنا العربية ونصوصها المتوارثة بين الأجيال بحيث أن من يتكلم العربية يفهم كلام الله تعالى وحديث رسوله ﷺ [١].

فهذا المذهب لا يمكن تطبيقه على النصوص العربية ومنها الحديث النبوي الشريف؛ لكون العربية قد ارتبطت حلقاتها التاريخية وظروفها وحياتها الطويلة بسلسلة متماسكة الخصائص والصفات متواصلة التناسل والارتباط بالأصل لوجود النصوص الأصلية المواكبة لحركة العربية خلال تاريخها الطويل ترجع إليها دائماً وتستمد منها، وتقوم ما اعوج من التراكيب والصيغ على أساس المحفوظ من اللغة

---

(١) انظر: أبحاث ونصوص في فقه اللغة: ٤.

على وفق قوانينها ومعاييرها (١).

ثانياً: التحويلية التوليدية

ظهرت إصلاحات على المنهج البنيوي تمثلت في اللسانيات، حيث أعاد الحديث عن هذا المنهج تشومسكي في الستينات من القرن العشرين تحت اسم النظرية: "التحويلية التوليدية" المكنونة في كتابه: "التراكيب النحوية" (٢).

وهذه النظرية وهذا المنهج يمكن أن أعده وجهاً من وجوه الخلاف النحوي المعاصر، حيث لهذا المنهج نظرة في التعبير النحوي وتسمياته تتماشى عندهم وتطور الزمن وتتعايش بحسب فكرهم مع توسع آفاق الدرس العلمي وعمق تقنياته(٣).

وهذا المنهج ما تمَّ اختياره في هذا البحث من أجل إجراء تطبيقات منه على بعض نصوص السنة النبوية من خلال اختبارات لأساليب حديثية متنوعة، لأنه لا يؤثر على معاني النصوص النبوية ومحتواها بقدر ما سنحصر تأثيره في قضايا الإعراب والصناعة النحوية وحسب، وهذه النظرية تهتم بما تصطلح عليه Slot ويعني: (الموقع) في مدرسة القوالب: (Tagmemics)، وبعبارات المتقدمين هو نفسه موضوع الدلالة (٤).

ثالثاً: التداولية

وهذا هو منهج المنحى الوظيفي بزعامة التداولية pragmatics التي تناولت مستويات مفاهيمية كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، والاستدلالات، والعمليات الذهنية في الفهم اللغوي، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال، ولديها حقول معرفية عن اللغة كـ (الفعل الكلامي speech act) و(نظرية المحادثة أو متضمنات القول Les

(١) انظر: أبحاث ونصوص في فقه اللغة: ٤.

(٢) انظر: اللسانيات: ١٩٣.

(٣) انظر: مبادىء اللسانيات: ٣٠٦.

(٤) انظر: اللسانيات: ١٩٣.

(Implicites) و(نظرية الملاءمة Theorie de Ia pertinence) و(القصدية Intentionality) .(١)

وقد أفادت مثل هذه النظريات من الثورات العلمية التي حدثت في بلدانهم، وأخضعوا العلوم الإنسانية إلى المناهج والأفكار المادية، وحين تطالع تطبيق النصوص اللغوية في تلك النظريات تشعر وكأنك تقرأ درساً في الجبر أو الهندسة أو الفيزياء أو الكيمياء باستخدام رموز وأرقام ومخططات تزيد النص تعقيداً وغموضاً بإثقاله بفرضيات ونظريات النص العربي والشرعي في غنى عنها، فتم اختراق الساحة اللغوية بتيارات فلسفية ونفسية ومنطقية وانفتحوا باللغة على علم الاجتماع وعلم الاقتصاد وحتى الرياضيات (٢).

رابعاً: الوصفية

وهو منهج يعتمد على وصف اللغة في فترة زمنية محددة من تاريخ اللغة المستعملة في مكان محدد(٣)، وفي مستوى لغوي محدد (٤).

والمنهج الوصفي هو المنهج الذي اتبعه علماء العربية في جمع اللغة، ولكن يتعذر – اليوم – تطبيقه على العربية المعاصرة بعد أن تم الاستقراء للّغة وقواعدها وثبات قوانينها وأحكامها، وحتى لو فرضنا جدلاً أننا نعيد قراءة النص القرآني وحديث الرسول ﷺ وكلام العرب المنثور والمنظوم فما أظننا سنأتي بجديد بعد الجهود الكبيرة التي بذلها العلماء الأوائل المتقدمون في هذا المضمار (٥).

---

(١) انظر: الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، مسعود صحراوي، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل، الرياض، المجلد (٧)، العدد (٣)، رجب – رمضان، ١٤٢٦هـ.

(٢) انظر: اللسانيات واللغة العربية: ٤١.

(٣) انظر: علم اللغة: ٢٦٢.

(٤) انظر: دراسات في علم اللغة: ١٧٤.

(٥) انظر: أبحاث ونصوص في فقه اللغة: ١٨.

المبحث الأول: الدراسة النظرية القيمة اللغوية لنصوص السنة النبوية

تتميز اللغة النبوية بسموها على لغة البشر العاديين، وهي في الوقت نفسه لغة بشر منهم، ولكنها سبكت بنفحات النبوة، وأنوار الوحي، فالنبي ﷺ قد أوتي جوامع الكلم(١)، كما أخبر هو عن نفسه ﷺ فقال: «أوتيت جوامع الكلم»(٢)، مثال وحديثه ﷺ كله حق وصدق لأنه وحي، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾(٣)، ووصفت أم معبد كلامه ﷺ فقالت: "حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم"(٤).

ووصف الزمخشريّ كلام النبي ﷺ فقال: "إن هذا البيان العربي كأن الله عزت قدرته مَخَضَه، وألقى زبدته على لسان محمد عليه أفضل صلاة وأوفر سلام، فما من خطيب يقاومه إلا نكص متفكك الرِّجْل، وما من مصقع يناهزه، إلا رجع فارغ السَّجْل، وما قُرِن بمنطقه منطق إلا كان كالبرذون(٥) مع الحصان المُطهَّم(٦)، ولا وقع في كلامه شيء في كلام الناس إلا أشبه الوَضَحَ(٧) في نُقْبة الأَدْهم(٨)"(٩).
الأَدْهم(٨)"(٩).

---

(١) انظر: الحديث فهماً وتنزيلاً: ٦.

(٢) مسند أحمد، مسند أبي هريرة: ٢/٢٥٠، وإسناده حسن، وله شواهد ترقيه إلى الصحة.

(٣) سورة النجم: ٣-٤.

(٤) المستدرك على الصحيحين: ٣/٥٤٥، وقال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

(٥) البرذون: يطلق على غير العربي من الخيل، المعجم الوسيط: ١/٤٨.

(٦) المطهم من الناس والخيل: الحسن التام كل شيء منه على حدته فهو بارع الجمال، انظر: لسان العرب، مادة: (طهم): ٩/١٥٤.

(٧) الوضح: بياض غالب في ألوان الشاء قد فشا في جميع جسدها، انظر: لسان العرب، مادة: (وضح): ١٥/٢٢٩.

(٨) الأدهم: الأسود، انظر: لسان العرب، مادة: (دهم): ٥/٣١٨.

(٩) الفائق في غريب الحديث: ١/٩.

ويذهب أبعد من هذا الدكتور عودة خليل أبو عودة فيقول: "إن للأحاديث النبوية الشريفة نوراً يضيء القلب، وطمأنينة تملأ النفس، ونشوة تشرح الصدر، وقناعة ويقيناً يسمو بالعقل وإن كل ذلك يميزها من غيرها من كلام الناس"(١).

هذا وإن فصاحة النبي ﷺ وبلاغته قد عقدت لها أبواب وفصول في كتب السيرة والشمائل، وألفت فيها كتب ودراسات وأبحاث لا يسع المجال لذكرها، وإذا أردت أن استشهد ببعضها فمن ذلك الفصل الرائع الذي عقده القاضي عياض بعنوان: (فصاحة لسانه وبلاغته)، فقال: "وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول، فقد كان ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع، وبراعة منـــزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم ألسنة العرب، يخاطب كل أمة منها بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في منْزع بلاغتها، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه، وتفسير قوله، ومن تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه"(٢)، من ذلك حديثه ﷺ مع أقحاح البدو وأصحاء العرب بمستوى لغتهم ودرجة مخاطبتهم، كما كان ذلك مع وفد نهد(٣)، فعن علي بن طالب رضي الله عنه أن وفد نهد قدموا على رسول الله ﷺ فيهم طخفة بن زهير(٤) زهير(٤) فقال: أتيناك يا رسول الله من غوري تهامة(١)، على أكوار(٢) الميس(٣)،

---

(١) بناء الجملة في الحديث: ٨٥.

(٢)صحابيّ، كان من أهل الصُّفَّة وقد اختلف في اسمه اختلافًا كثيرًا، انظره في كتب تراجم الصحابة.

(٣) الشفا: ١/١٥٩-١٦٠.

(٤) قبيلة نهد نسبة لنهد بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة، إحدى أكبر قبائل قضاعة وأشرسها، ويروى أن عز قضاعه وشرفها في بني نهد، وتعد قبيلة نهد من أهم قبائل جنوب الجزيرة العربية منذ عصور ما قبل الإسلام، والنهد في اللغة: العظيم الخلق من الناس والخيل، يقال رجل نهد، وفرس نهد، انظر: الاشتقاق: ١/١٦.

ترتمي بنا العيس(٤)، نستخلب الصبير(٥) من أرض بعيدة النطاء(٦)، غليظة الوطاء(٧)، قد نشف المُدْهن(٨)، وييبس الجُعْثُن(٩)، وسقط الأملوج(١٠)، ومات العُسلوج(١١)، وهلك الهدال(١٢)، وفاد(١٣) الودي(١٤)، برئنا إليك يا رسول الله من الوثن والعِنن(١٥) وما يُحدث الزمن، ولنا نعمة همل(١٦) أغفال(١٧)، ووقير(١٨) قليل الرِّسْل(١٩)، أصابتنا سنة حمراء(٢٠) أكدى فيها الزرع(٢١)، وامتنع فيها الضرع، ليس

---

(١) غورى بفتح الغين المعجمة والراء وإسكان الواو بينهما: القعر من كل شئ غورى ما انحدر منها.

(٢) الأكوار جمع كور بالضم: الرحل بأدواتها.

(٣) الميس بفتح الميم وإسكان التحتية ومهملة خشب صلب تعمل منه أكوار البعير.

(٤) العيس: النوق البيض مع شقرة يسيرة أو الإبل مطلقاً.

(٥) الصبير: السحاب المتفرق الأبيض.

(٦) النطاء: البعد.

(٧) الغائلة بالغين المعجمة التي تغول سالكيها، أي: يذهب بها ويهلكها لبعده، والنطاء بالكسر: البعيد.

(٨) المدهن بضم الميم والهاء من النوادر التي جاءت على خلاف القياس والقياس بالكسر، وهي: نقرة واسعة تكون في الجبل يستنقع فيها الماء.

(٩) الجعثن: أصل النبات.

(١٠) الأملوج: ورق كالعيدان يكون لضروب من شجر البر.

(١١) العسلوج: الغصن.

(١٢) الهدال: ضرب من الشجر.

(١٣) وفاد: مات.

(١٤) الودي: الغسيل.

(١٥) العنن: الاعتراض يقال عن لي الشيء إذا اعترض.

(١٦) الهمل: المهملة بلا راع لها ولا فيها من يصلحها.

(١٧) الأغفال: جمع غفل، وهي التي لا ألبان لها.

(١٨) الوقير: الشاء براعيها.

(١٩) الرسل: اللبن والرسل ما يرسل منها إلى المرعى.

(٢٠) سنة حمراء: أي سنة جدب.

(٢١) أكدى: انقطع.

لها عَلَل(١) ولا نَهَل(٢).

فقال ﷺ: «اللهم بارك لهم في محضها(٣) ومخضها ومذقها(٤)، واحبس الزمن بيانع(٥) الثمر، وافجر لهم الثمد(٦)، وبارك لهم في الولد»(٧).

ثم كتب معه كتاباً نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى بني نهد، السلام عليكم، من أقام الصلاة كان مؤمناً، ومن آتى الزكاة كان مسلماً، ومن شهد أن لا إله إلا الله لم يكتب غافلاً، لكم في الوظيفة(٨)، ولكم العارض(٩)، والفريش(١٠)، ما لم تضمروا إماقاً(١١)، ولم تأكلوا إرباقاً(١٢)»، فقال عليٌّ رضي الله عنه: "بأبي أنت وأمي يا رسول الله بنو أب واحد ونشأنا في بلد واحد وإنك لتكلم وفود العرب بلسان ما يفهم أكثره"، فقال ﷺ: «إن الله أدبني فأحسن تأديبي، ونشأت في بني سعد»(١٣).

---

(١) العلل: الشراب الثاني.

(٢) النهل: الشراب الأول.

(٣) المحض: الخالص.

(٤) المذق: خلط اللبن بالماء.

(٥) اليانع: المدرك.

(٦) الثمد: الماء القليل.

(٧) أخرجه ابن الجوزي في الحدائق: ٢٥٦/١، كتاب: فضائل نبينا محمد ﷺ، باب: (٣٢) ذكر الوفود على رسول الله ﷺ، وفد نهد (٤)، وبيان غريب ألفاظ هذه الرواية جلها من كتاب: (الفائزون بدعاء النبي ﷺ): ١٤٠.

(٨) الوظيفة: كل ما يقدر.

(٩) العارض: المريضة.

(١٠) الفريش: التي وضعت حديثاً كالنفساء من النساء.

(١١) الأماق: الأنفة والجرأة.

(١٢) إرباقاً: جمع ربق وهو الحبل، والمعنى: ما لم تقطعوا رباق العهد في أعناقكم.

(١٣) أخرجه ابن الجوزي في الحدائق: ٢٥٦/١، كتاب: فضائل نبينا محمد ﷺ، باب: (٣٢) ذكر الوفود على رسول الله ﷺ، وفد نهد (٤).

ومن الكتب المؤلفة في هذا الموضوع كتاب: (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، لمصطفى صادق الرافعي، وكتاب: (فصاحة الرسول المصطفى وبلاغته) لعادل البدري.

واللغة النبوية لها علاقة بعصره ﷺ فارتباط اللغة بالواقع الاجتماعي أمر لا شك فيه ولا مراء(١)، وهذا فيه حجة على أصحاب علم اللغة الاجتماعي ونظرياتهم ونظرياتهم في هذا الشأن، ويمكن أن أستدل لذلك بجملة من الأحاديث، شملت ألفاظاً لا يعرفها إلا النبي ﷺ، ويجهلها حتى كبار الصحابة؛ لأنها لم تكن معروفة في بيئتهم، ومثاله ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «كانتِ امرأتان معهُما ابناهما جاء الذئبُ فذهب بابن إحداهما فقالت لصاحبتها إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك؛ فتحاكمتَا إلى داودَ عليه السلام فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلامُ، فأخبرتاهُ، فقال ائتونِي بالسّكين أشقّه بينهُما، فقالت الصّغرى لا تفعل يرحمُك الله هو ابنها، فقضى به للصّغرى»، قال أبو هُريرةَ: والله إن سمعتُ بالسكين قطّ إلا يومئذ وما كنا نقول إلا المُدْية(٢).

قال ابن فارس: "كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائهم وقرابينهم، فلما جاء الله جلَّ ثناؤه بالإسلام حالت الأحوال...ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زيدت...فالوجه في هذا إذا سئل الإنسان عنه أن يقول: في الصلاة اسمان لغوي وشرعي، ويذكر ما كانت العرب تعرفه، ثم جاء الإسلام به..."(٣)، فلا بدَّ إذن

(١) انظر: الحديث فهماً وتنزيلاً: ٦.

(٢) متفق عليه، واللفظ لمسلم، صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب: إذا ادعت المرأة ابنا، برقم: (٦٣٨٧)، وصحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب: بيان اختلاف المجتهدين، برقم: (١٧٢٠).

(٣) الصاحبي: ٤٤، ٤٥، ٤٦.

على الناظر في الحديث أن لا يغفل مثل هذا الأمر؛ لهذا يصير العلم بالسياق وواقع البيئة القرشية واليثربية منذ أربعة عشر قرناً، والتي قال فيها النبي ﷺ الحديث أمراً مهماً في معرفة معنى اللفظ الوارد في الحديث.

وأهمية الحديث ترجع إلى أن القرآن يذكر أصول الإسلام بشكل مجمل دون تفصيل، والحديث النبوي هو الذي يفصّل بعضها أحياناً فيبيّن جزئيات الآية، فمثلاً القرآن يذكر الصلاة والزكاة بصورة مجملة مع العلم أنهما من أركان الإسلام، فيقول تعالى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ﴾(١)، فجاءت السنة النبوية بذكر أوقات الصلاة وكيفيتها، كما فصّلت الأحاديث الشريفة كيفية جمع الزكاة وقواعدها وفصَّلت أيضاً كثيرًا من الأمور الاجتماعية والأخلاقية والإنسانية وبهذا كان الحديث النبوي مبيناً للقرآن.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يسمعون حديث الرسول ﷺ في حياته، وكان الرسول ﷺ يحثهم على ذلك، ويكرر عليهم الحديث ليحفظوه، ويتأنى في كلامه ليؤخذ عنه، ويتخولهم في النصيحة والموعظة الحسنة، كل ذلك من أجل أن يبلغوا حديثه ﷺ، ويعوه قبل ذلك ويعملوا به، فقد كان الشاهد الحديثي وما يزال مادة لغوية تناولها العلماء بالشرح وبيان الغريب والمشكل، ودخلت الأحاديث الشريفة موضوعات معاصرة كالإعجاز العلمي وغيره.

وإذا كان للقرآن الكريم أثر في اللغة والادب فإن للحديث أثراً فيهما كذلك، ومعلوم أنَّ الحديث لا يبلغ أثر القرآن الكريم لأنه دونه في البلاغة، وإن كان قائله أبلغ العرب قاطبة وأفصحهم، ومن آثار الحديث النبوي أنه كان له أثر مع القرآن الكريم في انتشار اللغة العربية وفي حفظها وبقائها، وكذلك أثر في توسيع المادة اللغوية بما أشاع من ألفاظ شرعية لم تكن تستخدم من قبل هذا

---

(١) سورة البقرة: ٤٤.

الاستخدام الخاص، وقد أقبل كثير من طلبة العلوم الشرعية وغيرهم على حفظه وشرحه والاستنباط منه.

ومن تأثيره أيضاً نشأة الكتابة التاريخية لا في السيرة النبوية وسننها فحسب؛ بل أيضاً في تراجم المحدثين للحكم لهم أو عليهم فيما نقل عنهم، وهذا هو السبب في أن المسلمين أشد الامم عناية بتواريخ رجالاتهم على نحو ما نعرف في مثل طبقات ابن سعد وأسد الغابة والإصابة والاستيعاب وميزان الاعتدال. فالحديث هو الذي فتح باب الكتابة التاريخية وهيأ لظهور كتب الطبقات في كل فن وهذا غير ما نشأ عنه من علوم الحديث وغير مشاركته في علوم التفسير والفقه، مما بعث على نهضة علمية رائعة.

وإذا كانت الدراسات اللغوية المعاصرة تعج بمفهوم الراوي اللغوي، ويصطلحون عليه بـ (Informant)(١) فإن الدراسات الحديثية أدق من الدراسات اللغوية القديمة والحديثة في موضوع لغة الراوي وأسبق.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية شواهد حديثية في ضوء النظرية التحويلية التوليدية

ذكرنا في مقدمة البحث أن من بين النظريات التي يمكن عدها وجها من وجوه تحليل النصوص النبوية إعرابياً ضمن الصناعة النحوية النظرية التحويلية التوليدية، وهذه النظرية تقوم على التفريق بين النحو Syntax والقواعد Grammar، ويتبنى التركيب النحوي فيها على البنية السطحية Surface Structure التي تعبر عن الكلمات التي ينطق بها المتكلم والبنية العميقة Deep Structure التي تعبر عن الفكر.

وإنَّ ما انكشف لمؤسس النظرية تشومسكي وجماعته التحويليين في

(١) انظر: **مناهج البحث في اللغة**: ٦٨.

مستوى الدلالة للجملة في بنيتها العميقة والسطحية قد انكشفت من قبل لابن هشام وعبد القاهر الجرجاني، ويظهر ذلك في احتكامهم إلى المعنى في تراكيب لغوية متعددة (١).

وقد طبق هذه النظرية بعض علماء العربية المحدثين(٢) على النصوص العربية، وسنأخذ بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر في نحو اللغة وتراكيبها للأحاديث النبوية، وتتعلق هذه النظرية بالمتكلم والمستمع على حد سواء فهما موضوع اللغة في هذه النظرية من خلال رؤيتها لهذا التجانس في الاتصال الكلامي، ومما شجعني على اختيار هذه اللغة هو اهتمامها بالنص اللغوي وربطه بالمتكلم والمستمع، حيث أن بعض النظريات تؤمن بفصل الكلام عن المتكلم، وتتبنى نظرية "موت المؤلف"، في حين أن هذه النظرية تثبت وجود متكلم افتراضياً وإن كان غائباً في الواقع، ولذلك تسمي "الفعل" الكلامي الذي قام به "الفاعل" بأنه إنجاز لغوي، حيق أن هناك فرد أنتج أصوات وعبارات، ومن ثم تقوم هذه النظرية بوصف القدرة اللغوية إن كانت بليغة أو ضعيفة، جيدة أو رديئة، فيها صناعة نحوية أو لحن وأخطاء، ومن هنا سميت تحويلية توليدية التي تحولد القواعد النحوية إلى جمل معربة، وتولد من النحو معاني مفهومة وواضحة.

وفيما يلي بعض الأساليب اللغوية وتطبيقاتها على النصوص الحديثية على وفق هذه النظرية:

١- أسلوب الذم:

حديث: قال رسول الله ﷺ: «بئسما للرجل أن يقول نسيت سورة كيت

---

(١) انظر: نظرية النحو العربي: ٦٤.

(٢) انظر: مقدمة في اللسانيات: ١٥٦، البنية التحتية بين الجرجاني وتشومسكي، خليل عمايرة، مجلة الاقلام: ٨٨.

وكيت، أو نسيت آية كيت وكيت»(١) فجملة: بئسما للرجل أن يقول جملة تحويلية أصلها التوليدي: يقول أحدكم / جملة توليدية تفيد الإخبار المحايد.

فعل + فاعل (مضاف + مضاف إليه).

يقول الرجل: بالتقديم = الرجل يقول = فاعل مقدم لغرض العناية + فعل وبإجراء (لـ) كعنصر زيادة، وإضافة (أن) اقتضاء للفعل تصبح الجملة: للرجل أن يقول، وبإجراء (بئسما) كعنصر زيادة لإفادة الذم كما يأتي: بئسما للرجل أن يقول = بئسما لـ + فاعل مقدم لغرض التوكيد + أن + فعل = مفعول به مقدم لعنصر التوكيد، مفعول به مقدم لعنصر التوكيد (فاعل + أن + فعل).

٢- أسلوب النهي:

حديث: قال رسول الله ﷺ: «فلا تتبايعوا الثمرة حتى يبدو صلاحها»(٢).

الجملة: فلا تتبايعوا الثمرة حتى يبدو صلاحها / جملة تحويلية أصلها التوليدي: تتبايعون الثمرة / وتفيد الإخبار المحايد.

فعل + فاعل + مفعول به

لكنه لا يريد الإخبار المحايد؛ النهي عن بيع الثمرة حتى يظهر صلاحها، ولتحقيق ذلك أدخل عنصر التحويل (لا) الناهية الجازمة كما يأتي:

فلا تتبايعوا الثمرة حتى يبدو صلاحها

عنصر تحويل يفيد النهي: (فعل + فاعل + مفعول به + قيد مخصص)

فهي جملة تحويلية جرى التحويل فيها بالزيادة، زيادة (لا) الناهية الجازمة؛

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل القرآن، باب الأمر بتعهد القرآن، برقم: (٢٢٨): ١/٥٤٤.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البيوع: ٢٥٣/٣، وصححه الألباني.

لإفادة النهي عن بيع الثمرة حتى تنضج.

٣- أسلوب التحضيض:

حديث: قول النبي ﷺ: «فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك»(١).

الجملة: فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك / جملة تحويلية أصلها التوليدي تلاعب بكراً / مع حذف الفاعل للعلم به.

فعل + كلمة محذوفة من الجملة + مفعول به

وبإجراء عنصر الترتيب بتقديم المفعول به للأهمية والعناية تصبح الجملة:

بكراً تلاعبها ← الأصل: تلاعب بكراً، بكراً ← بالتقديم = بكراً تلاعب بكراً

وبإبدال الظاهر بمضمر ← بكراً تلاعبها = (مفعول به + فعل + كلمة محذوفة من الجملة + ضمير). لكن الحديث يريد الحث على الزواج من بكر لصفات تختص بها من غيرها، وبإجراء عنصر التحويل (هلا) بالزيادة؛ لإفادة معنى الحث تصبح الجملة:

هلا بكراً تلاعبها = عنصر تحويل لإفادة التحضيض (مفعول به مقدم لغرض التوكيد + فعل + فاعل محذوف + ضمير).

عنصر تحويل لإفادة التحضيض (مفعول به + فعل + كلمة محذوفة من الجملة + ضمير). فالجملة تحويلية، جرى التحويل فيها بالترتيب والزيادة والحذف؛ لإفادة معنى الحث على الزواج من البكر.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في النكاح، باب: (١٠)، (١٢٢)، (١٢٣)، حديث: (٥٠٧٩)، (٥٠٨٠)، (٥٢٤٥)، (٥٢٤٧)، ومسلم في الرضاع، باب استحباب نكاح البكر، حديث: (٧١٥).

٤- **أسلوب الإغراء:**

حديث: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «عليك بكتاب الله»(١).

الجملة: عليك بكتاب الله.

شبه جملة (جار ومجرور) + ﻟ (اسم مضاف + مضاف إليه)

أصل الجملة التوليدي: كتاب الله عليك / وتفيد الإخبار المحايد، ثم حدث في الجملة تقديم وتأخير لغرض العناية والاهتمام: كتاب الله عليك ← بالترتيب = عليك كتاب الله، وهي جملة خبرية فيها عناية واهتمام؛ لكن الحديث لا يريد الإخبار؛ بل يريد معنى آخر فيه حث وتوكيد على التمسك بكتاب الله؛ لأنه حبل الله المتين، والصراط المستقيم، وبإجراء عنصر التحويل (ﺑ) كعنصر تحويل بالزيادة للمعنى الذي يريده الحديث وهو تأكيد التمسك بكتاب الله، تصبح الجملة: عليك بكتاب الله/مع تغيير حركة المسند إليه.

شبه جملة (جار ومجرور) + ﺑ (اسم مضاف + مضاف إليه)

شبه جملة ــ جار ومجرور + (اسم مضاف + مضاف إليه)

٥- **أسلوب التنبيه:**

حديث: أن المسلمين لما انصرفوا من بدر الى المدينة استقبلهم المسلمون يهنؤهم بالفتح وبسألوهم عمن قتل، فقال سلمة بن وقش: ما قتلنا أحدا به طعم، ما قتلنا إلا عجائز صلعاً، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال:

(١) كتاب التاريخ الكبير: ٢٢/٢.

«أولئك يا بن أخي الملأ»[1].

الجملة: أولئك الملأ/جملة توليدية تفيد الإخبار المحايد، وبإضافة عنصر تنبيه لإفادة المخاطب أهمية الملأ، تصبح الجملة: يا بن سلمة أولئك الملأ.

جملة تحويلة جرى التحويل فيها بالزيادة، وللتأكيد على أهمية القوم قدمهم، فأصبحت الجملة:

أولئك يا بن سلمة الملأ / فهي جملة تحويلية بالزيادة والترتيب ←

(مبتدأ + تنبيه يتضمن عنصر تنبيه + منبه مركب + خبر = مبتدأ + تنبيه) عنصر تنبيه + منبه مركب + خبر.

فهي جملة تحويلية لإفادة تنبيه المخاطب أهمية القوم، وليس كما قال سلمة.

٦- أسلوب الاستفهام:

وحديث أبي قتادة أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: «متى توتر؟»، قال: أوتر من أول الليل، وقال لعمر: «متى توتر؟»، فقال: آخر الليل، فقال لأبي بكر: «أخذ هذا بالحزم»، وقال لعمر: «أخذ هذا بالقوة»[2].

الجملة: متى توتر ؟ / جملة تحويلية أصلها التوليدي:

(مبتدأ + خبر محذوف) ولا يمكن تجسيده، (توتر + كلمة محذوفة من الجملة).

وبإجراء (متى) كعنصر تحويل كما يأتي:

متى (توتر + كلمة محذوفة من الجملة) = عنصر تحويل يفيد الاستفهام (مبتدأ + كلمة محذوفة من الجملة)

فهي جملة تحويلية، جرى التحويل فيها بالحذف والزيادة لإفادة الاستفهام

---

(١) دلائل النبوة، برقم: (١٠٤١): ١٤٧/٣، وأخرجه الهيثمي في المجمع: ١٠/ ٢٤، وقال: وفيه حسين السلولي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الوتر، باب في الوتر قبل النوم، برقم: (١٤٣٤): ٢٦٨/١، وصححه الألباني.

عن الزمان.

الخاتمة

إن هذه الجولة الحديثية اللغوية مع كلام النبي ﷺ أثبتت أنه لغته ﷺ أنها لغة بشر استرضع في بادية بني سعد، ونشأ في أفصح بيئة وأبلغ مجتمع، ثم زاده الله من النبوة وحياً يجري على لسانه، فما من عربي تكلم مثله، فالقيمة اللغوية للحديث النبوي الشريف لا تخفى ولا تنكر، وأنها مادة ثرية بشواهدها للدرس العربي.

وإنّ هذا البحث الذي أجريناه تطبيقياً أثبت لنا ولغيرنا بأن كلامه ﷺ كان نحوياً، جارياً على لغة العرب، فلم يلحن يوماً؛ بل كان أسلوبه إضافة معرفية لفنون البلاغة وعلوم الفصاحة والبيان، والنظرية التحويلية التوليدية التي درسناها في البحث هي نظرية غربية نشأت في غير اللغة العربية وبعيدة عن البلاد العربية، ولكننا أردنا أن نبيّن في هذا البحث بأن كلامه ﷺ صالح للاستشهداد اللغوي في أحدث النظريات الألسنية ومستجدها، وهو ميدان دعوي للتعرف على لغة النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام، وكذلك هدف البحث إلى أن يتعمد مصطلحات هذه النظرية وإجراءاتها اللغوية على نصوص السنة النبوية لكي نحمل حديث النبي ﷺ على أعلى محامل الشرح والبيان، فإذا كان التحويليون والتوليديون يفرقون بين ما يسمى بـ (الجمل المقبولة)، وخلافه: (الجمل غير المقبولة وهي المخالفة للنحو)، فإن تطبيقاتنا على النصوص الحديثية المختارة التي أجريناها على هذه النظرية تؤكد في ضوء أدبيات هذه النظرية أن الإتصال بين المتكلم وهو النبي محمد ﷺ والمستمع المثالي وهو الصحابي أو الصحابية كان في أشد قوته التواصلية فهي جمل ناجحة في هذا الاختبار، حيث أن المقدرة اللغوية للمتكلم ﷺ أثبتت لنا أنه عليه الصلاة والسلام استطاع أن يحوّل المعلومات الذهنية التي كان يوحى بها من عند الله تعالى

إلى أداء منطوق ومسموع وواضح وبيّن، فهو عليه الصلاة والسلام كان في شبه عملية ترجمة كبيرة من لغة السماء إلى لغة الأرض -إن صحَّ التعبير، ومعانيه ﷺ كانت مفيدة لغةً وشرعاً، وكانت تراكيبه النحوية عليه الصلاة والسلام سليمة، وقد استطاع أن يتصرف في التراكيب وطريقة عرضها كما رأينا في الأساليب التي استخدمها في كلامه، فلم يكن كلامه كله أمراً، ولا كله نهياً، ولا كله استفهاماً؛ بل وكان بفصاحة لسانه وبلاغة أسلوبه يحول أسلوب التحضيض إلى عرض، وأسلوب الذم إلى تحذير، والإنشاء إلى خبر، والعكس.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم:

١) أبحاث ونصوص في فقه اللغة، د. رشيد العبيدي، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨م.
٢) الاشتقاق لابن دريد، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط/٣، د.ت.
٣) بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، أبو عودة عودة خليل، دار البشير، عمان، ١٩٩٠م.
٤) الحدائق، لابن الجوزي، تحقيق :مصطفى السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط/١، ١٩٨٨م.
٥) الحديث فهماً وتنزيلاً، زوهير بن أحمنه عبد السلام، (٦)، موقع الشهاب للإعلام، د.ت.
٦) دلائل النبوة، للبيهقي، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د. ت.
٧) سنن أبي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، د.ت.
٨) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، دار الفكر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٩) الصاحبي، لابن فارس، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي- القاهرة، د. ت.
١٠) صحيح البخاري، للإمام البخاري، دار العلوم الإنسانية، دمشق، ١٩٩٣م.
١١) صحيح مسلم، للإمام مسلم، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م.
١٢) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، ط/٢، القاهرة، ١٩٩٧م.
١٣) علم اللغة العام، توفيق محمد شاهين، مصر، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م.
١٤) الفائزون بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم، توفيق عمر سيدي، مركز الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، الناصرة، ط/١، ١٩٩٥م.

١٥) الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، دار المعرفة، لبنان، ط/٢، د. ت.
١٦) كتاب التاريخ الكبير، للإمام البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠١م.
١٧) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت- لبنان، ٢٠٠٣م.
١٨) اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، د. سمير شريف الستيتية، عالم الكتب الحديث، ط/١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
١٩) اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسيّ الفهريّ، منشورات عويدات، بيروت- لبنان، ١٩٨٦م.
٢٠) مبادىء اللسانيات، د. أحمد محمد قدور، دار الفكر- دمشق، ط/١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٢١) مجلة الأقلام، العدد: (٩)، بغداد، أيلول، ١٩٨٣م.
٢٢) مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل، الرياض، المجلد (٧)، العدد (٣)، رجب- رمضان، ١٤٢٦هـ.
٢٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي بكر الهيثميّ، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٩٩٩م.
٢٤) المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوريّ، تحقيق: محمود المطرجي، دار الفكر، بيروت - لبنان، ٢٠٠١م.
٢٥) مسند أحمد، المكتب الاسلامي، بيروت، ط/٢، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٢٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م.
٢٧) مقدمة في اللسانيات، عاطف فضل محمد، دار المسيرة للطباعة والنشر، عمان- الأردن، ٢٠١١م.
٢٨) مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء/المغرب، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
٢٩) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، د. نهاد الموسى، مؤسسة الرسالة/الشركة المتحدة- بيروت، د. ت.



الأدب النبوي

مزاياه وخصائصه

د. سيد أحمد الله بختياري[1]

المقدمة:

إنَّ الله ﷻ لما أوحى إلى خاتم أنبيائه وأفضل مرسليه محمد بن عبد الله – عليه الصلاة والسلام – ما أوحى من القرآن؛ جعل كلامَه أفصح وأبلغ حيث لا يماثله كلام على وجه الإطلاق، وعلى ذلك عجزت العرب عن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وهذا سر إعجازه.

وكان النبي ﷺ مفسِّر للقرآن؛ لأنه هو الموحي إليه، فكل ما صدر عنه ﷺ من قول وفعل وتقرير وصفة كان تفسيراً للقرآن وبياناً للفرقان، وكان خلقه القرآن لما كان حديثه وحياً غير متلو. ومن هنا نعرف أن الحديث النبوي أكبر ثروة أدبية وعلمية، وهو يشتمل على جميع أطراف البلاغة من المعاني والبيان والبديع.

وانطلاقاً من هذه المكانة السامية لأدب الحديث النبوي، ونظراً إلى أهمية الموضوع؛ تراءى لي أن أعرض في هذا البحث بعض الأضواء على "أدب الحديث النبوي".

المبحث الأول: الخصائص الأدبية للأحاديث النبوية:

إنَّ أدب الحديث النبوي مَنَزَّه عن اللغو، وبعيد عن الباطل، كما أنه يبعد كذلك عن العبث، فحيث لا يجد القارئ في ذلك الأدب استهزاءًا لأحد من الناس؛ كما لا يجد فيه سخرية لأحد؛ بل يجد المزاح الحقيقي – أحياناً – في أدب الحديث النبوي ﷺ وهو الأدب ليس فيه كذب، ولا خداع، وإنما كان أدب الحديث النبوي في توضيح القرآن،

[1] المحاضر في قسم الحديث النبوي في الجامعة الإسلامية بحيدرآباد (الهند).

وتفسير كلماته، أو في تقرير أحكامه، أو فيه تفصيل لإجماله، أو تقييد لإطلاقه، أو فيه حكمة ينتفع بها الناس في دينهم، وفي دنياهم بعبارة هي في الفصاحة والبلاغة والإيجاز والبيان في الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم؛ لأن أدب الحديث النبوي يشير إلى الخير، ويرشد إلى الصلاح، ويدعو إلى البر، وينادي إلى الفلاح.

وينطق أدب الحديث النبوي الأحوال البرزخية؛ كأننا نراها، «وإذا أقبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكَر، والآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله؛ أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم إنك تقول هذا؛ ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين، إلى آخره ... »[1].

ويقدِّم أدب الحديث النبوي مناظر الآخرة، كأننا نحن فيها، ونسير فيها، ونمشي إليها: «ما منكم من أحد إلا وسيكلّمه الله يوم القيامة، ليس بين الله وبينه تُرجمان، ثم ينظر فلا يرى شيئاً قدّامه ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار فمن استطاع منكم أن يتقي النار! ولو بشق تمرة!!» [2]، وكذا في حديث آخر: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر من عن أيمن منه فلا يرى إلا شيئاً قدمه ثم ينظر من عن أيسر منه فلا يرى إلا شيئاً قدمه ثم ينظر أمامه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل»[3].

ويشجّع أدب الحديث النبوي إلى فكرة الآخرة في أسلوب الترغيب والترهيب؛ كما يقدِّم هذا الأدب مشاهد القيامة بالإنذار والتبشير اقتداءً بأسلوب القرآن الكريم.

---

[1] أخرجه الترمذي في الجامع، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، برقم: ٩٩١.

[2] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، برقم: ٦٠٥٨، و مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، برقم: ١٦٨٨، وابن ماجة في السنن، المقدمة، فيما أنكرت الجهمية، برقم: ١٨١، ١٨٣٣.

[3] أخرجه ابن ماجة في السنن، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، برقم: ١٨١.

ويحرِّك أدب الحديث النبوي في أسلوب الترغيب إلى عبادة الله تعالى وحده كما في حديث: «من صلّى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة بنى الله له بيتا في الجنة»[1].

ويذكر أدب الحديث النبوي نعماء الجنة كأننا نأكلها، ونتمتع بها، ونحصل التلذذ بها؛ كما يبين أدب الشريف الحلال والحرام في المأكولات والمشروبات.

ويفرِّق أدب الحديث الحق والباطل في العقائد والأفكار – هذا هو الدين –، ويميِّز الصواب والخطأ في العمل والسلوك – هذا هو الإسلام –، ويحدِّد الجواز في أمورنا، ويقرّر الحدود لعدم الجواز في شئوننا، ويوضِّح أدبه العلاقات بين الرجل وزوجته، بينه وبين أخيه – مسلمًا أو غير مسلم – وبينه وبين كبيره، بينه وبين صغيره.

١– التنوع والشمول:

ومن خصائص أدب الحديث النبوي الشريف التنوع والشمول لجميع أفراد البشر؛ فمثلاً: التاجر يأخذ تعليماته في مجال التجارة في هذا الأدب، كما في الحديث: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»[2].

والزارع يحصل إرشاداته في مجال الزراعة في أدب الحديث النبوي، كأحكام العشر، والخراج.

والمجاهد يجد توجيهاته في أدبه في ميدان جهاده وقت القتال؛ بأن لا يقتل طفلاً، ولا طفلة، ولا فتاة، ولا نساءً، ولا عجوزًا، ولا شيخًا، ولا يهدم الكنائس، ولا المعابد، ولا الصوامع، والقاعد من الجهاد يطلب من أدبه آداب القعود لنفسه؛ بأنه يساعد مساعدة مالية على عائلة المجاهدين وعلى أقاربهم الذين ساعدوا على المجاهدين مساعدات مختلفة – ليكون القاعد مجاهدًا، بإنفاق ماله، هذا هو الجهاد بالمال – ومن أهل المقاومة إذا كانوا يريدون الصلح ينالون الطريق إلى الصلح في

---

[1] أخرجه ابن ماجة في السنن، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة بين المغرب والعشاء، برقم: ١٣٦٣.

[2] أخرجه الترمذي في الجامع، كتاب البيوع، باب ما جاء في التجار وتسمية النبي ﷺ إياهم، برقم: ١١٣٠.

أدب الحديث النبوي.

والصنّاعون، وأصحاب الحِرف يجدون معالم الطريق في أدبه الكريم.

فكان أدبه الرفيع لا يترك أحدا من أفراد البشر إلاَّ ولهم هدايات وإرشادات في مجالاتهم المختلفة في أدبه، هذا هو التنوع والشمول.

وكذلك من خصائص أدب الحديث النبوي أنه يحدِّد دائرة الطاعة للأبوين الكريمين – تكون الطاعة في المعروف – فقط – وإطار الإطاعة للكبار والسادات؛ فلا تكون الإطاعة في معصية «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[1]، وبه نعرف سبل السلام، وبه نفهم العلاقات بين الأسرة وأفرادها، وبه نحصل الهداية، وبه نتصور الآخرة، وبه ينال المؤمن الفوز في الآخرة على عمله بعد علمه، والتمسُّك به وهي كلها في كلمات مختصرة، وفي عبارات موجزة، وفي جمل قصيرة «أوتيت جوامع الكلم»[2]، هذه هي الخصائص الأدبية في الأدب النبوي.

فتوجد في أدب الحديث النبوي دلالات ومنارات لحياة المؤمن، ولجميع شئونها، سواء كانت حياته الخاصة، من أمثال: السفر، والحضر، والجلوس، والقعود، والأكل، والشرب، والنوم، واليقظة، وغيرها....؛ كالأدعية المأثورة المنقولة المتواترة في الأمة المسلمة التي تظهر بها عبودية لله تعالى، وفيها إظهار للعبودية التي تكون مطلوبة من العباد، وفيها يظهر التواضع والمسكنة في جميع شئون العبد؛ هذا هو المطلوب من تخليق الإنسان ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وسواء كانت حياته العائلية، أو كانت حياته في بيته مع أفراد الأسرة، وغيرهم من الضيوف، والزوَّار، أو كانت حياته الاجتماعية التي فيها العلاقات الخارجية مع الأقرباء، والأصدقاء، والأحبة، وغيرهم من الجوار، أو كانت علاقاته السياسية المحلية أو الدولية، أو الدبلوماسية، أو

---

[1] أخرجه أحمد بن حنبل في المسند، برقم: ١٠٩٥، ٣٨٨٩.

[2] شرح السنة: للبغوي: ٣٨٨/٦.

غيرها التي يتعلّق بها المؤمن، وما من علاقة أو أية حالة طارئة عليه في حياته إلا ولها دلالة واضحة في أدب الحديث الشريف النبوي، وأدبه يكون للمؤمن مرشداً، فيسترشد من أدبه كل حين من الزمان؛ كما توجد في أدب الحديث النبوي هدايات وإرشادات لحياة المشرك، ولغيره، تحكم عليها دولة الإسلام ليكون المشرك على وعده، والمعاهد على عهده، والمسالم على معاهدة سلمه؛ فتكون الإنسانية محفوظة من جميع الشرور والفتن — كالفتن الحاضرة – لكي تعيش الإنسانية بالأمن، والحفاظ، والراحة، والرخاء، هذا هو التناول والشمول في أدب الحديث النبوي لحياة المؤمن وشئونه، ولحياة المشرك وبعض شئونها.

٢– أدب الحديث النبوي محيط بالإنسانية:

ومن خصائص أدب الحديث النبوي: التفصيل، والترتيب، والتنظيم، والتقسيم، والتوزيع، والتأكيد، والتبيين، والوصية، والتحريض، والحثّ، والتحديد، والمنع، والعطاء، والأمر، والنهي، وغيرها، فقد فصَّل أدبه حقوق الذمِّيِّين، وحقوق المعاهدين، وحقوق المسالمين، ونظَّم أدب الحديث النبوي حقوق الأرامل، وحقوق المطلقات وقسمها على من يستحقها، وأكد حقوق الواجبات! ووزَّعها على من عليه الوجوب، وبيَّن أدب الحديث النبوي حقوق الزوجات: على أزواجهم وحقوق الأزواج على زوجاتهم، وأوصى حقوق الجار: وحثَّ حقوق المستحبات؛ كحقوق الأيتام، والفقراء، والمساكين، والمسافرين، وعدَّها من مصاريف الزكاة وحرَّضها على من عندهم استطاعة مالية، وحدَّد أدب الحديث النبوي المحاربة مع المسالمين؛ وغيرهم، إذا بدءوا المحاربة مع المسلمين، وأعطى أدبه كل ذي حق حقه؛ فكان أدب الحديث النبوي ديناً. وأمر هذا الأدبُ بإكرام الضيف وبإطعام الطعام؛ فعد الإكرام من علامات الإيمان بالله واليوم الآخر «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[١] وقدَّر أدبه مكانة الإنسانية،

---

[١] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، برقم:٥٥٥٩،

واحترام دمها؛ حتى ذراري المشركين في ميدان الجهاد؛ والنساء وقت القتال: وحكم أدبه دم الإنسان محذورًا في كل وقت وحين؛ إلا إذا كان دمه مباحا بسبب ارتكابه الجرائم المحدَّدة!! فقط!

ولتكون الأرض طاهرة من إراقة دم الإنسان؛ فقد عظَّم أدبُ الحديث النبوي دمَه، وعلَّم إكرامه، ومنع أدبه قلع الأشجار، وهدم البيوت! ولو كانت للأعداء! وهم في المقاتلة مع المسلمين في ميدان الحرب!! هذا هو الإسلام الحقيقي، وهل له علاقة بالإرهاب؟!! وهل في ذاك التعليم تعاليم الإرهابية؟! كما نهى أدب الحديث النبوي كثيراً من الأشياء في المعاملات مثل: «لا ضرر ولا ضرار»[1] وفي العبادات «لا يقبل الله صلاة إلا بطهور»[2]، والصدقات «ولا صدقة من غلول»[3] والعقوبات «أتشفع في حدٍّ من حدود الله»[4]، وإذا وقعت فيها شبهة يسقط بها الحدُّ، وأمر تجديد الإيمان «جدِّدوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله»[5].

ويجيز أدب الحديث النبوي لجميع المتطلبات اللازمة في حياة الإنسان؛ لأن الرسول ﷺ هو الرسول الآخر، ولن يأتي بعده رسول – أبداً – وهو نبيٌّ لا نبيَّ بعده، وهو آخر في سلسلة الأنبياء والمرسلين – صلوات الله عليه وعليهم، وسلام الله عليه وعليهم – فلهذا كلامه أي: أدب الحديث النبوي كفيل للإنسانية كلها، وشئون الإنسانية كلها، وشخصيته العظيمة الكبرى كفيلة لها، هذه هي الخصائص الأدبية، هذا

---

[1] أخرجه ابن ماجة في السنن، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، برقم: ٢٣٣٢، وأحمد بن حنبل في المسند، برقم: ٢٨٦٧.

[2] أخرجه ابن ماجة في السنن، كتاب الطهارة وسننها، باب لا يقبل الله صلاة بغير طهور، برقم: ٢٦٧.

[3] المصدر السابق.

[4] أخرجه أبو داؤد في السنن، كتاب الحدود، باب في الحد يشفع فيه، برقم: ٣٨٠٢، والترمذي في الجامع، كتاب الحدود، باب ما جاء في كراهية أن يشفع في الحدود، برقم: ١٣٥٠، وابن ماجة في السنن، كتاب الحدود، باب الشفاعة في الحدود، برقم: ٢٥٣٧.

[5] أخرجه أحمد بن حنبل في المسند، برقم: ٨٦٩٥.

هو أدب الحديث النبوي.

المبحث الثاني: نماذج الأدب العالي في أدب الحديث النبوي:

أولاً: نماذج من أدب الحديث النبوي في الأدعية المأثورة:

١) اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك[١].

٢) أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً، غفر له ذنبه[٢].

٣) بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم[٣].

٤) اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع غلبة الدَّين وغلبة الرجال[٤].

٥) اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً متقبلاً [٥].

٦) اللهم أجرني من النار[٦].

٧) اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني، ودنياي، وأهلي، ومالي، اللهم استر عورتي – وقال عثمان عوراتي – وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين

---

[١] أخرجه أبو داؤد في السنن، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم: ٤٤٠٧.

[٢] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه...، برقم: ٥٧٩.

[٣] أخرجه أبو داؤد في السنن، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم: ٤٤٢٥.

[٤] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة، برقم: ٢٦٧٩.

[٥] أخرجه ابن ماجة في السنن، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما يقال بعد التسليم، برقم: ٩١٥.

[٦] أخرجه أبو داؤد في السنن، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم: ٤٤١٧.

يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي[1].

٨) اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت..... اللهم إني أعوذ بك من الكفر، والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت..... اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت[2].

٩) اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت رب كل شيء، والملائكة يشهدون أنك لا إله إلا أنت، فإنا نعوذ بك من شر أنفسنا، ومن شر الشيطان الرجيم، وشركه وأن نقترف سوءا على أنفسنا، أو نجره إلى مسلم[3].

١٠)اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، وأعوذ بك من القسوة، والغفلة، والعيلة، والذلة، والمسكنة، وأعوذ بك من الفسوق، والشقاق، والنفاق، والسمعة، والرياء، وأعوذ بك من الصمم، والبكم، والجنون، والبرص، والجذام، وسيء الأسقام[4].

١١)اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة[5].

---

[1] أخرجه أبو داؤد في السنن، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم: ٤٤١٢.

[2] أخرجه أبو داؤد في السنن، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم: ٤٤٢٦.

[3] أخرجه أبو داؤد في السنن، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم: ٤٤٢٠.

[4] أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، برقم: ٣١٦.

[5] أخرجه أبو داؤد، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، برقم: ٤٤٢٢.

ثانياً: نماذج من أدب الحديث النبوي في الخطب:

خطبة رسول الله ﷺ في حجة الوداع:

الحمد لله! نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أوصيكم عباد الله! بتقوى الله!! وأحثكم على طاعته، واستفتح بالذي هو خير!

أما بعد! أيها الناس! اسمعوا مني أبين لكم؛ فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا! في موقفي هذا!

أيها الناس! إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقو ربكم؛ كحرمة يومكم هذا! في شهركم هذا!

ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها! وأن ربا الجاهلية موضوع! وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب! وإن دماء الجاهلية موضوعة! وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ّ!! والعمد قود!! وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير!! فمن زاد فهو من أهل الجاهلية!!

أيها الناس! إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه!! ولكنه؛ قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك، مما تحقرون من أعمالكم.....!!

أيها الناس! إن لنسائكم عليكم حقا! ولكم عليهن حق! ألا يوطئنَّ فرشكم غيركم! ولا يدخلن أحد تكرهونه بيوتكم! إلا بإذنكم!! ولا يأتين بفاحشة! فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن! أو تهجروهن في المضاجع!! وتضربوهن ضربًا غير مبرح! فإن انتهين، وأطعنكم! فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف....!! فاتقوا الله في النساء! واستوصوا بهن خيرًا!! ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!

أيها الناس! إنما المؤمنون إخوة!! فلا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه!! ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! فلا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض! فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي!! كتاب الله!! وسنتي!! ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!

أيها الناس! إن ربكم واحد! وإن أباكم واحد! كلكم من آدم! وآدم من تراب!! أكرمكم عند الله أتقاكم!! ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى!! ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! فليبلغ الشاهد منكم الغائب...!! والسلام عليكم ورحمة الله[1].

ليتني كنت أقدِّم المقارنة بين خطبته هذه، وبين الدستور العالمي الموجود في الأمم المتحدة، فتظهر الفوائد الكثيرة في الأولى، وتظهر النقائص في الثانية!!! وأما المسائل التي وجهت إليها الأمم المتحدة، فقد حلّها الإسلام قبل أربعة عشر قرنًا، وربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري حلاًّ حاسمًا، وحلاًّ جيدًا لها، كتحرير المرأة، وحقوق الإنسانية! وغيرها!!

المكالمة الوعظية في خطبة المباركة الثانية التي ألقاها في عاشر من ذي الحجة – يوم النحر – حين ارتفع الضحى، وهو على بغلة شهباء، والناس بين قائم وقاعد، وأعاد في خطبته هذه بعض ما ألقاه أمس، وهي خطبة عظيمة أدبية بليغة! هذا هو أدب الحديث النبوي.

أما المكالمة فهي جزء من المسرحية، وجزء من التمثيلية؛ كما أنها من الأجزاء الأساسية في الرواية، وغيرها من الفنون الأدبية الأخرى – الحديثة – في مجال العمل الأدبي، وبالمكالمة يستطيع القارئ والسامع، والناظر أن يدرك الحقائق الأساسية عن طريق الأسئلة والأجوبة – في لغة الحوار – التي توجد في النص الأدبي، وبها يفهم

[1] القول المبين في سيرة سيد المرسلين: لمحمد طيب النجار: ٣٨٧/١.

القارئ، والسامع، والرائي المعاني الشعورية من القِيَمِ التعبيرية، ويتلذذ من الأسئلة والأجوبة، اللتان توجدان في المكالمة، وبها تقرَّر المعاني في قلوب الناس ما دام النص باقيًا، وبها تتم الأغراض لصاحب النص، وبها تتم أهدافه التي يريد إفهامها، فبعض الأغراض الأساسية لا تتم إلا بها.

انظروا كيف كانت المكالمة في كلام الرسول المعصوم؟ وكيف كانت الأهمية تظهر بواسطتها لكلامه – عليه السلام –؟ وكيف تؤكد المعاني والأحكام من كلامه – عليه السلام –؟ في قلوب الناس – قلوب السامعين – وكيف تقشعر منها الجلود؟ وكيف نتصور بها الآخرة؟ وكيف تكون بها العواطف متوجهةً إلى المكالمة؟ انظروا كيف يسمع الناس إلى المكالمات؟ وكيف ينظرون إلى ألهيئات الطارئة على قائلها من سكوت وهيبة؟! فيكون الأثر من تلك الكلمات الأدبية المكالمية – وهي من أدب الحديث النبوي – أثراً كبيراً؟ فكيف تتحرك بها الأحاسيس؟ في نفوس السامعين والقارئين والناظرين.

مع أن المكالمات الأدبية توجد في الأدب الحديث كثيرة جدًّا؛ كما توجد في اللغات العالمية الحية – بكثرة –، هذه المكالمة الشهيرة في الأدب العربي في القديم والحديث، لا تدانيها المكالمات الأخرى – أبداً – مع أن أدب الحديث ﷺ ليس لأجل المكالمات!

قال: أي شهر هذا؟

قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسم!!

قال: أليس ذا الحجة؟

قلنا: بلى!

قال: أي بلد هذا؟

قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسم!!

قال: أليست البلدة؟

قلنا: بلى!

قال: أي يوم هذا؟

قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسم!!

قال: أيها الناس! إن الله قسَّم لكل وارث نصيبه في الميراث! فلا تجوز لوارث وصية! ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث! من ادعى إلى غير أبيه! أو تولى غير مواليه! فعليه لعنة الله! والملائكة! والناس أجمعين!! الولد للفراش، وللعاهر الحجر!!

قال: أيها الناس! إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عامًا و يحرمونه عامًا! إلى أن قال: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض! وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله!... إلى أن قال: منها أربعة حرم! ثلاثة متواليات! وواحد فرد!!

ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان[1].

وهذه العبارات الأدبية الخالصة هي نماذج من أدب الحديث النبوي ﷺ.

لا داعي لنا أن نقارن بين تلك المكالمة النبوية وبين المكالمات العربية، والإنجليزية في المسرحيات المشهورة.

ثالثاً: نماذج من قصص أدب الحديث النبوي:

مما لا شك فيه أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف، وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر، وتسترسل مع سياقه المشاعر، فلا تمل ولا تكد، ويرتاد العقل عناصرها، فيجني من حقولها الأزاهر والثمار.

وهذه الظاهرة الفطرية النفسية ينبغي للمربين أن يفيدوا منها في مجالات التعليم،

---

[1] أخرجها مسلم في الصحيح في باب حجة النبي ﷺ، وأبو داؤد في السنن، في باب أي وقت يخطب يوم النحر؟.

لاسيما التهذيب الديني الذي هو لب التعليم، وقوام التوجيه فيه[1].

ولما كان الرسول ﷺ أكبر المربين وأعظم والموجهين؛ استعمل هذا الأسلوب الأدبي – القصص – في أحاديثه، ومن ثم نرى كثيراً من الأحاديث النبوية جاءت بالأسلوب القصصي، ونورد بعض الأمثلة من الأحاديث فيما يلي:

١) بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالوا إلى غار في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل، فأطبقت عليهم.

فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة، فادعوا الله بها لعله يفرجها.

فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولى صبية صغار كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدى، وإنه ناء بي الشجر فما أتيت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب فقمت عند رءوسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فأفرج لنا فرجة نرى منها السماء، ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء.

وقال الثاني: اللهم إنه كانت لي ابنة عم، أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فطلبت إليها نفسها، فأبت حتى آتيها بمائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار، فلقيتها بها، فلما قعدت بين رجليها قالت يا عبد الله اتق الله، ولا تفتح الخاتم. فقمت عنها، اللهم فإن كنت تعلم أنى قد فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج لنا منها ففرج لهم فرجة.

وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق أرز فلما قضى عمله قال

[1] انظر: "مباحث في علوم القرآن"، لمناع القطان، ص: ٣١٠.

أعطني حقي. فعرضت عليه حقه، فتركه ورغب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا وراعيها، فجاءني، فقال اتق الله ولا تظلمني، وأعطني حقي. فقلت اذهب إلى ذلك البقر وراعيها. فقال: اتق الله ولا تهزأ بي. فقلت إني لا أهزأ بك، فخذ ذلك البقر وراعيها. فأخذه فانطلق بها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فأفرج ما بقي، ففرج الله عنهم[1].

٢) أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهر بن حرام، وكان يهدي للنبي ﷺالهدية من البادية، فيجهزه رسول الله ﷺإذا أراد أن يخرج.

فقال النبي ﷺ: إن زاهرا باديتنا، ونحن حاضروه.

قال: وكان النبي ﷺ يحبه، وكان دميما، فأتاه النبي ﷺيوماً، وهو يبيع متاعـــه، فاحتضنه من خلفه، وهو لا يبصره،

فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت، فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألو ما ألزق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبي ﷺ.

يقول: من يشتري العبد؟

فقال: يا رسول الله! إذا والله تجدني كاسداً.

فقال النبي ﷺ: «لكن عند الله لست بكاسد»[2].

٣) أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: كيف تصوم؟ فغضب رسول الله ﷺ من قوله، فلما رأى عمر غضبه.

قال: رضينا بالله ربًّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبيًّا، نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، فجعل عمر ﷺ يردد هذا الكلام حتى سكن غضبه.

فقال عمر: يا رسول الله! كيف بمن يصوم الدهر كله؟

---

[1] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الأدب، باب إجابة الدعوة من بر والديه، برقم: ٥٩٧٤.

[2] شرح السنة، كتاب الرؤيا، باب تأويل الثياب والفرش: ٣٧٧/٦.

قال: لا صام ولا أفطر – أو قال لم يصم و لم يفطر –

قال: كيف من يصوم يومين ويفطر يوماً؟

قال: ويطيق ذلك أحد.

قال: كيف من يصوم يوماً ويفطر يوماً؟

قال: ذلك صوم داود – عليه السلام –

قال: كيف من يصوم يوماً ويفطر يومين؟

قال: وددت أني طوقت ذلك.

ثم قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ من كل شهرٍ ورمضان إلى رمضان، فهذا صيام الدهر كله، صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله»[١].

رابعاً: نماذج الأمثال في أدب الحديث النبوي:

الأمثال جمع مثل، والمثل في الأدب قول محكي سائر يقصد به تشبيه حال الذي حكي فيه بحال الذي قيل لأجله، أي يشبه مضر به بمورده، مثل: «خذوا الحكمة ممن سمعتموها فانه قد يقول الحكمة غير الحكيم وتكون الرمية من غير رام»[٢] أي رب مصيبة حصلت من رام شأنه أن يخطئ، وقيل: إن المثل هو إبراز المعنى في صورة حسية تكسبه روعة وجمالاً، والمثل بهذا المعنى لا يشترط أن يكون له مورد، كما لا يشترط أن يكون مجازاً مركباً[٣].

وضرب الأمثال في البيان النبوي لم يأت لغاية فنية بحتة كغاية الأدباء في تزيين الكلام وتحسينه، وإنما جاء لهدف اسمي، وهو إبراز المعاني في صورة مجسمة

---

[١] انظر: "الجمع بين الصحيحين البخاري" لحميدي:١/٢٨٧، "الأصول في أحاديث الرسول" لابن الأثير، برقم: ٤٤٨١.

[٢] كنْز العمال، برقم: ٢٩٥٣٨.

[٣] انظر: مباحث في علوم القرآن، ص: ٢٨٢ – ٢٨٣.

لتوضيح الغامض، وتقريب البعيد، وإظهار المعقول في صورة المحسوس؛ كما أن ضرب الأمثال أسلوب من أساليب التربية، بحث النفوس على فعل الخير، وبحضها على البر، وبدفعها إلى الفضيلة، وبمنعها عن المعصية والإثم، وهو في نفس الوقت يربي العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم، لأجل ذلك ضرب النبي ﷺ طائفة من الأمثال في قضايا مختلفة وفي مواطن متعددة، وفي مناسبات عديدة.

نماذج من تشبيهات من الحديث النبوي:

١- مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر[١].

٢- مثل المجاهد في سبيل الله – والله أعلم بمن يجاهد في سبيله – كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة[٢].

٣- مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[٣].

---

[١] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام، برقم: ٥٠٠٧، وكتاب التوحيد، برقم: ٧٠٠٥، و مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن، برقم: ١٣٢٨.

[٢] أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله...، برقم: ٢٥٧٩ ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، برقم: ٣٤٩٠.

[٣] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، برقم: ٤٦٨٥.

خامساً: نماذج من الحِكَم في أدب الحديث النبوي:

الحكم جمع حكمة، والحكمة قول رائع موافق للحق سالم من الحشو، وهي ثمرة الحنكة ونتيجة الخبرة، وخلاصة التجربة، كقولهم: الخطأ زاد العجول[١].

ومن ينظر في الأحاديث النبوية، وما نص عليه العلماء بأنه روي بلفظه يعرف أنه – عليه السلام – أوتي جوامع الكلم وحقا ما يقوله الجاحظ من أنه لم يتكلم إلا بكلام قد حفّ بالعصمة وشُيد بالتأييد ويُسر بالتوفيق[٢].

ومن هنا نعرف أن الحديث النبوي جاء كثيرًا بأسلوب الحكمة، ونورد على ذلك بعض الأمثلة من الأحاديث النبوية الأدبية فيما يلي:

نماذج من الحكم النبوية:

- قوله ﷺ: «لا تزال أمتي على الفطرة ما لم يجدوا الأمانة مغنما والزكاة مغرماً»[٣].
- قوله ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»[٤].
- قوله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[٥].
- قوله ﷺ: «حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره»[٦].

---

[١] تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، ص: ١٨.

[٢] انظر: "البيان والتبيين" للجاحظ: ١٧/٢.

[٣] جامع الأحاديث: للسيوطي: ٥٦/١٨، كنْز العمال، برقم: ٥٥٠٤.

[٤] أخرجه الترمذي في الجامع، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، برقم: ٢٣٨٣، وابن ماجة في السنن، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، برقم: ٤٢٥٠.

[٥] أخرجه الترمذي في الجامع، كتاب الزهد، باب الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، برقم: ٢٢٢٦، وابن ماجة في السنن، كتاب الزهد، باب الحكمة، برقم: ٤١٦٠.

[٦] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات، برقم: ٦٠٠٩، ومسلم في الصحيح، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب، برقم: ٥٠٤٩.

سادساً: بعض نماذج لصور بديعية في أدب الحديث النبوي وأمثلتها:

ينقسم علم البديع إلى قسمين: المحسنات اللفظية، والمحسنات المعنوية، وتشتمل الأحاديث النبوية على كل من هذين النوعين البلاغيين، إلا أنني أكتفي بذكر بعض تلك المحسنات مع إيراد الأمثلة بالأحاديث النبوية.

فمن المحسنات اللفظية:

أ الجناس:

هو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى، وهو نوعان:

١- تام: وهو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي: نوع الحروف وشكلها، وعددها، وترتيبها.

٢- غير تام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدمة[١].

مثاله: قوله ﷺ: «الخيل معقود بنواصيها الخير الأجر...»[٢].

ب السجع:

هو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد [٣]، مثاله: قوله ﷺ: «اللهم أعط منفقا خلفًا، وأعط ممسكا تلفًا» [٤]، فالحديث النبوي مركب من فقرتين متحدتين في الحرف الأخير.

ومن المحسنات المعنوية:

جـــ الطباق:

---

[١] البلاغة والواضحة، ص ٢٦٥.

[٢] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإمارة، باب الخيل في نواصيحا الخير الأجر إلى يوم القيامة، برقم: ٣٤٧٩.

[٣] علم البديع، للدكتور عبد العزيز عتيق، ص ٢٠٦.

[٤] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: فأما من أعطي واتقى وصدق بالحسنى...، بالحسنى...، برقم: ١٣٤١، ومسلم في الصحيح، كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك، برقم: ١٦٧٨.

هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام، وهو نوعان:

(١) طباق الإيجاب: هو ما لم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً.

(٢) طباق السلب: هو ما اختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً[١].

مثاله: قوله ﷺ: «خير المال عينٌ ساهرةٌ لعين نائمة».

هذا الحديث النبوي يشتمل على الكلمتين: "ساهرة" و "نائمة" وهما ضدان، و لم يختلفا إيجابا وسلبا، فيسمى طباق الإيجاب.

د المقابلة:

المقابلة أن يؤتى بمعنيين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب[٢]، ومثاله: قال ﷺ للأنصار ﵃: «إنكم ما علمت تكثرون عند الفزع، وتقلُّون عند الطمع»[٣].

فبين النبي ﷺ صفتين من صفات الأنصار ﵃ في صدر الكلام وهما الكثرة والفزع، ثم قابل ذلك في آخر الكلام بالقلة والطمع على الترتيب.

هـــ تأكيد المدح بما يشبه الذم:

وهو ضربان:

١) أن يستثنى من صفة ذم منفية صفة مدح.

٢) أن يثبت لشيء صفة مدح، ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها؟ صفة مدح أخرى[٤].

مثاله من النوع الثاني: قوله ﷺ: «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش»[٥].

فالنبي ﷺ وصف نفسه بصفة ممدوحة وهي أنه أفصح العرب ولكنه أتى

---

[١] البلاغة الواضحة، ص: ٢٨١.

[٢] البلاغة الواضحة، ص: ٢٨٥.

[٣] جامع الأحاديث للسيوطي: ٢٠٥/٣٣، كتر العمال، برقم: ٣٧٩٥١.

[٤] البلاغة الواضحة، ص: ٢٩٢، ٢٩٣.

[٥] كشف الخفاء: للعجلوني: ٢٠١/١.

بعدها بأداة استثناء ثم أتى بصفة مدح أخرى، وهي أنه من قريش، فكان ذلك توكيدا للمدح الأول.

المبحث الثالث: الخصائص الفنية والفنون البلاغية في أدب الحديث النبوي:

أولاً: الخصائص الفنية في أدب الحديث النبوي:

أما الخصائص الفنية في أدب الحديث النبوي ﷺ فهي كثيرة جدًّا، ولا يمكن استقصاؤها، لذا أكتفي على الإشارة إليها – فقط – فكثير من علماء البلاغة كانوا يستخرجون المسائل البلاغية من الأحاديث النبوية – وهي الخصائص الفنية –، وهم كلهم أثبتوا – الحقيقة – أن الرسول الكريم – عليه سلام الله – كان خطيبًا بارعًا، وكان بليغًا كاملاً، وكان أدب الحديث النبوي قد وصل إلى القمّة الأدبية، وكانت بلاغته قد وصلت إلى ذروة سنامها، وكلامه بليغ، وأدبه عظيم أي: أدب الحديث النبوي وكله من الدين، وفيه خصائص فنية.

ومن الخصائص الفنية خطابات النبي العامة، وخطبه الخاصة عند الوفود، وإرشاداته العامة وقت الضرورة، ومواعظه الخاصة للأفراد عند الحاجة، والنصيحة الشخصية إثر حاجتها، والدعوة إلى الخير إذا مسّت الحاجة إليها، فكانت تلك المواضع – كلها – تشتمل على البلاغة في القِمة؛ حيث توجد فيها رعاية تامّة لمقتضى الحال، هذا هو أدب الحديث النبوي ما من كلام صدر من فمه المبارك، وما من كلمة خرجت من فيه الشريف – عليه السلام – إلا وفيهما مناسبة تامّة للحاضرين، والزائرين، والوافدين، والمقيمين، والمعذورين المستقلين منهم، وأصحاب الأعذار المؤقتة فيهم، وكان مشفقاً عليهم، وهو بالمؤمنين – المعذورين، وغيرهم – رءوف رحيم؛ فكان يفتِّشُ أحوالهم دائمًا، وكان يجلس معهم، ويأكل معهم، ويشرب معهم، وكان يعلمهم الأدب في الأكل والشرب وغيرهما، وقد بعثه الله تعالى لهذه الأغراض التربوية،

ويخالطهم، وكان يحبهم جميعًا، فترك لنا أسوةً مؤدَّبة، ولنا فيها براميج لحياتنا، وغيرهم من أصحاب الرحلة العاجلة على ركب، وكان ينصح لهم – للجميع – حسبَ أحوالهم، وحسبِ ظروفهم، وكان يكلّم كلامًا مطابقًا لحالهم، وكان يحدّث حديثا مطابقًا لحالة السائل الذي حضر في مجلسه المبارك لأجل سؤاله، فتوجد في جوابه مناسبة تامّة لمقتضي الحال، ففي مثل هذه المواقع المختلفة مع زائره، والوافد إليه، والوارد عليه، والمعذور لديه، والسائل له في حفلته الوعظية عند ختامها، تظهر الفنون البلاغية في كلامه معهم، وعند الحوار بهم، ووقت محادثتهم، وحين المخاطبة منهم، والتشرّف بالمكالمة معهم، هذه هي البلاغة توجد في أدبه العالي، وهي: تأتي بعد الفصاحة، فيكون الكلام فصيحًا أولاً، ثم يكون بليغًا ثانيا، فلم نجد في كلامه مخالفة للقياس اللغوي، وكانت البلاغة في كلامه موجودة في القمة، وكانت المطابقة فيه تمامًا لمقتضي الحال، هذا أدب الحديث النبوي، فكانت الأجوبة كلها تطابق لظروفهم الخاصة والعامة، مع رعاية الإطناب للأسئلة التي وجّهت إليه من العامة، والمساواة في الكلام عند الحوار، والإيجاز لدي الحاجة؛ هذه هي البلاغة النبوية، هذا هو الأدب في حديث النبوي.

وأما الإطناب في الكلام فهو: أن تكون الألفاظ كثيرة، ومعناها قليلة؛ لكي يفهم السامع تفصيلاً، وله مواضع في الكلام، وأما المساواة فهي: أن تكون الألفاظ مساوية للمعاني، ولها أيضًا مواقع في الحوار، وأما الإيجاز فهو اختصار الكلام، أي: ألفاظ الكلام تكون قليلة، والمعاني فيها كثيرة، وهذه الأقسام الثلاثة – الإطناب، والمساواة، والإيجاز – في أدب الحديث النبوي، ومازال موجودًا على الوجه الأتمِّ، حيث قال: «أوتيت جوامع الكلم»[1].

نذكر أمثلةً من المجاز اللغوي والتشبيه والاستعارة، والكناية من جميع أقسامها،

---

[1] شرح السنة أحاديث فقط: ٨٥٢/١ – ٣٨٨/٦.

في أدب الحديث النبوي، فمثلاً: مرة في جواب السؤال: "أي الأعمال أفضل؟" قال ﷺ: «الصلاة لأول وقتها»[١]. وأجاب مرةً ثانيةً لنفس السؤال: «إيمان بالله ورسوله»[٢] وأجاب مرةً ثالثةً: «جهاد في سبيل الله»[٣]. وأجاب مرةً رابعةً: «الصبر والسماحة»[٤]؛ وكذا في لفظ "الإسلام" سأل سائل: "أي الإسلام أفضل؟" أجاب ﷺ وقال: «من سلم المسلمون من لسان ويده»[٥]، وأجاب مرةً ثانيةً: «طيب الكلام، وإطعام الطعام»[٦].

وقال العلماء في شرح هذه الأحاديث النبوية: توجد في مثل هذه الأجوبة المختلفة للسؤال الواحد "الرعاية التامّة" لحالة السائل الذي سأل عن أفضل الأعمال عند ختام مجلسه الإصلاحية المباركة وقت الأسئلة، حيث أن الأول فيه شيء من الكسل في أداء الصلاة، فكان الجواب مطابقًا لحاله تمامًا، والسائل الثاني كان يوجد فيه شيئًا من حب النفس وشيئًا من حب المال، أرشده إلى الجهاد، لأنهما – حب النفس وحب المال – قد يؤدِّيان إلى الجبن، فأصلح له على تلك الحالة، هناك رجل يعامل معاملات قانونية مع الناس، ويحاسب مع عمّاله بالشدة، وليس عنده شيء من الرحمة والرأفة، وكان يفتش الجزئيات التي لا اعتبار لها في العرف، فقال له: «الصبر، والسماحة» أي: عليك الصبر على بعض العمّال، والعفو عن البعض؛ لأن البر حسن الخلق!! وجد في الرجل قلة الضيافة الإكرامية، وكان لا يخالط مع الناس طلقًا وجهًا! وقال في حقِّه: «طيب الكلام، وإطعام الطعام» هذه هي البلاغة النبوية، وهي من

---

[١] أخرجه الترمذي في الجامع، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الوقت الأول من الفضل، برقم: ١٥٥.

[٢] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، برقم: ١٤٢٢.

[٣] نفس المرجع.

[٤] أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الإيمان والرؤيا، برقم: ٣١٠٣٢.

[٥] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الإيمان، باب أي الإسلام أفضل؟ برقم: ١٠، ومسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، برقم: ٥٩.

[٦] أخرجه أحمد بن حنبل في المسند، برقم: ١٩٤٥٤.

الأحاديث الأدبية، وقال العلماء – أيضاً –: الاختلاف في الأجوبة يتعلق – أحياناً – بالأوقات المخصوصة؛ فيكون الجهاد فرضًا عند نفير العام من إمام الوقت – بعد بيعة الجهاد على يده – وكذا الإنفاق عند حاجته، وكذا الأعمال الصالحة الأخرى والأعمال الخيرية عند الحاجة إليها، نظرًا إلى اختلاف الأوقات، وهذا الأسلوب البلاغي يكون باقيًا إلى يوم القيامة، وكان معالجًا عظيمًا يعالج الناس بغاية الحكمة عن طرق شتّى، هذه هي الخصائص الفنية.

ثانياً: الفنون البلاغية في أدب الحديث النبوي:

التشبيهات لها مكانة عظيمة في علم البلاغة، ولها أقسام كثيرة، وأنواع متعدِّدة، والأحاديث النبوية مليئة بها، ومن هذا التشبه مجاز وله أيضًا أقسام كثيرة، ومن التشبيه أيضاً استعارات بأقسامها الثلاثة، وهذه الأقسام كلها: التشبيه، والمجاز، والاستعارة، توجد في أدب الحديث النبي ﷺ. وهذه بعض أمثلة منها، أعرضها فيما يلي:

١ – **التشبيه:**

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه»[1].

"المؤمن للمؤمن" مشبه.

"كاف" حرف تشبه.

"البنيان" مشبه به.

"يشد بعضه بعضًا" وجه الشبه.

"وشبك بين أصابعه" توضيح التشبيه – المزيد – أي: الاتحاد والاتفاق.

«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[2].

---

[1] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم، برقم: ٢٢٦٦.

[2] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الزهد والرقاق، باب، برقم: ٥٢٥٦، والترمذي في الجامع، كتاب الزهد، باب ما جاء أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، برقم: ٢٢٤٦، وابن ماجه في السنن، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، برقم: ٤١٠٣.

"الدنيا" مشبه.

"والكاف" حرف تشبيه محذوف.

"سجن" مشبه به.

"والكافر" مشبه.

"والكاف" حرف تشبيه محذوف.

"جنة" مشبه به.

"الحرية" وجه الشبه.

وهذا الحديث يشمل على تشبيهين مختلفين:

الأول: تشبيه المؤمن بالأسير الذي يسكن في السجن، وله قواعد وضوابط في الأكل والشرب، والنوم، والعمل، وغيرها، وحياته مشروطة في السجن - كحياة الأسير في السجن، للأسير قواعد، وكذا القواعد في حياة المؤمن؛ حيث له حدود في الحلال والحرام، وله شروط في حياته، في الأكل والشرب، والأخذ والرد، وأما حياة الكافر فهي تكون حرة، ولها حرية كاملة، لا قيود في حياته، ولا شروط فيها — كما تكون الحرة للمؤمن في الجنة، حيث يأكل بما يشتهي، وينام كيف يريد؟ وأين يريد؟ كما قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ [فصلت: ٣١]، قدّم الحديث الشريف صورتين مختلفتين: للحرية الكاملة والحياة مع القيود والشروط، بأن تكون الأعمال لدى المؤمن كلها تحت الشريعة وعلى طريقة المحمدية وعند الكافر تكون حرة كاملة وأنه يقضي حياته كالبهائم ويأكل كما تأكل الأنعام.

١) إن مثل ما بعثني الله به ﷺ من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً.

٢) فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير.

٣) وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا

وزرعوا.

٤) وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ.

٥) فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلَّم.

٦) ومثل من لم يرفع بذلك رأسا و لم يقبل هدى الله الذي أرسلت به [١].

وفي هذا الحديث النبوي البلاغي تشبيهات متعدِّدة، فيوجد المشبه والمشبه به بالكثرة، فشبه العلم بالغيث؛ لأنه – العلم – يحيى القلب الميت أحياء المطر البلد اليابس.

وفي التعبير بالغيث دون المطر نكتة لطيفة إذ الغيث مطر محتاج إليه يغيث الناس عند قلة المياه، وقد كان الناس متحيرين قبل بعثته ﷺ حتى أغاثهم الله بوابل علومه.

وشبه من ينفع به الأرض الطيبة، والشبه من يحمله و لم ينتفع به الأرض الصلبة الماسكة للماء فينفع به الناس.

وشبه من يحمله ولا ينتفع به بالقيعان:

وحقيقة هذا التشبيه مركب من عدة تشبيهات لأن الأول – المشبه – موقوف على آخره – المشبه به – أنه وصف الغيث بقوله: أصاب أرضا، فعلم أنه تشبيه واحد، وهو تشبيه الوحي النازل من السماء إلى من ظهر نفعه وإلى من لم يظهر بالغيث النازل من السماء إلى الأرض، فآثار المطر تظهر من أقسام ثلاثة حصول النفع وعدمه وكذا الإنسان ينقسم إلى أقسام ثلاثة في حصول النفع وعدمه، والشرح المزيد لهذا الحديث الشريف:

الطائفة الأولى:

---

[١] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم، برقم: ٤٢٣٢.

طائفة[1] طيبة، قبلت الماء فأنبتت الكلأ[2]، والعشب[3] الكثير مثل من فقه – الفقيه: هو عالم بأحكام الشرعية – فعلم وعلّم، أي: درس، ودرَّس، واشتغل بالعلوم الشرعية، فنفعه الله بما بعثني به، هذه الطائفة صارت سببًا لنفع الناس، كما تنفع الناس بالمطر النازل من السماء، والناس ينتفعون من العلم والهدى، كما ينتفعون بالمطر.

والطائفة الثانية:

وكان منها – من الأرض – أجادب[4] أمسكت الماء فانتفع بها الناس – أيضاً – بسبب إمساك الماء شربوا، وكانوا عطاشى، وسقوا البهائم ودوابّهم، ثم زرعوا الأرض من بقية الماء التي أمسكت الأرض، هذه القطعة من الأرض – أجدب – أيضا ينتفع الناس بها في حوائجهم المختلفة اللازمة لحياة الإنسان، مثلاً: الشرب، الغسل، والزراعة، وغيرها –.

الطائفة الثالثة:

وأصاب المطر إلى طائفة أخرى، منها، أي: قطعة من تلك الأرض التي أصابها المطر، وهي لا تمسك ماءً كالقطعة الثانية، ولا ينبت الكلأ والعشب، كالقطعة الأولى؛ بل هي قيعان[5]، فليست الفائدة بإنزال المطر عليها، وهكذا لا ينتفعون كثيرًا من الناس، بما بعثني الله بالعلم والهدى، والمراد به المسلمون.

٢ – المجاز:

المجاز من جاوز، يجاوز، مجاوزة، أي: تجاوز الشيء من مكانه، أي: من محله الأصلي، وأما ههنا يجاوز اللفظ من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، أي: استعمال اللفظ في غير

---

[1] الطائفة: قطعة من الأرض.

[2] الكلأ: المرعى، قيل: الكلأ مختص بالرطب، وقيل: الكلأ: الحشيش.

[3] العشب: اسم للنبات، نبتت بنفسها.

[4] أجادب: جمع أجدب، وهي الأرض التي لا تنبت – الكلأ والعشب –.

[5] قيعان: جمع قاع، وهي الأرض المستوية لا تمسك الماء ولا تنبت فيها الكلأ.

ما وضع له لعلاقة بينهما وهناك علاقات كثيرة بين الحقيقة والمجاز، عدَّها بعض العلماء تلك العلاقات بينهما؛ فقد وصلوا إلى أكثر من عشرين علاقة بينهما[1].

١- «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»[2].

هناك تشبيهان:

الأول: الناس معادن:

الناس مشبه.

معادن مشبه به.

والكاف حرف تشبيه محذوف تقديره.

الناس كمعادن، وجه الشبه

إما الخير أو إما الشر

لأن المعدن يشمل الخير والشر

وكذا الإنسان يشمل الخير والشر

والعلاقة بينهما، إما النفع أو إما الضرر.

الناس ليسوا معادنا حقيقة لأنهم أحياء يُرزقون، ويتحركون، والمعدن جماد لا حركة فيه. ولا حياة فيه مثل حياة الإنسان وهو لا يتحرك مثل حركة الإنسان، فتعذر استعمال الحقيقي – المعدن – للإنسان فرجعنا إلى المجاز والعلاقة بينهما النفع والضرر، فمعناه: يظهر بهم الخير كظهور الخير من المعدن، وكذا توجد عند كثير من الناس شر، فيصدر منهم الشر، وهم يفعلون الشر، ويمشون بالشر، والشر مع

---

[1] فعدّ العلامة محمد إبراهيم بلياوي – رحمه الله – ٢٤ قسماً للمجاز في كتابه "ضياء النجوم في شرح سلم العلوم.

[2] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنوده مجندة، برقم: ٦٧٠٩.

وجودهم.

والمعادن يوجد فيها الخير؛ كما يوجد فيها الشر، وعند البعض يوجد الخير، فبعض المعادن يشتمل فيها الجواهر المختلفة، والبعض الأخر يشتمل الأحجار التي لا فائدة فيها و لم توجدت الفائدة البتة.

الثاني: وجه الشبه اشتمال المعدن على الجواهر المختلفة؛ فكل معدن يخرج منه ما فيه من الذهب والفضة والجواهر الأخرى أو يخرج منه الأشياء التي لا فائدة فيه، وكذا كل إنسان يظهر منه ما في أصله من خسة أو شرف أو خلق عال، أو عادة دنيئة، أو أفعال حسنة، أو عادات خبيثة.

٣ – الاستعارة:

الاستعارة ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة دائما بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، وهي في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه.

وللاستعارة أنواع عديدة أذكر بعضا منها مع إيراد بعض الأمثلة من الأحاديث النبوية – الأدبية – حتى يتجلى أن الأحاديث النبوية لها قيمة أدبية وبلاغية بجانب قيمتها الدينية، فمن أنواع الاستعارة ما يلي:

(أ) الاستعارة التصريحية:

وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه[١].

مثالها: قوله ﷺ: «لا تستضيئوا بنار المشركين»[٢].

فاستعار "النار" للرأي والمشورة، أي لا تهتدوا برأي المشركين ولا تأخذوا بمشورتهم[٣].

---

[١] علم البيان: للدكتور عبد العزيز عتيق، ص: ١٧٦.

[٢] أخرجه النسائي في السنن، كتاب الزينة، برقم: ٥١١٤.

[٣] علم البيان: للدكتور عبد العزيز عتيق، ص: ١٧٦.

(ب) الاستعارة المكنية:

هي ما حذف فيها المشبه به ورمزله بشيء من لوازمه[1].

مثالها: أن رسول الله ﷺ طلع له "أحد" فقال: «هذا جبل يحبنا ونحبه»[2].

فجبل أحد هذا الجماد قد استحال بسحر الاستعارة إلى إنسان يجيش قلبه بعاطفة الحب وحذف المشبه به الإنسان، فصارت الاستعارة مكنية[3]. يقال لها: الاستعارة بالكناية.

هذان القسمان من أهم أقسام الاستعارة.

(جـ) الاستعارة التخييلية:

قال: ثلاث من كن فيه وجه بهن حلاوة الإيمان:

١) من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

٢) وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

٣) وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار[4].

توجد في هذا الحديث النبوي الأدبي استعارة تخييلية في لفظ حلاوة الإيمان المراد من حلاوة الإيمان، هو: استلذاذ الطاعات؛ وتحمل المشاق في الدين، وإيثار ذلك على أغراض الدنيا، ومحبة العبد لله تعالى، تحصل بفعل طاعته، وترك معصيته، وفي هذا الأسلوب وجدت استعارة تخييلية حيث شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو يكون لذيذا في الأكل، ويميل الإنسان إليه طبعًا، ويحبه، أثبت للإيمان لازم

---

[1] البلاغة الواضحة: على الجارم ومصطفى أمين، ص ٧٧.

[2] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم...﴾، برقم: ٣١١٦.

[3] علم البيان: للدكتور عبد العزيز عتيق، ص: ١٩٩ – ٢٠٠.

[4] أخرجه مسلم في الصحيح، في كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم:٦٠.

ذلك – أي الحلو – كما أن الحلو يرغب به الإنسان، وكذا يرغب المؤمن "الإيمان"، فقدم الصورة الحسية، هي الحلو في الشيء بالصورة المعنوية، هي للذة الإيمانية؛ لأنه استلذاذًا بالإيمان شيء معنوي، وهذه هي الاستعارة التخييلية.

كما أن الله تعالى سبحانه شبه الإيمان بالشجرة الطيبة في قوله: «مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة»[1]، فالكلمة هنا كلمة الإخلاص، والشجرة أصل الإيمان وأغصانها إتباع الأوامر؛ واجتناب النواهي؛ وزهرها ما يهمُّ به المؤمن من الخير وثمرها عمل الطاعات، وحلاوة الثمر جني الشجرة وغاية كما له تناهي نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها.

وفي هذا الحديث الشريف يوجد تشبيه آخر هو يكره الإنسان شبّه بكراهيته الحسية، وهي الكراهية الطبعية – دخول النار – بكراهيته المعنوية، وهي الإعادة إلى الكفر، وأن المؤمن يكره في طيلة حياته دخول الكفر، وكما يكره الإنسان من دخول النار طيلة حياته، هذه هي البلاغة النبوية في أدب الحديث النبوي.

وهناك أقسام أخرى أيضا تتفرع منها، وهي:

(١) الاستعارة الأصلية: هي ما كان فيه اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسماً جامداً.

(٢) الاستعارة التبعية: هي ما كان اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة مشتقاً أو فعلاً.

(٣) الاستعارة المرشَّحة: ما ذكر معها ملائم المشبه به.

(٤) الاستعارة المجردة: ما ذكر معها ملائم المشبه.

---

[1] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم:٦٠.

(٥) الاستعارة المطلقة: ما خلت من ملائمات المشبه به أو المشبه [1].

الخاتمة:

وهذه هي الخصائص العامة في أدب نبيِّنا العظيم خاتم الأنبياء والرسل محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم، وهي الخصائص التي لم توجد في "الأدب" عند أحدهم من الناس في لغاتهم، ولن توجد – أبدًا – عند أحد منهم في لغتهم، لا في العربية فحسب بل في اللغات العالمية الحية كلها.

وأنه نبيٌّ مرسل، وأنه رسول مبلِّغ، وهو البشير، وهو النذير، وهو الهادي والمهدي، وأنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤].

فكيف يكون الخلل، والفتور، والعوج واقعًا في أدب حديثه؟ فلم يمكن – فلن يمكن – أن يقع شيء في أدب الحديث النبوي ما يعيبه، لأنه هو الوحي غير المتلو، وهو بلغ إلى غاية السمو.

أهم مصادر البحث:

١) **البلاغة الواضحة:** لعلى الجارم ومصطفى أمين، دار المعارف بمصر.

٢) **البيان والتبيين:** لعمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي– القاهرة، ط٧، ١٩٩٨م.

٣) **تاريخ الأدب العربي:** أحمد حسن الزيات، دار الثقافة – بيروت.

٤) **جامع الأصول من أحاديث الرسول:** للإمام أبي السعادات مجد الدين بن الأثير الجزري، تحقيق: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر – بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٥) **الجمع بين الصحيحين:** لحميدي، دار ابن حزم – بيروت.

٦) **سنن أبي داود:** للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، دار السلام – الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ.

٧) **سنن ابن ماجه:** للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد الرَّبْعي ابن ماجه القزويني، دار السلام – الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ.

٨) **سنن الترمذي:** للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار السلام – الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

٩) **سنن النَّسائي:** للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النَّسَائي، ن: دار السلام – الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

[1] انظر: البلاغة الواضحة، ص ٨٤ – ٩٣.

١٠) **شرح السنة**: للإمام الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط والشيخ زهير الشاوش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٢، ع ١٤٠٣هـ.

١١) **صحيح البخاري**: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار السلام - الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ.

١٢) **صحيح مسلم**: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القُشيري، دار السلام - الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

١٣) **علم البديع**: للدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية — بيروت، ط١، ١٩٧٤م.

١٤) **علم البيان**: للدكتور عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية — بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

١٥) **القول المبين في سيرة سيد المرسلين لمحمد طيب النجار**: دار الندوة الجديدة بيروت — لبنان.

١٦) **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**: للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق: الشيخ أحمد القلاَّش، مكتبة التراث الإسلامي- حلب.

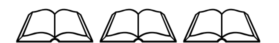
١٧) **كنْز العُمَّال في سنن الأقوال والأفعال**: للشيخ علي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٨) **مباحث في علوم القرآن**: للشيخ مناع القطان،، مؤسسة الرسالة — بيروت، ط٤، ١٩٩٥م.

١٩) **المسند**: للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشَّيْبَاني، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.

٢٠) **مصنَّف ابن أبي شيبة**: للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: الأستاذ كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢١) **المعجم الأوسط**: للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: الدكتور محمود الطحان، مكتبة المعارف - الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ.



علم الحديث
بين أهل السُّنَّة والشِّيْعَة

د. عبد الله محمد الحسبان[1]

المقدمة:

يخص هذا البحث بـ"علم الحديث" بين أهل السنة والشيعة، ويطرح أسئلةً مهمةً من خلاله: هل هناك فرق بين مفهوم "علم الحديث" عند أهل السنة وعند الشيعة؟ وهل عند الشيعة مفهوم يخصهم للحديث أو السنة النبوية؟ وكذلك ما هي أقسام الحديث عند أهل السنة وعند الشيعة؟ وما هي الأسس التي قام عليها علم الحديث وعلم الرجال عندهم؟

وفي هذه الدراسة قمت بتقسيم البحث إلى ثلاثة أقسام رئيسة وهي: المبحث الأول في مفهوم الحديث عند السنة و الشيعة. والمبحث الثاني في أقسام الحديث من حيث القبول عند السنة والشيعة. والمبحث الثالث في سبب ظهور تقسيم الأحاديث عند الشيعة.

وقد أوردت في هذا البحث آراء علماء أهل السنة موضحاً ردودهم، وكذلك آراء علماء الحديث عند الشيعة أنفسهم ومن كتبهم حتى أكون موضوعياً وناقلاً عنهم بأمانة دون تحيز.

المبحث الأول: مفهوم الحديث بين أهل السنة و الشيعة:

مفهوم الحديث عند أهل السنة:

أولاً: من حيث اللغة: فله معنيان الأول ضد القديم، والثاني وهو الكلام والخبر، وجمعه: أحاديث[2].

كما يُطلَق على الخبر والقصص. قال ابن منظور: " والحديث: الجديد من الأشياء. والحديث: الخبر يأتي على القليل والكثير، والجمع: أحاديث، كقطيع

---

[1] الأستاذ المساعد في كلية دراسات القرآن والسنة، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية.

٢ الفيروزآبادي:القاموس المحيط.ج١.ص١٦٤.

وأقاطيع"[1]، قال في القاموس المحيط: "والحديث: الجديد والخبر"[2] .
ثانياً: من حيث الاصطلاح فهو:" أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخُلقية والخلقية"[3]. وهي ترادف مصطلح "السنة" عند المحدثين[4].

ويُشير عبد الحقّ الدهلوي إلى أنه – أي الحديث–: يطلق على قول النبي ﷺ وفعله وتقريره، ومعنى التقرير: أنه فعل أحد أو قال شيئاً في حضرته ﷺ و لم ينكره و لم ينهه عن ذلك بل سكت وقرَّر "[5].

ويضيف البعض الى تعريف الحديث أنه قبل البعثة وبعدها وسيرته وحسن أخلاقه، وقد بَيَّنَ شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الأمر فقال: " الحديث النبوي عند الإطلاق ينصرف إلى ما حدث به بعد النبوة: من قوله وفعله وإقراره". ثم قال: "فإن سنته ثبتت من هذه الوجوه الثلاثة"، ثم أضاف ابن تيمية أنه يدخل في تعريف السنة ما يتعلق بسيرته وحسن أخلاقه؛ فقال – بعد أن تحدث عن بعض أفعاله وتقريراته –: "فهذا كله يدخل في مسمى الحديث، وقد يدخل فيها بعض أخباره قبل النبوة، وبعض سيرته قبل النبوة، مثل: تحنثه بغار حراء. ومثل حسن سيرته، كقول خديجة له:" كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق... "[6].

وقد تكلَّم أبو زهو عن مفهوم الحديث بتوسع اكثر، وانه يرادف لمفهوم السنة، يقول: " أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته، وصفاته الخلقية والخلقية وسيره،

---

١ ابن منظور محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الإفريقى، لسان العرب.ج٢، ص١٣٣.

٢ انظر القاموس المحيط مادة "حدث". (ج١، ص١٧٠).

٣ القاسمي محمد جمال الدين، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ص٦١.

٤ الخطيب.محمد عجاج.أصول الحديث علومه ومصطلحه. ص١٩.

٥ الدهلوي، عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري. مقدمة في أصول الحديث،.ص٣٣.

٦ ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، مجموع فتاوى، بن تيمية، ج ١٨، ص١٠.

ومغازيه وبعض أخباره قبل البعثة مثل تحنثه في غار حراء، ومثل حسن سيرته والسنة بهذا مرادفة للحديث النبوي"[1] .

أما عند علماء الشيعة فيعرفه الفضلي- أحد علماء الشيعة - الحديث بأنه: "كلام يحكي قول المعصوم[2] أو فعله أو تقريره، وبهذا ينقسم إلى صحيح وما يُقابله، وبهذا علم أن ما لا ينتهي إلى المعصوم فليس بحديث"[3].

قال شيخهم محمد رضا المظفر في تعريف السنة: "السنة في اصطلاح الفقهاء: قول النَّبي أو فعله أو تقريره"، ثم قال: "أما فقهاء الإمامية بالخصوص - فلما ثبت لديهم أن المعصوم من آل البيت يجري قولُه مَجرى قول النبي، من كونه حجة على العباد واجب الاتباع - فقد توسَّعوا في اصطلاح السنة إلى ما يشمل قول كل واحد من المعصومين أو فعله أو تقريره، فكانت السنةُ في اصطلاحهم: قولَ المعصوم أو فعله أو تقريره، والسر في ذلك أن الأئمةَ من آلِ البيتِ - عليهم السلام - ليسوا هم من قبيل الرواة عن النبيِّ والمحدِّثين عنه؛ ليكون قولهم حجة من جهة أنهم ثقات في الرواية، بل لأنَّهم هم المنصوبون من الله - تعالى - على لسان النَّبي لتبليغ الأحكام الواقعيَّة، فلا يحكون إلاَّ عن الأحكام الواقعية عند الله - تعالى - كما هي، وذلك من طريق الإلهام، كالنَّبي من طريق الوحي أو من طريق التلقِّي من المعصوم قبله؛ كما قال مولانا أميرُ المؤمنين ﷺ: علَّمني رسولُ الله ألفَ باب من العلم، ينفتح لي من كُلِّ باب ألفُ باب"[4].

ويقول محمد تقي الحكيم - وهو احد علماء الشيعة -: "والحق عند الشيعة الإمامية: أنَّ كل ما يصدر عن الأئمة الإثني عشر من قول أو فعل أو تقرير

---

١ أبو زهو. محمد محمد، الحديث والمحدثون، ص١٠.

٢ يقصدون بالمعصوم: الرسول محمد ﷺ أو أحد الأئمة الاثني عشر أو فاطمة!.

٣ الفضلي.عبدالهادي. أصول الحديث وأحكامه، ص٩.

٤ المظفر. محمد رضا. أصول الفقه، ج٢.ص٥١-٥٢.

يُعرَفُ بالسُّنة الشَّريفة"[1].

إذاً فالحديثُ أو السنة عند الشيعة: كلُّ ما نُقل عن النبي أو عن أحد المعصومين، وليس خاصّاً بالنبي ﷺ وحدَه فقط، ويُعَمّم اللّفظ على تعريفهم "السنة" أيضاً.

وبعبارة أخرى أنَّ اتصال السند إلى رسول الله ﷺ في أحاديثهم ليست لازماً في صحة النقل عن رسول الله ﷺ، بل يكفي أن يروى الحديث عن أحد من الأئمة الاثني عشر الذين يعتقدون عصمتهم، فيُعلم بذلك صحته ونسبته إلى رسول الله ﷺ؛ بل عندهم أن الإمام المعصوم إذا حدَّث بحديث يجوز لك أن تقول: قال الله !!.

يقول عبد الله فياض – أحد كبارشيوخ الشيعة المعاصرين –: "إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تصدر عنهم صحيحة دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبي ﷺ كما هو الحال عند أهل السنة"[2]. ويصف مُحَمّد رضا المظفر ذلك بأنه "استمرار للنبوة"[3].

ويقول المازندراني شارح (الكافي): "يجوز من سمع حديثاً عن أبي عبد الله رضي الله عنه أن يرويه عن أبيه، أو عن أحد من أجداده، بل يجوز أن يقول: قال الله تعالى !!"[4].

وبهذا يُنسَف كلُّ ما قرره علماء الحديث وغيرهم لثبوت صحة الحديث المنسوب إلى رسول الله ﷺ من اتصال السند وعدالة رواته، وموافقته للأصول العامة في متنه، وعدم غرابته ونكارته، وعدم مخالفته للقرآن والأحاديث الصحيحة

---

[1] الفضلي، عبد الهادي، أصول الحديث وأحكامه، ص٩.

٢ فياض، عبد الله. تاريخ الإمامية، ص١٤٠.

٣ المظفر، محمد رضا عقائد الإمامية، ص٦٦.

٤ المازندراني، محمد صالح.شرح أصول الكافي، ج ٢.ص٢٢٦.

الأخرى... إلخ. كل هذا يُنسف برواية عن إمامهم المعصوم! هذا إن صحَّ عنه – وهو لا يصح – فهؤلاء الأئمة الذين ينتسبون إليهم أجل من يقولوا ما يروو عنهم في كتب القوم. ليس لها زمام ولا خطام.

وهذا مثال على عدم اتصال السند من كتاب تفصيل وسائل الشيعة: "وعن محمد بن علي، عن أبي جميلة، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر "عليه السلام"، قال: قال رسول الله "صلى الله عليه وآله": إن المؤمن ليشبع من الطعام والشراب، فيحمد الله، فيعطيه الله من الأجر ما لا يعطي الصائم، إن الله شاكر عليم يحب أن يحمد"[1]. فأبو جعفر محمد الباقر بينه وبين الرسول ﷺ ثلاثة أشخاص وهو يروي مباشرة عن النبي ﷺ فهذا عدم اتصال وانقطاع في السند كبير.

المثال الثاني من كتاب الكافي: "محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله، فتكونوا كالراكب المنبت الذي لا سفرا قطع ولا ظهرا أبقى"[2].

فأبو جعفر يروي هنا مباشرة عن النبي ﷺ، دون ذكر لأي واسطة بينهما.

أما ما يُروَى عن الأئمة مباشرة دون وصله للنبي ﷺ فهو كثير جداً بل أغلب المرويات عند الشيعة قائمة على ذلك المنهج، من أن يُروى عن الإمام الحسين أو الصادق أبو عبد الله أو الباقر أبو جعفر فقط، ويعدّ عندهم حديثاً.

---

١ الحر العاملي، تفصيل وسائل الشيعة، ج٢٥. ص٢٥٢، رقم٣١٨٣٩.

٢ الكليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق أبو جعفر الكليني الرازي، ج٢، ص٨٦.

المبحث الثاني: الحديث من حيث القبول والرد (الصحة وعدمها):

عند أهل السنة يقسم الحديث من حيث القبول والرد إلى ثلاثة أقسام: (حديث صحيح، وحديث حسن، وحديث ضعيف)، وهذا التقسيم يدل على حساسية ميزان النقد عند المحدثين[1].

(أ) الحديث الصحيح:

هو" المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون شاذاً، ولا معللا"[2].

شرح التعريف:

١) الاتصال: ومعناه أن يكون كل واحد من رواة الحديث سمع ممن فوقه حتى يبلغ قائله.

٢) العدالة في الرواة: الملكة التي تحثُّ على التقوى، وتحجز صاحبها عن المعاصي والكذب وما يخل بالمروءة.

٣) الضبط: نوعان:

أولهما: ضبط صدر: وهو أن يسمع الراوي الحديث من الشيخ ثم يحفظه في صدره، ويستحضره متى شاء.

والثاني: ضبط كتاب: وهو أن يسمع الراوي الحديث من الشيخ ثم يكتبه في كتاب عنده ويصونه من التحريف والتبديل.

٤) الخلو من الشذوذ بأن لا يخالف الثقة من هو أوثق منه من الرواة الثقات.

---

١ الخطيب.محمد عجاج.أصول الحديث.ص٣٠٣.

٢ ابن الصلاح، علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح)، ص٦. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ص٢٢.

٥) الخلو من العلة: وهي سبب يطرأ على الحديث فيقدح في صحته مع أن الظاهر السلامة منها [١].

وينقسم الحديث الصحيح إلى قسمين[٢]:

أولهما: الحديث الصحيح لذاته: وهو الذي اشتمل على أعلى صفات القبول، وهو الذي سبق تعريفه.

والثاني: الحديث الصحيح لغيره: الذي لم تتوافر فيه أعلى صفات القبول، كأن يكون الراوي العدل غير تامّ الضبط، ويعضد هذا الحديث من طريق أخرى.ويسمى الحسن لذاته.

(ب) الحديث الحسن[٣]:

هو الحديث الذي اتصل سنده بنقل العدل الذي قل (خفَّ) ضبطه – ضبط أحد الرواة أو جميعهم – عن مثله إلى منتهى السند من غير شذوذ ولا علة.

وعلى هذا فالحسن ما توافرت فيه شروط الحديث الصحيح جميعاً، إلا أن رواته كلهم أو بعضهم أقل ضبطاً من رواة الصحيح.

والحسن نوعان:

الأول: حسن لذاته، لأن حسنه ناشئ عن توفر شروط خاصة فيه، لا نتيجة شيء خارج عنه [٤]، وهو التعريف السابق.

والثاني: الحسن لغيره: هو الحديث الضعيف ضعفاً خفيفاً إذا روى من طريق أخرى أقوى منه، أو مثله ولولا وجود ما يعضده لاستمرت صفة الضعف فيه[١].

---

١ ابن الصلاح، علوم الحديث، ص٨٩- ١١٠.

٢ الخطيب، محمد عجاج. أصول الحديث، ص٣٠٦.

٣ أبو شهبه، محمد أبو شهبه، الوسيط في علوم الحديث، ص٢٧٠-٢٧٥.

٤ العراقي، عبد الرحيم، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، ج١.ص٣٩.

(ج) الحديث الضعيف:

"هو كل حديث لم تجتمع فيه صفات القبول، وقال أكثر العلماء: هو ما لم يجمع صفة الصحيح والحسن[2]، والحديث الضعيف له أنواع كثيرة، منها ما له لقب خاصّ، ومنها ما ليس له لقب خاصّ، وقد كثرت أقوال المحدِّثين في تقسيماته، فذكر الحافظ ابن الصلاح للضعيف تقسيمات باعتبار فقدان صفة واحدة من صفات القبول أو صفتين أو أكثر، فبلغت أقسامه عنده اثنين وأربعين[3].

ويمكن أن أذكر هنا جملةً من أنواع الضعيف[4]:

١) إذا فقد شرط اتصال السند: فإن كان من أول السند ولو إلى آخره فهو "المعلَّق"، وإن كان من آخره فهو "المرسَل" – على خلاف في الاحتجاج به – وإن كان من وسط السند: فإن كان الساقط من الرواة واحداً فهو "المنقطع". وإن كان اثنين إِثرَ بعضِهم فهو "المعضَل". ويدخل في هذه الزمرة أيضاً المعنعن الذي لم يحكم باتصاله اذا كان قائله معروفاً بالتدليس.

٢) إذا فقد شرط العدالة: فان كان ذلك بسبب الجهالة بعين الراوي أو حاله فيُقال فيه "ضعيف" للجهل بعين الراوي أو بحاله، وإن ذكر الراوي باسم غير معين او بلفظ مبهم مثل حدَّثني البعض أو شيخ أو غيرها، فهو المبهم.

---

١ القاسمي، قواعد التحديث، ص١٠٢.

١ الخطيب.محمد عجاج.أصول الحديث. ص٣٠٦.

٢ ابن الصلاح، علوم الحديث، ص٢٠.

٣ العراقي، فتح المغيث، ج١، ص١٠٠. والخطيب، محمد عجاج، أصول الحديث، ص٣٢٧-٣٢٩. وابن الصلاح، علوم الحديث، ص٢٠.

٣) أما إذا كان راويه متهم بالكذب، بأن لا يروى إلا من جهته، وهو مخالف للقواعد المعلومة، أو عرف به في غير الحديث النبوي، أو كثير الغلط أو الفسق أو الغفلة فانه تحت لقب "المتروك"[١]، وإن كان ذلك مع المخالفة فهو "المنكر" – على رأي من يشترط فيه المخالفة.

٤) إذا فقد الضبط: فان كان ذلك بسبب كثرة غفلة الراوي أو كثرة نسيانه أو خطئه في الحديث فيدخل تحت لقب "المنكر"[٢] ، وإن كان لاضطراب رواياته فهو "المضطرب".

٥) إذا كان في الحديث علة قادحة، مثل رفع الموقوف أو وصل المرسل وغيره، فهو "المعلَّل".

٦) إذا كان فيه شذوذ – أي مخالفة للثقات أو الأوثق – فهو "الشاذ".

أما عند الشيعة الإمامية فهم يقسمون للحديث من حيث القبول والرد، الى أربعة أقسام: صحيح، وحسن، وموثق، وضعيف.

أما "**الصحيح**" عندهم[٣]: "ما اتصل سنده إلى المعصوم بنقل الإمامي العدل عن مثله في جميع الطبقات".

و"**الحسن**": ما اتصل سنده كذلك بإمامي ممدوح من غير نص على عدالته مع تحقيق ذلك في جميع مراتبه أو في بعضها مع كون الباقي من رجال الصحيح.

و"**الموثوق أو الموثق**": ما دخل في طريقه من نص الأصحاب على توثيقه مع فساد عقيدته.

و"**الضعيف**": ما لا يجتمع فيه شروط أحد الثلاثة المتقدمين بأن يشتمل

---

١ السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ص٢٨٠.

٢ الطحان، أبو حفص محمود بن أحمد بن محمود النعيمي، تيسير مصطلح الحديث، ص١١٩.

٣ العاملي، زين الدين، شرح البداية في علم الدراية، ص ١٩-٢٤. بهاء الدين العاملي، الوجيزة: ص٥

طريقه على مجروح أو مجهول الحال أو ما دون ذلك".

يقول العاملي: "أما الصحيح عندهم: فكل ما اتصل رواته بالمعصوم بواسطة عدل إمامي:[1] ويلحظ أن المعصوم ليس هو الرسول ﷺ فحسب، بل أئمتهم لهم هذه الصفة التي يختص بها الرسل، كما أنهم يشترطون إمامية الراوي في الحكم بصحة الحديث أو حسنه، وما سوى الإمامي فلا يُقبَل خبره بقول علامتهم ابن المطهر الحلي: "لا تُقبَل رواية الكافر وإن علم من دينه التحرز عن الكذب"[2].

المبحث الثالث: سبب ظهور تقسيم الأحاديث عند الشيعة:

وعن سبب ظهور هذه المصطلحات عند الشيعة، يقول الحرّ العاملي في وسائل الشيعة: "الاصطلاح الجديد – تقسيم الحديث – موافق لاعتقاد العامة (أهل السنة) واصطلاحهم، بل هو مأخوذ من كتبهم كما هو ظاهر بالتتبع وكما يفهم من كلام الشيخ حسن (ابن المطهرالحلي) وغيره، وقد أمرنا الأئمة (ع) باجتناب طريقة العامة وقد تقدَّم بعض ما يدل عل ذلك في القضاء في أحاديث ترجيح الحديثين المختلفين وغيرها"[3].

وفي اعتقاد الحرّ العاملي: أن هذا التقسيم الناتج من تقليد الشيعة لأهل السنة له نتائج وعواقب وخيمة على الفكر الشيعي إذا تمَّ تطبيقه على مروياتهم ورجالهم، حيث إن ذلك يستلزم – حسب اعتقاد الحر العاملي – الطعن في جميع أصول الشيعة من زمن الأئمة المزعومين حتى زمن الغيبة، وبذلك تكون مروياتهم قاعاً صفصفاً، إضافة أن إخضاع رواة الشيعة للجرح والتعديل سوف تكون نتيجته

---

١ العاملي، زين الدين، شرح البداية في علم الدراية، ص ١٩.

٢ الدهلوي، شاه عبد العزيز، مختصر التحفة الاثني عشرية، تهذيب واختصار محمود شكري الألوسي، ص٤٨

٣ الحر العاملي، تفصيل وسائل الشيعة، ج ٣٠، ص٢٥٩.

ردّ ورفض تعديل وتوثيق المعصومين بعض الرواة الذين شهدوا لهم بالوثاقة[1].

ويعترف الحرّ العاملي بأنّ علماءه الذين استعاروا التقسيم من أهل السنة متناقضون في تطبيق قواعده ومنهجيته، وعليه فهو علمٌ لا ضوابط واضحة فيه، يقول: "إن رئيس الطائفة – يقصد الطوسي – في كتاب الأخبار وغيره من علمائنا إلى وقت حدوث الاصطلاح الجديد بل بعده، كثيراً ما يطرحون الأحاديث الصحيحة عند المتأخرين ويعملون بأحاديث ضعيفة على اصطلاحهم، فلولا ما ذكرناه لما صدر ذلك منهم عادةً، وكثيراً ما يعتمدون على طرق ضعيفة مع تمكُّنهم من طرق أخرى صحيحة كما صرّح به صاحب المنتقى وغيره، وذلك ظاهرٌ في صحة تلك الأحاديث بوجوهٍ أُخر من غير اعتبار الأسانيد، ودالٌّ على خلاف الاصطلاح الجديد"[2].

والمتتبع لكتب الشيعة حقيقة يجد أنَّ تقسيم الحديث عند الشيعة إلى صحيح وغيره إنما هو ناشئ من احتكاك الشيعة بأهل السنة وتأثُّرهم بهم، يقول القفاري: "وجاءت متوافقة مع حملة شيخ الإسلام ابن تيمية عليهم في منهاج السنة حينما شنع على الشيعة قصورهم في معرفة علم الرجال، وقلة خبرتهم في ذلك، كما انبرى يكشف استدلالات الشيعة من كتب السنة ويبيِّن جهلهم وكذبهم في هذا الباب حيث يستدلون بالضعيف والموضوع، وينقلون من المصادر غير المعتمدة"[3].

والحقيقة الواضحة هي أنه ليسَ هناك أسانيد لنقل تلك الكتب، وإنَّما كلٌّ مَن وجد كتاباً حدَّث به عن الأئمة.

بل إنَّ الشِّيعة ما كانوا يعرفون حلالاً ولا حراماً ولا مناسكَ ولا حَجّاً، لا

---

١ المصدر السابق، ج٣٠، ص٢٦٠.

٢ المصدر السابق، ج٣٠، ص٢٥٧.

٣ القفاري، أصول مذهب الشيعة، ج١.ص٤١١.

من كُتُبٍ، ولا من أحاديثَ، ولا من غيرها قبل جعفر الصَّادق، بل كانوا يأخذون كلَّ ذلك من أهل السنة.

"كانت الشيعة قبل أن يكونَ أبو جعفر، وهم لا يعرفون مناسكَ حَجِّهم وحلالهم وحرامهم، حتَّى كان أبو جعفر ففتح لهم وبيَّن لهم مناسكَ حَجِّهم وحلالهم وحرامهم، حتَّى صار الناس يحتاجون إليهم من بعد ما كانوا يحتاجون إلى الناس..." [١].

فهل من عاقل بعد ذلك يقول: إنَّ لدى الشيعة أصولاً دُوِّنَتْ فيها أحاديثهم عن أئمة أهل البيت؟! وأين كانت تلك الأصول لَمَّا احتاجوا للناس – أهل السنة – في معرفة الحلال والحرام والمناسك؟!

الحقُّ أنَّه لم تكن لهم كتب، ولا أصول، ولا روايات؛ لكنَّه كذبٌ وتلفيقٌ مستمرٌّ من المراجع والآيات؛ لإضلال جماهير الشيعة عن الحقِّ الواضح، وهو أنَّ الدين الذي ارتضاه الله لنفسه، ولرسوله محمَّد ﷺ قد حفظه لأُمَّته، وهو ما عليه جماهير المسلمين من الحق، الثابت بأعلى طُرُقِ التحمُّل والنَّقل، لكن القوم مغيَّبون، أفلا يبصرون.

ولأجل هذا يتبجَّحُ بعضُ جُهَّال الروافض في عصرنا – والجهل فيهم كثير – أنَّ البخاريَّ ومُسلماً وغيرهما من أئمة رواة الحديث عند السُّنة يروون عن بعضِ الشيعة في مصنَّفاتهم، فنقول: نعم، رَوَوا عن الشيعة، وليس عن الرَّافضة، وما رَوَوْه عن الشيعة في غير بابِ فضائل أهل البيت، وهذا من إنصافهم – رحمة الله عليهم – حتَّى لا يطرحوا أحاديث الناس لمجرَّد كونهم مُخالفين لهم؛ كما يفعل الرَّوافض بطرح حديث أهل السنة.

---

١ الكليني، الكافي، ج٢، ص٢٠.

يقول القفاري في كتابه أصول مذهب الشيعة[1]:" ويردون النصوص المروية عن علماء أهل البيت في الطعن فيهم والتحذير منهم، والتي تنقلها كتب الشيعة نفسها.. فكأهم بهذا يكذبون أهل البيت.. بل ويصدِّقون ما يقوله هؤلاء الأفّاكون حيث زعموا أن ذم الأئمة لهم جاء على سبيل التقية.. فهم لا يتبعون أهل البيت في أقوالهم التي تتفق مع نقل الأمة، بل يقتفون أثر أعدائهم ويأخذون بأقوالهم، ويفزعون إلى التقية في رد أقوال الأئمة.

ويؤيِّد ذلك الذهبي فيقول: "وإذا كذّب الأئمة أقوالهم قالوا: إن هذا التكذيب منهم تقية"[2].

ويبدو أنَّ الإنكار كان من طائفة من المتقدمين... إذ أنَّ المتأخرين – ولاسيما في العهد الصفوي وما بعده – قد أصبحت الأساطير الكثيرة التي تروى عن جعفر جزءاً من عقائدهم بلا نكير. "وقد لخَّص شيخ الطائفة، وصاحب كتابين[3] من كتبهم الأربعة في الحديث، وصاحب كتابين أو ثلاثة من كتبهم الأربعة المعتمدة في الرجال [4]؛ لخَّص الطوسي أحوال رجالهم باعتراف مهم أجراه الله – سبحانه – على لسانه إذ يقول: "إن كثيراً من مصنِّفينا وأصحاب الأصول ينتحلون المذاهب الفاسدة !"[5] ومع هذا فإنه يقول: "وإن كانت كتبهم معتمدة!"[6]. "فكأنَّ المهم عندهم ما يكتبه أو يؤلِّفه الرجل أن يكون موافقاً لهواهم ولا يضر بعد ذلك انتحاله لأي مذهب فاسد !!.

---

١ القفاري، ناصر بن عبد الله، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ج١، ص ٤٠٠.

٢ انظر "ميزان الاعتدال" ترجمة زرارة، ج٢، ص٦٩.

٣ وهما: التهذيب والاستبصار.

٤ وهي: الفهرست،ورجال الطوسي، والكتاب الثالث وهو رجال الكشي، والذي قام بتهذيبه.

٥ الطوسي، محمد بن الحسن، الفهرست، ص٢٨.

٦ المصدر السابق.

وفي كلمة مهمة للقفاري يتوضَّح خلاصة الرأي برواهم، يقول القفاري: "وأمر آخر أخطر من هذا إذ جاءت روايات بأسانيد ثابتة وصحيحة لديهم تذمّ، وتلعن مجموعة من الكذابين الذين قام المذهب الشيعي على رواياهم، ومن هؤلاء من تميَّز بالإكثار من الرواية – في كتبهم – وهم يحظون بتوثيق شيوخهم على الرغم من أنهم قد لعنوا، أو كفروا، أو كذبوا على ألسنة الأئمة، وباعتراف كتب الشيعة نفسها، وفي ظني أنَّ جميع ما ورد في هؤلاء الرجال الذين شاعت رواياهم في كتب الاثني عشرية – من ذم في كتب الفريقين السنة والشيعة – ليسهم في إيضاح الرؤية وكشف الكذب على أهل البيت، ويسقط الكثير من تلك الروايات السوداء التي أخذت بالشيعة بعيداً عن جماعة المسلمين، ويكشف الأمر أمام عوام الشيعة وجهالهم الذين لا يعرفون عن مذهبهم إلا أنه مأخوذ عن أهل البيت – كما خدعهم بذلك شيوخهم – وما علموا أن تلك الروايات جاءهم بواسطة الكذابين الذين تبرأ الأئمة منهم وكذبوهم. فالعوام في الغالب في غفلة عن مذهبهم وما يراد بهم"[١].

الخاتمة:

من نتائج البحث الرئيسة هي: أنه بيَّن أن هناك فوراق كبيرة جداً في علم الحديث بين السنة والشيعة من حيث المفهوم، ومن حيث التقسيم للأحاديث من صحيح وغيره، وكذلك من حيث نشأة هذا العلم وسبب ظهوره.

وكشف الباحث نقاط الاختلاف الرئيسة في علم الحديث بين أهل السنة والشيعة، من ناحية مفهوم الحديث بينهما، وأنَّ كل مجموعة لها تعريف خاص يختلف عن الأخرى، وكذلك من ناحية تقسيمهم للأحاديث من حيث القبول والرد وأنهم أخذوا هذا التقسيم محاكاةً لأهل السنة، وأنَّ هذا التقسيم إذا طبق

---

١ القفاري، ناصر بن عبد الله، **أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية**، ج١،ص ٢٤٨-٢٤٩.

باعتراف علمائهم سيؤدي إلى الطعن في جميع أصول الشيعة من زمن الأئمة المزعومين حتى زمن الغيبة وبذلك تكون مروياتهم قاعاً صفصفاً، إضافة أن إخضاع رواة الشيعة للجرح والتعديل سوف تكون نتيجته رد ورفض تعديل وتوثيق المعصومين لبعض الرواة الذين شهدوا لهم بالوثاقة، ولذلك هو علم نظري عندهم ولا يقوموا بتطبيقه أبداً.

أنَّ المتتبع لكتب الشيعة حقيقة يجد أن تقسيم الحديث عند الشيعة إلى صحيح وغيره إنما هو ناشئ من احتكاك الشيعة بأهل السنة وتأثرهم بهم.

وقد ظهر للباحث الحقيقة الواضحة هي أنه ليسَ هناك أسانيدُ لنقل تلك الكتب، وإنَّما كلٌّ مَن وجد كتاباً حدث به عن الأئمة.

فهل من عاقل بعد ذلك يقول: إنَّ لدى الشيعة أصولاً دُوِّنَتْ فيها أحاديثهم عن أئمة أهل البيت؟! وأين كانت تلك الأصول لَمَّا احتاجوا للناس – أهل السنة – في معرفة الحلال والحرام والمناسك؟!

الحقُّ أنَّه لم تكن لهم كتب، ولا أصول، ولا روايات؛ لكنَّه كذبٌ وتلفيقٌ مستمر من المراجع والمرجعيات؛ لإضلال جماهير الشيعة عن الحقِّ الواضح، وهو أنَّ الدين الذي ارتضاه الله لنفسه، ولرسوله محمَّد ﷺ قد حفظه لأُمَّته، وهو ما عليه جماهير المسلمين من الحق، الثابت بأعلى طُرُقِ التحمُّل والنَّقل، لكن القوم مغيَّبون، أفلا يبصرون. والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

١) ابن الصلاح، أبو عمرو بن عبد الرحمن المشهور بابن الصلاح، **معرفة أنواع الحديث**، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان، الطبعة الأولى.٢٠٠٢م.

٢) ابن الصلاح. **علوم الحديث** (مقدمة ابن الصلاح). طبعة مصر.١٣٢٦هـ.

٣) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد، ١٩٩٥م.

٤) ابن منظور محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الإفريقى، **لسان العرب**. دار صادر – بيروت. الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ. ج٢.

٥) أبو زهو. محمد محمد، **الحديث والمحدثون**، دار الفكر العربي– القاهرة، ١٣٧٨هـ.

٦) أبو شهبه: محمد أبو شهبه. **الوسيط في علوم الحديث**. الطبعة الأولى. دار عالم المعرفة. القاهرة. مصر.١٩٨٣م.

٧) الكليني. محمد بن يعقوب بن اسحاق أبو جعفر الكليني الرازي. **أصول الكافي**. تعليق علي اكبر الغفاري.

٨) الذهبي. محمد بن أحمد بن عثمان. ١٤٠٧هـ. **ميزان الإعتدال**. دار الفكر. بيروت.

٩) الحُر العاملي. مُحمّدْ بن الحسن. **تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة**. تحقيق وطباعة مؤسّسة آل البيتِ عليهم السلام لإحياء التُّراثِ. قم.

١٠) الخطيب. محمد عجاج. **أصول الحديث علومه ومصطلحه**. دار الفكر. بيروت.١٩٨٩م.

١١) الدهلوي. شاه عبد العزيز. **مختصر التحفة الاثني عشرية**. تهذيب واختصار محمود شكري الألوسي. طبع تركيا ١٩٧٩م.

١٢) الدهلوي. عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري. **مقدمة في أصول الحديث**. تحقيق. سلمان الحسيني الندوي. الطبعة الثانية. دار البشائر الإسلامية. بيروت. ١٩٨٦م.

١٣) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين. **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**، تحقيق، أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.

١٤) الطوسي. أبي جعفر محمد بن الحسن. **الفهرست**. طباعة مؤسسة نشر الفقاهة.

١٥) الطحان، أبو حفص محمود بن أحمد بن محمود، **تيسير مصطلح الحديث**، الطبعة العاشرة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م،

١٦) العاملي. زين الدين. **شرح البداية في علم الدراية**. منشورات الفيروزآبادي. قم.

١٧) العراقي. عبد الرحيم. **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**. الطبعة الأولى. القاهرة. ١٩٧٣م.

١٨) الفضلي. عبدالهادي. **أصول الحديث وأحكامه**. الطبعة الثالثة. مؤسسة أم القرى. بيروت، ١٤٢١هـ.

١٩) فياض. عبدالله. **تاريخ الإمامية**. مؤسسة الغدير. ١٤١٨هـ.

٢٠) الفيروزآبادي: **القاموس المحيط**.

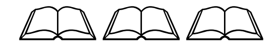
٢١) القاسمي. محمد جمال الدين. **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث**. دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٧٩م.

٢٢) القفاري. **أصول مذهب الشيعة**. الطبعة الثانية. مكتبة طيبة.القاهرة. ٢٠٠٥م.

٢٣) المازندراني. محمد صالح. **شرح أصول الكافي**. ضبط وتصحيح السيد علي عاشور. الطبعة الأولى. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ٢٠٠٠م.

٢٤) المظفر. محمد رضا. **أصول الفقه**. مؤسسة النشر الإسلامي. قم.١٤١٢هـ.

٢٥) المظفر. محمد رضا. **عقائد الإمامية**. مؤسسة أنصاريان. قم. ١٤١٧هـ.



"المسند الصحيح" للإمام مسلم بن الحجَّاج وشروحه: دراسة منهجية

إعداد: **خديجة بنت سيد ممتاز الدين**[١]

خلاصة البحث:

يُعتبَر "المسند الصحيح" للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري – رحمه الله تعالى – من أصحِّ كتب الحديث وأهمِّها بين كتب الرواية، فلذلك كان أكبرَ موضع عناية علماء الحديث في كل عصر، حيث إنهم تناولوه بالشرح والاختصار والدراسة لرواته وإلى آخره. وقد عرَّف بـ"صحيح مسلم" من شتى نواحيه كلٌّ من ألَّف في مناهج المحدِّثين، ولكن لم يتصدَّى أحدٌ – في حدود علمي الضعيف – لتعريف شروحه، مع أنَّ معرفتها ومعرفة خصائصها ومزاياها ثم الاطّلاع على مناهج مؤلِّفيها أمرٌ لا بُدَّ منه لقارئ "صحيح مسلم" إذ الشروح هي التي تمهِّد له الطريق لفهمه على الوجه الصحيح الكامل. فانطلاقاً من هذا الشعور قمتُ بهذه المحاولة المتواضعة في هذا البحث، حيث ترجمتُ أولاً للإمام مسلم باختصار، ثم عرَّفت صحيحه بإبراز أهمِّ مزاياه وخصائصه، ثم عرّجتُ على تعريف شروحه مع بيان مناهج مؤلِّفيها فيها.

المبحث الأول: ترجَمة الإمام مسلم

اسمه وكنيته ونسبته:

اسمه: مسلمُ بن الحجَّاج بن مسلم بن وَرْد بن كَوْشاذ القُشَيْرِيّ النَّيسابوري[٢].

كنيته: أبو الحسين.

---

[١] الطالبة في قسم الدراسات العليا، قسم القرآن والحديث، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا – ماليزيا.

[٢] سير أعلام النبلاء: (٥٥٨/١٢).

نسبته: "القشيري" نسبةً إلى "قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة"، وهي قبيلة كبيرة ينسب إليها كثيرٌ من العلماء[1]، منهم الإمام مسلم. أما "النيسابوري" فنسبةً إلى بلده "نيسابور" من مُدن "خراسان"، والتي قال فيها ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ): إنها "مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، معدن الفضلاء، ومنبع العلماء، لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها"[2].

مَولِده:

اختلف أهل العلم في مولد الإمام مسلم، وكثرت أقوالهم في ذلك، ولكن من أصحِّها أنه وُلد سنة ٢٠٦هـ، كما أخبر بذلك عبد الله بن الأخرم[3] الذي كان بلديَّه[4].

طلبه للحديث:

أقبل الإمامُ مسلم على سماع الحديث وحفظِه وطلبِه منذ صِغَره، كما يقول الحافظ الذهبي (ت٧٤٨هـ): "وأوّلُ سماعِ مسلمٍ سنة ثماني عشرة ومئتين"[5]، وكان عمرُه آنذاك اثنتي عشرة سنة، ولا شكَّ أنه بدأ طلب العلم تحت إشراف والده الذي كان من مشيخة العلم في بلده، ويكون بالتالي قد طاف أولاً على شيوخ بلده وسمع من كثيرٍ من أئمتهم، من مثل: يحيى بن يحيى بن بُكَيْر التَّمِيمي النيسابوري (ت٢٢٦هـ)، وكان هذا الإمامُ هو أول من سمع منه مسلمٌ في سنة ثمان عشرة[6]، وحجَّ في سنة

---

[1] صيانة صحيح مسلم: لابن الصلاح، ص: ٥٦.

[2] معجم البلدان: (٥/٣٣١).

[3] انظر ترجمته في "تذكرة الحفاظ": (٣/٨٦٤).

[4] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي: (١/١٢٣).

[5] انظر: "تذكرة الحفاظ" (٥٨٨) و"طبقات المحدثين" (/٢٨٦).

[6] سير أعلام النبلاء: (١٢/٥٥٨).

عشرين وهو أمرد، فسمع بمكة من عبد الله بن مسلمة القَعْنَبِي (ت٢٢١هـ)، فهو أكبر شيخٍ له[١].

رحلاته في طلب الحديث:

رحل الإمام مسلم في طلب الحديث رحلاتٍ عديدة إلى كثير من الأمصار والأقطار مثل: الحجاز، والعراق، والرّيّ، ومصر، والشّام[٢]، فهو كما يقول الإمام النووي (ت٦٧٦هـ): "أحدُ الرَّحَّالين في طلبه إلى أئمة الأقطار والبلدان"[٣]، وساعده على ذلك فرطُ ذكائه، وعلوُّ همته، ومالُه الوفير الذي جمعه من ضياعه وتجارته، ولذلك امتازت رحلاته هذه بالوسعة والكثرة[٤]، فاستطاع من خلال تلك الرحلات أن يلقي جماعةً من المحدِّثين وجهابذتهم وأساطينهم، وكبار رجال السنة أمثال: الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، وأبي حاتم الرازي (ت٢٧٧هـ)، وأبي زرعة الرازي (ت٢٦٤هـ)، وإسحاق بن راهُوْيَه (ت٢٣٨هـ)، ومحمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، وغيرهم من أئمة الحديث.

عقيدته:

كان الإمامُ مسلمٌ على عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، ومما يدل على ذلك قولُه في مقدمة صحيحه: "اعلم وفَّقك الله تعالى! أنَّ الواجب على كل أحدٍ عرف التمييزَ بين صحيح الروايات وسقيمها، وثقاتِ الناقلين لها من المتَّهمِين: أن لا يروي منها إلا ما عَرَف صِحّةَ مخارجه

---

[١] المرجع السابق: (١٢/٥٥٨).

[٢] تاريخ التراث العربي: (١/٢٦٣).

[٣] تهذيب الأسماء واللغات: (٢/٩١).

[٤] صيانة صحيح مسلم: ص: ٥٦.

والسِّتارةَ في ناقليه، وأن يتّقي منها ما كان منها عن أهل التُّهَم، والمعاندين من أهل البِدَع"[1].

مذهبه في الفقه:

قد كثرت أقوال العلماء في تحديد مذهب الإمام مسلم الفقهي، حيث عَدُّوه تارةً شافعياً، وتارةً حنبلياً، وأخرى مالكياً، ورابعةً مجتهداً.

والحقُّ أنه لم يكن منتسباً إلى أحد تلك المذاهب؛ بل إنه كان على مذهب أهل الحديث، الذين لا يقلِّدون لأحد من الفقهاء الأربعة المتبوعين، لكنه كان يميل إلى رأي الفقهاء من أهل الحديث، كالشافعيِّ، وأحمد بن حنبل، رحمهم الله تعالى[2].

ثناء العلماء عليه:

لقد أثنى على الإمام مسلم ثناءاً عطراً، كبارُ العلماء من شيوخه، وأقرانه، وتلاميذه، ومن جاء بعدهم من علماء الأمة من أصحاب السير والتاريخ، ومن ذلك قول الإمام النَّووي: إنه كان "أحد أعلام أئمة هذا الشَّأن، وكبار المبرَّزين فيه، وأهل الحفظ والإتقان، والرَّحّالين في طلبه إلى أئمة الأقطار والبُلدان، والمعترف له بالتقدُّم فيه بلا خلافٍ، عند أهل الحِذْقِ والعِرفان، والمرجوع إلى كتابه، والمعتمد عليه في كلِّ الأزمان"[3].

وقال: "وأجمعوا على جلالته، وإمامته، وعُلُوِّ مرتبته في هذه الصَّنعة، وتقدُّمِه فيها، وتضلُّعِه منها، ومن أكبر الدَّلائل على جلالته، وإمامتِه، ووَرَعِه، وحِذْقِه، وقُعودِه في علوم الحديث، واضطلاعِه منها، وتفنُّنِه فيها: كتابُه (الصحيح)"[4].

---

[1] مقدمة "صحيح مسلم"، ص:٧.

[2] انظر: "الإمام مسلم بن الحجاج صاحب المسند....": لمشهور حسن محمود سلمان، ص: ٤٤ و٤٨.

[3] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي: (١٢٢/١).

[4] تهذيب الأسماء واللغات: للنووي: (٩١/٩٠/٢).

صفاته الخَلْقية:

قال الحافظ الذهبي: "قال الحاكم: سمعتُ أبا عبد الرحمن السُّلَّمي يقول: رأيتُ شيخاً حسن الوجه، والثياب عليه رداء حسن، وعمامة قد أرخاها بين كتفيه، فقيل: هذا مسلم، فتقدَّم أصحابُ السلطان، فقالوا: قد أمر أميرُ المؤمنين أن يكون مسلمُ بن الحجاج إمامَ المسلمين، فقدَّموه في الجامع، فكبَّر وصلَّى بالناس"[1].

وقال الذهبي: "قال الحاكم: وسمعت أبي يقول: رأيتُ مسلمَ بن الحجَّاج يحدِّث في خان محمش، فكان تامَّ القامةِ أبيضَ الرأس، واللحيةُ يرخي طرف عمامته بين كتفيه"[2].

وفاته:

قال الحافظ الذهبيُّ: "تُوفِّي مسلمٌ في شهر رجب، سنة إِحدى وستين ومئتين، بنَيْسَابور، عن بضع وخمسين سنةً".

وقد وَرَد في سبب وفاته قِصَّةٌ، ذكرها الحافظُ الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) في "تاريخه"، عن أحمد بن سلمة، قال: "عُقد لمسلمٍ مجلسُ المذاكرة، فذُكِرَ له حديثٌ لم يَعرِفه، فانصرف إلى منْزله، وأوقد السراجَ، وقال لمن في الدَّار: لا يدخل أحدٌ منكم، فقيل له: أُهْدِيَتْ لنا سَلَّةُ تمرٍ، فقال: قدِّموها، فقدَّموها إليه، فكان يطلب الحديثَ، ويأخذ تمرةً تمرةً، فأصبح، وقد فنى التمرَ ووجد الحديثَ".

رواها أبو عبد الله الحاكم، ثم قال: "زادني الثقةُ من أصحابنا، أنه منها ماتَ"[3].

---

[1] سير أعلام النبلاء: (٥٦٦/١٢).

[2] سير أعلام النبلاء: (٥٧٠/١٢).

[3] سير أعلام النبلاء: (٥٧٩/١٢).

مؤلَّفاته:

كان الإمام مسلم – رحمه الله تعالى – أحد أئمة الحديث المكثرين من التصنيف، حيث إنه صنَّف في نواحٍ شتّى من علم الحديث روايةً ودرايةً، ولكن لم يصلنا من تلك المؤلَّفات إلا النّزرُ اليسيرُ، وأما ما طُبع منها فهو:

١) الصحيح. (وهو عُرف كذلك بـ "المسند الصحيح" و"الجامع").

٢) الأسماء والكنى.

٣) الكنى والأسماء.

٤) كتاب التمييز.

٥) رجال عروة بن الزبير وجماعة من التابعين وغيرهم.

٦) المفردات والوحدات.

٧) الطبقات (وقد عُرف بأسماء أخرى مثل: "طبقات التابعين" و"أسماء الرجال").

المبحث الثاني: تعريف "صحيح مسلم":

تحقيق اسم الكتاب:

لم يَنُصّ الإمام مسلم – رحمه الله تعالى – في كتابه "الصحيح" على تسميته، ولذلك وقع خلافٌ بين العلماء في ذلك، وأنَّ الصحيح من اسمه ما ذكره صاحبُه في خارجه ما نصُّه: "صَنّفتُ هذا المسندَ الصحيح من ثلاث مئة ألف حديث مسموعة"[١]. إذاً اسمُ كتابه حسب تسميته: "الْمُسنَد الصحيح"، لكنه قد اشتهر بـ"صحيح مسلم"، فلذلك من المستحسن أن يُجمَع بين اسمَين فيُكتَب – مثلاً –: "الْمُسنَد الصحيح" وتحته "المشهور بصحيح مسلم"، فيُجمَع بين المشهور وأصالة

[١] كما نقله عنه الخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد" (١٠١/١٣)، وابن خلكان في "وفيات الأعيان" (١٩٤/٥)، وابن العماد في "شذرات الذهب" (٢٧٠/٣).

التسمية، فقد قال الشيخ جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ): "وينبغي لكل من يَنسَخ (الصحيحَ) أو يطبعه أن يُعنونِه بتسمية المؤلِّف محافظةً على الأعلام، وتحرُّساً من الاقتضاب، فيما لا محلَّ له من الإعراب"[١].

لقد أطلق الإمامُ مسلمٌ على كتابه اسم: "المسند الصحيح" كما سبق، وهذا يدلُّ على أنَّ موضوع كتابه الحديث المجرَّد والْمُسنَد إلى رسول الله ﷺ، إذ الْمُسنَد "يَجتمِع شرطا الاتصال والرفع" على رأي جماعة من الحُفَّاظ والمحدِّثين[٢].

قال الإمام شاه ولي الله الدِّهْلَوِي (ت١١٧٦هـ): "توخَّى - أي مسلمٌ - تجريدَ الصِّحاح الْمُجمَع عليها بين المحدِّثين، المتصلة المرفوعة"[٣]، واقتصر على ذلك، ولم يذكر الموقوفات والمعلَّقات إلا نادراً، وخلَّصه من التفريعات والاستنتاجات الفقهية والأصولية وغيرها. فموضوعُ "الصحيحين" واحدٌ، إلا أنَّ البخاري - رحمه الله تعالى - ذكر الموقوفات والمعلَّقات، وعمد إلى الاستنباطات الفقهية، والفوائد الحديثية، وإيراد الشواهد من الآيات القرآنية[٤].

وقد عَبَّر جماعةٌ عن "صحيح مسلم" بـ "الجامع"، مثل: حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ)، وإسماعيل باشا البغدادي (ت١٣٣٩هـ)، والشيخ بن جعفر الكتَّاني (ت١٣٤٥هـ)[٥]، وانتصر له الشيخُ شَبِّير أحمد العثماني (ت١٣٦٩هـ)[٦]. والجامع عند المحدِّثين ما كان مستوعباً لنماذج فنون الحديث الثمانية، وهي هذه: السِّير،

---

[١] حياة البخاري: للقاسمي، ص: ١٢.

[٢] راجع: "النكت على ابن الصلاح": (٥٠٧/١) لابن حجر.

[٣] راجع: "حجة الله البالغة": (١٥١/١) و"الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف": ص: ٥٥.

[٤] الإمام مسلم بن الحجاج ومنهجه في صحيحيه: (٩٣).

[٥] راجع "فتح الملهم": (١٠٥/١) و"كشف الظنون": (٥٥٥/١)، و"هدية العارفين": (٤٣٢/٢)، و"الرسالة المستطرفة": ص: ٤١.

[٦] في "فتح الملهم": (١٠٥/١).

والآداب، والتفسير، والعقائد، والفِتَن، والأحكام، والأشراط، والمناقب[1]، وعلى هذا سُمّي هذا الصحيحُ (جامع) لوجود هذه الأبواب فيه.

سبب تأليفه لكتابه:

أما سبب تأليف الإمام مسلم هذا الكتاب فكان بناءاً على طَلَبٍ طُلِبَ منه كما ذكره هو بنفسه في مقدِّمته له[2].

وصف عام لـ"صحيح مسلم":

يُعَدّ "صحيح مسلم" من أصحِّ الكتب التي جمعت أحاديثَ النبي ﷺ، حيث اكتفى فيه مؤلِّفه الإمام – رحمه الله تعالى – على إيراد ما صَحَّ من الأحاديث، وتجنَّب الضعيفَ، ولم يعتن بذكر الموقوفات، والمقطوعات، وأقوال العلماء، وآرائهم الفقهية.

وبدأ الإمام تصنيف هذا الكتاب بمقدمة ضافية نافعة ماتعة، أبان فيها عن منهجه في الكتاب، وذكر جملةً صالحةً من مسائل علوم الحديث وأسماء الرجال، فجاءت هذه المقدمةُ بالغةَ الروعة في لغتها وقوتها ومضمونها وأمثلتها، فكان – رحمه الله تعالى – متفرِّداً بهذه المنقبة بين أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد في عصره وقبل عصره[3].

ثم شرع تصنيفَ صحيحه على أبواب الفقه، وقد اختار أحاديث كتابه من ثلاثمئة ألف حديث مسموعة، وتحرَّى في الرجال والمتون، وجمع طرقَ الحديث الواحد في مكانٍ واحدٍ من كتابه مما يسهل الرجوع إليها واستنباط الأحكام منها. وهو جامعٌ لأقسام الحديث، لكن أحاديث التفسير فيه قليلةٌ؛ لأنه لا يعوِّل على

---

[1] انظر: "معجم المصطلحات الحديثية" لسيد عبد الماجد الغوري، ص: ٢٧٤.

[2] انظر: "صحيح مسلم"، ص: ٤، ٧.

[3] انظر مقدمة محقق "المدخل إلى دراسة جامع الترمذي"، ص: ٦.

الآثار الموقوفة على الصحابة والتابعين – ومعظمُ التفسير منقولٌ عنهم – بل شرطه الأحاديث المرفوعة، و لم يقع فيه من التعليقات سِوى اثنا عشر حديثاً.

ووَضَّح أنه وَضَع فيه ما أجمعوا عليه، وليس كلُّ الأحاديث الصحيحة عنده، "وعنى بذلك ما وجد عنده فيه شرائط الصحة المُجْمَع عليها، وإن لم يظهر اجتماعُها في بعض الأحاديث عند بعضهم".

واستغرق تصنيفُه خمس عشرة سنة[1].

عدد كتب "صحيح مسلم":

أما عن عدد كتب "الصحيح" فهي (٥٤) كتاباً بترقيم الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي (ت١٣٨٨هـ)، ولكن فيه خلافاً؛ فلأن الشيخ فؤاد ما عدّه كتاباً عدَّه غيرُه باباً، فمثلاً يذكر الشيخ فؤاد الكتبَ العشر الأولى هكذا "الإيمان، الطهارة، الحيض، الصلاة، المساجد ومواضع الصلاة، صلاة المسافرين وقصرهما، الجمعة، العيدين، الاستسقاء، الكسوف" ثم يذكر (كتابَ الجنائز)، بينما يذكر الشيخ عبد الصمد شرف الدين [2] هذه الأبواب هكذا: الإيمان، الطهارة، ويجعل "كتاب الحيض" تبعاً للطهارة، ثم يذكر "كتاب الصلاة" ويجعل "كتاب المساجد" و"مواضع الصلاة" و"صلاة المسافرين وقصرها" و"الجمعة" و"العيدين" و"الاستسقاء" و"الخسوف" تبعاً لكتاب الصلاة، فكتاب "الجنائز" هو الحادي عشر في ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، بينما هو الرابع في ترقيم الشيخ عبد الصمد شرف الدين، ولذا كان عدد الكتب عنده هو (٤٢) كتاباً، وهذا الخلاف لفظي وشكلي، ولعلَّ الإمام النووي – وغيره – ممن وضعوا التراجم لهذا "الصحيح" قد زادوا في الكتب أيضاً، فأدخلوا عليها أموراً تجعل تبوبياتهم متناسبةً متناسقة مع الأحاديث التي أوردها مسلم، والله أعلم.

---

[1] صيانة صحيح مسلم من الغلط: لابن الصلاح، ص: ٧٥، وانظر: السخاوي: "غنية المحتاج"، ص: ٤٤.

[2] في: "الكشاف عن أبواب مراجع تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف": ص: ١٢٧ – ١٢٨.

عدد أبواب "صحيح مسلم":

ويبلغ عدد الأبواب في "الصحيح" (١٣٥١) باباً، – عدا كتابي "صفات المنافقين وأحكامهم" و"اللعان" فإنه لا يوجد فيها أبواب – على عدّ الشيخ عبد الصمد شرف الدين.

وبينما يَبلُغ (١٣٢٩) باباً على عدّ الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي تبعاً لتبويب الإمام النووي، عدا المقدمة، وهي ثانية أبواب على العدّ الأول، فيكون الفرقُ بين التراجم في العَدَّين أربعَ عشرة ترجمةً موجودة عند الأول، وأُخِذَتْ أرقاماً على أنها أبواب بينما هي في العدّ الثاني عناوين لكتب رئيسة عدا موطنين[١].

تكرار الحديث عند مسلم:

بَيَّن الإمامُ مسلم منهجَه في تكرار الحديث في مقدمة صحيحه فقال: "إنّا نَعمِد إلى جملة ما أُسنِدَ مِن الأخبار عن رسول الله ﷺ فنَقسِمها على ثلاثة أقسامٍ، وثلاث طبقاتٍ من الناس – على غير تكرارٍ – إلاَّ أن يأتي موضعٌ لا يُستغنَى فيه عن تَرْدَاد حديثٍ فيه زيادةُ معنًى، أو إسنادٌ يقع إلى جَنْب إسنادٍ لعلَّةٍ تكون هناك؛ لأنَّ المعنى الزائد في الحديث، المحتاج إليه، يقوم مقامَ حديثٍ تامٍّ. فلا بُدَّ مِن إعادة الحديثِ الذي فيه ما وصفنا مِن الزيادة، أو أن نُفصِّل ذلك المعنى من جملة الحديث على اختصاره إذا أَمْكَنَ. ولكِنْ تفصيلُه ربَّما عَسُرَ من جملته، فإعادتُه بهيئته إذا ضاق ذلك، أسلَمُ. فأمَّا ما وجدنا بُدّاً من إعادته بجملته، عن غير حاجةٍ منا إليه، فلا نتولَّى فِعلَه إنْ شاء الله تعالى"[٢].

---

[١] انظر "الإمام مسلم بن الحجاج صاحب المسند " ص: ١٩٠ ــ ١٩٢.

[٢] مقدمة "صحيح مسلم"، ص: ٥.

عدد أحاديث "صحيح مسلم":

يَبلُغ عددُ حديث الصحيح (٤٠٠٠) حديث سِوى المكرَّر[١]، وقد قيل أنه – يعني بالمكَّرر (١٢٠٠٠)[٢]، ولكن الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي رَقَّم أحاديثه دون المكرَّر منها فبلغت (٣٠٣٣) حديث. وبلغت عنده بالمكرَّر (٥٧٧٧) حديث عدا المتابعات والشواهد التي تبلغ (١٦١٨) حديث، فيكون مجموعُ أحاديثه بالمكرَّر في طبعة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي (٧٣٨٨) حديث[٣]، وهو قريبٌ من عدد أحاديث "صحيح البخاري" بالمكرَّر، فقد بلغت (٧٣٩٣) حديث على ما حَرَّره الحافظُ ابن حجر (ت٨٥٢هـ)[٤]. وأمَّا حسب إحصاء فنسنك فتبلغ أحاديث "صحيح مسلم" بالمكرَّر (٥٧٨٨) حديث[٥].

شروط الإمام مسلم:

لا شكّ أن الاستفادة من أي كتاب كما ينبغي، لا تحصل إلا بعد معرفة منهج مؤلفِّه وغرضِه من تأليفه وشرطه فيه، فلذلك لا بُدّ من معرفة شروط الإمام مسلم في اختيار الأحاديث في صحيحه، وعن التزاماته في ذلك، فها هي شروطه أذكرها فيما يأتي:

---

[١] انظر: "صيانة صحيح مسلم"، ص: ١٠١، "غنية المحتاج"، ص: ٥١ ــ ٥٢.

[٢] انظر: "علوم الحديث": ص: ١٧ حاشية (١).

[٣] انظر: "تذكرة الحفاظ": (٥٨٩/١)، و"سير أعلام النبلاء": (٥٦٦/١٢)، "غنية المحتاج"، ص: ٤٣.

[٤] الإمام مسلم ومنهجه في صحيحيه: لمحمد عبد الرحمن الأحمد المحمد: ص: ٨٨ ــ ٨٩.

[٥] هدي الساري: ص: ٥٦٥.

أولاً: شرط الصحّة العامّ:

قال الحافظ ابن الصَّلاح (ت٦٤٣هـ): "شرطُ مسلمٍ في صحيحه: أن يكون الحديثُ مُتَّصِلَ الإسناد، بنقل الثقة عن الثقة من أوّله إلى منتهاه، سالماً مِن الشُّذوذ ومِن العِلّة. وهذا هو حدُّ الحديث الصحيح في نفس الأمر"[١].

ونصَّ الإمام مسلمٌ على شرط الصحّة العامّ هذا في صحيحه، وفيما نُقل عنه أيضاً قال: "ليس كلّ شيء عندي صحيحٌ وضعتُه ههنا. إنّما وضعتُ ههنا ما أجمعوا عليه"[٢].

وقال الإمام النَّووي: "بَلَغنا عن مَكِّيِّ بن عَبْدَان - أحد حفّاظ نيسابور- أنّه قال: سمعتُ مسلماً يقول: (عرضتُ كتابي هذا على أبي زُرْعَة الرَّازي، فكلُّ ما أشار أنَّ له عِلَّةً تركتُه، وكلّ ما قال إنَّه صحيحٌ، وليس له عِلَّةٌ خرّجْتُه). وذكر غيرُه ما رواه الحافظُ أبو بكر الخطيب البغدادي بإسناده عن مسلم قال: (صنَّفتُ هذا المسندَ الصحيحَ مِن ثلاثمئة ألف حديث مسموعة)..."[٣].

فهذه نُقولٌ عن مسلم - رحمه الله تعالى - صريحةٌ في وصف كتابه بالصحّة.

ثانياً: شرط مسلم في الرجال:

صرَّح الحافظ أبو بكر محمد بن موسى الحازميّ (ت٥٨٤هـ) في رسالته "شروط الأئمة الخمسة" أنَّ شرط مسلم في الرجال هو أهلُ الطبقة الثانية من الطبقات الخمس، التي ذكرها للرواة عن المُكثِرين، ومَثَّل بالرواة عن الزهريّ، فقال: "والطبقةُ الثانية شاركتْ الأولى في العدالة، غير أنَّ الأولى جَمَعتْ بين الحفظ

---

[١] صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط: ص: ٧٢، وعنه النووي في "مقدمة شرحه لصحيح مسلم" (١/١٥).

[٢] مقدمة صحيح مسلم: ص: ٦.

[٣] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: (١/١٢٩، ١٣٠).

والإتقان وبين طول الملازمة للزهريّ، حتّى كان فيهم مَن يُزامِله في السفر ويُلازِمه في الحضر. والطبقة الثانية لم تُلازم الزهريَّ إلاَّ مدَّةً يسيرةً فلم تُمارِس حديثَه، وكانوا في الإتقان دون الطبقة الأولى، وهم شرطُ مسلم"[1].

هذا، وقد سَبَقَ الإمامُ مسلمٌ الحازميَّ في تقسيمه للرواة، فقَسَّمهم إلى ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: هم الحُفّاظ المُتقِنون.

والثانية: هم المتوسِّطون في الحفظ والإتقان.

والثالثة: هم الضعفاء المتروكون.

وبَيَّن مسلمٌ أنّه يروي عن أهل الطبقة الأولى في الأصول، وعن أهل الثانية في المتابعات والشواهد. أمّا أهل الثالثة فلا يعرّج عليهم.

ثالثاً: شرط مسلم في اتّصال السند المعنعن:

إنَّ شرط الإمام مسلم في اتّصال السند الْمُعَنْعَن هو: معاصرةُ الراوي لمن روى عنه بالعنعنة مع إمكانيّة لقائهما، وانتفاء موانع اللِّقاء.

قال مسلم: "إنَّ القولَ الشَّائع المتَّفَق عليه بين أهل العلم بالأخبار والروايات قديماً وحديثاً: أنَّ كلَّ رجلٍ ثقةٍ روى عن مثله حديثاً، وجائزٌ ممكنٌ له لقاؤه والسماعُ منه لكونهما جميعاً كانا في عصرٍ واحدٍ، وإنْ لم يأتِ في خبرٍ قطّ أنّهما اجتمعا ولا تشافها بكلامٍ، فالروايةُ ثابتةٌ، والحجّةُ بها لازمةٌ، إلاَّ أن يكون هناك دلالةٌ بيِّنةٌ: أنَّ هذا الراوي لم يَلْقَ مَن روى عنه، أو لم يسمع منه شيئاً. فأمَّا – والأمرُ مُبْهمٌ – على الإمكان الذي فَسَّرْنا، فالروايةُ على السماع أبداً، حتى تكون الدلالة التي بيَّنَّا"[2].

---

[1] شروط الأئمة الخمسة: لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي، ص:١٥١.

[2] مقدمة "صحيح مسلم"، ص: ٢٠.

وتوجيهُ مذهبِ مسلمٍ هو: أنّ المسألة في الثقة غير المدلِّس، ومثله إذا قال: عن فلانٍ، ينبغي أن يكون سمعه منه، وإلاَّ كان مدلِّساً، والمسألة في غير المدلّس[1].

قال الحافظ ابن حجر: مبيِّناً رُجحان شرط البخاري على شرط مسلم في اتّصال السند المعنعن: "وهذا ممّا ترجَّح به كتابه أي: البخاري، لأنّا وإن سلَّمنا ما ذكره مسلمٌ من الحكم بالاتّصال، فلا يخفى أنَّ شرط البخاري أوضَحُ في الاتّصال، والله أعلم[2].

ترتيب أحاديث "صحيح مسلم":

رتَّب الإمام مسلم أحاديث في معظم أبواب "صحيحه" ترتبياً علمياً، حسب الخصائص الإسنادية والحديثية التي تتوافر في كل حديث منها، وسلك في ذلك منهجاً علمياً فريداً، امتاز به كتابُه عن سائر كتب الحديث حتى عن "صحيح البخاري"، ولهذا مال بعضُ الأئمة إلى ترجيح "صحيح مسلم" على "صحيح البخاري".

فلما كانت الخصائص الإسنادية التي تجعل الأحاديث أصحَّ وأسلمَ كثيرةً؛ فقد اختصرت على ذِكر الأشهر والأهمِّ منها، ومنها:

١) أن يكون رواة الحديث كلهم من أهل الإتقان والضبط، فيقدِّم الإمامُ مسلم أحاديثَهم على أحاديث من دونهم منْزلةً، سواء أكان هؤلاء من الرواة من أهل الطبقة الأولى أم من أهل الطبقة الثانية، ومن البدهي أن الثقات تتفاوت مراتبهم وأحوالهم باختلاف الشيوخ والأماكن والأوقات.

---

[1] مقدمة "صحيح مسلم": ص: ٢٠.

[2] منهج النقد في علوم الحديث: ٣٥٢.

٢) الشُّهْرَة: فيفضل الإمامُ الحديثَ الذي اشتهر بين الثقات على الحديث الذي لم يشتهر، وإن كان هذا الحديث الذي لم يشتهر من رواية الأوثق والأثبت.

٣) التسلسل: كأن يكون رواة الحديث كلهم من أهل بلد واحد، أو قبيلة واحدة، فيقدِّم الإمامُ الحديثَ الذي تسلسل بها على غيره، أو أن يكون الرواة كلهم ممن اشتهر بحفظ الحديث وفقهه، فيقدِّم أحاديثهم المسلسلة بذلك على غيرها.

٤) كون الحديثِ خالياً من جميع الأمور التي تعكر صفاء صحته، فيقدِّم الإمامُ الحديثَ الصحيح الخالي من العلة على الحديث الذي اختُلف في صحته، أو الحديث المعلول.

فإذا استوفى حديثٌ من الأحاديث هذه الخصائص الإسنادية وغيرها من المرجّحات التي لا تُحصى فيكون ذلك الحديث أسلم وأنقى من غيره، وترتيب الإمام مسلم للأحاديث مبنيٌّ على مدى تميُّزها بالخصائص الإسنادية والحديثية.

فمن درس منهجَ الإمام مسلم في ترتيب الأحاديث في صحيحه دراسةً تحليليةً مع درايته التامة بطريقة المحدِّثين، ودقَّق النظرَ فيه؛ يُمكِنه الاطِّلاع على كثير من الفوائد العلمية الحديثية التي أودعها الإمام – رحمه الله تعالى – في ترتيبه للأحاديث[1].

---

[1] انظر: "عبقرية الإمام مسلم في ترتيب أحاديث مسنده الصحيح دراسة تحليلية" للدكتور حمزة عبد الله المليباري، ص٢١، ٢٣، بتصرف.

معلّقات مسلم:

"معلَّقات" جمعُ "معلَّق" وهو: ما حُذف من مبدأ إسناده راوٍ فأكثر، ولربّما حُذف كاملُ الإسناد فيقول المعلِّق: "قال النبي ﷺ" وربما ذكر الصحابيَّ فقط فقال: "قال أبو هريرة ﷺ" وهلمّ جرّا[1].

والإمام البخاري (ت٢٥٦هـ) - رحمه الله تعالى - أكثَرُ مَن أودع الأحاديثَ المعلَّقة في صحيحه، لاستخدامه لها في الناحية الفقهية الاستنباطية، حيث بلغت الأحاديث المعلَّقة عنده (١٥٩) حديثاً.

أمّا الإمام مسلم فلا يذكر في "صحيحه" من الأحاديث المعلَّقة إلا النّزر اليسير، حيث بلغ مجموعها عنده (١٤) حديثاً فقط، وهي كذلك موصولةٌ عنده في مواضع أخرى من "صحيحه"، كما قال الإمام النووي: "بل هي موصولةٌ من جهات صحيحه، لا سيما ما كان منها مذكوراً على وجه المتابعة، ففي نفس الكتاب وَصَلها"[2].

تراجم "صحيح مسلم":

"التراجم" جمعُ "ترجمة"، وهي العناوين (أي: عناوين الأبواب) والكلمات التمهيدية التي تكون كمقدِّمةٍ وتمهيدٍ لأحاديث الباب[3]. لقد وضع الإمام البخاري التراجم في صحيحه التي اشتهرت بدقته وبراعته فيها، ولكن الإمام مسلماً صنَّف صحيحَه بدون تراجم، إذ ليس فيه بعد المقدِّمة إلا الحديث السَّرد، وما يوُجد في نُسَخه من الأبواب مترجَمةٌ، فليس من صُنع المصنِّف الإمام مسلم، وإنما صنعه جماعة بعده، من نُسَّاخه، أو شُرَّاحه، من أمثال: الإمام ابن المزيّن المالكي القرطبي (ت٦٥٦هـ) حين شرح الصحيحَ في كتابه "المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح

[1] معجم المصطلحات الحديثية: لسيد عبد الماجد الغوري، ص: ٧٥٤.

[2] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي: (١/١٣٤).

[3] معجم المصطلحات الحديثية: لسيد عبد الماجد الغوري، ص:٢٣٢.

مسلم"، والإمامِ النووي (ت٦٧٦هـ) حين شرح الصحيحَ في كتابه "المنهاج"، وكذلك بعضُ شراح الصحيح المعاصرين من أمثال: الشيخ صفي الرحمن المباركفوري (ت١٤٢٧هـ)، والشيخ موسى شاهين لا شين (ت١٤٣٠هـ) وغيرهما في شروحهم للصحيح.

ميزات "صحيح مسلم":

يمتاز "صحيحُ مسلم" على "صحيح البخاري" بميزات عديدة، ومنها:

١- عدمُ تقطيعه الحديثَ، وتكرارُه الإسنادَ كما يفعل الإمامُ البخاريُّ - ابتغاءَ بيان ما فيها من استدلالاتٍ فقهيةٍ - بل يجمع الإمامُ مسلمٌ المتونَ كلَّها بطُرقها العديدة في موضعٍ واحدٍ مما يُعين الطالبَ على الإحاطة بالحديث وطرقه[١]، ويسوق المتونَ بتمامها وكمالها من غير اختصارٍ ولا تقطيعٍ، وإنْ وقع له ذلك فإنه يَنُصُّ على أنه مختصرٌ، ويرتِّب الأحاديث على طريقةٍ حسنةٍ، فيذكر المُجْمَلَ ثم المبيِّن له، والمُشْكِلَ ثم الموضِّحَ له، والمنسوخَ ثم الناسخَ له، فهذا فيسهل بذلك على طالب العلم النظرُ في وجوهه[٢]. كما أنه لا يروي الأحاديثَ بالمعنى، بل يُفرِدها ولا يخلط معها شيئاً من أقوال الصحابة ومن بعدهم[٣].

وهذه ميزةٌ فُضِّل بها كتابُ "صحيح مسلم" على "صحيح البخاري".

٢- تنوُّعُه في عرض أسانيده، حيث إنه يسوق الحديثَ مرةً من طُرقٍ عديدةٍ فيفرد كلَّ سندٍ مع متنه، ويكون ذلك لزيادةٍ في المتون على بعضها أو لاختلاف سياقها عند الرواة.

---

[١] انظر "الحديث والمحدثون" للشيخ محمد أبي زهو، ص: ٣٩٣، و"أعلام المحدثين" للدكتور أبي شهبة: ص: ١٨٠.

[٢] انظر: "غنية المحتاج"، ص: ٤٩.

[٣] انظر: مقدمة "فتح الملهم بشرح صحيح مسلم" للشيخ شبير أحمد العثماني: (١/٩٨، ٩٩).

وثانيةً: يجمع الأسانيدَ إما بالعطف بين الشيوخ أو بتحويل الأسانيد برمزٍ (ح)، وإما بهما معاً ويسوق المتنَ بعدها.

وثالثةً: أن يذكر الأسانيدَ الأخرى لذلك المتن. وهذا المنهجُ في التنسيق ساعد على اختصار الكتاب وكشف عن نكاتٍ بديعةٍ في الإسناد خاصَّةً، وأنه يوضِّح اختلافَ الرواة في الأسانيد والمتون زيادةً ونقصاً وتصحيحاً ووَهْماً مع بيان اختلافهم في سياق المتون ببعض الألفاظ أو التقديم والتأخير أو الزيادة والنقص.

٣- اعتناؤه بالتمييز بين ألفاظ تحمُّل الحديث "حَدَّثَنا" و"أخبرنا"، وتقييدُه ذلك على مشايخه وفي ورواياته، وكان من مذهبه - رحمه الله تعالى - الفرق بين هذين اللفظين، حيث إنه لا يجوز إطلاقَ "حدَّثنا" إلا لِما سمعه من لفظ الشيخ خاصةً، ولا يجوز إطلاقَ "أخبرنا" إلا لِما قُرئ على الشيخ، وهو مذهب أكثر أصحاب الحديث. في حين ذهب جماعة إلى أنه يَجُوز أن يُقال فيما قُرئ على الشيخ "حَدَّثَنا" و"أخبرنا" دون تفريق بينهما. وهو مذهب الإمام البخاري وجماعة من المحدِّثين من الحجاز والكوفة. كما ذهبت طائفة أخرى أنه لا يَجُوز إطلاقُ "حَدَّثَنا" ولا "أخبرنا" في القراءة، وهو مذهب أئمة الحديث من أمثال عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل والنسائي وغيرهم.

٤- اعتناؤه بضبط اختلاف لفظ الرواة كقوله: "حَدَّثَنا فلانٌ وفلانٌ، واللفظُ لفلانٍ قال"، أو "قالا حَدَّثَنا فلانٌ"، وكما إذا كان بينهما اختلافٌ في حرف من متن الحديث أو صفة الراوي أن نسبه أن ونحو ذلك، فإنَّ الإمام مسلم بيَّنه[1].

[1] أعلام المحدثين ومآثرهم العلمية: للدكتور تقي الدين الندوي، ص: ١٨٩.

٥- حُسْنُ ترتيبه وترصيفه الأحاديثَ على نسق يقتضيه تحقيقه، وكمال معرفته بمواقع الخطاب، ودقائق العلم، وأصول القواعد، وخفيات علم الأسانيد ومراتب الرواة وغير ذلك[١].

رواة "صحيح مسلم":

هذا الكتابُ ثابتٌ بالنقل الصحيح، وهو متواتر عن صاحبه من حيث الجملة، من رواية أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان (ت٣٠٨هـ)، الذين كان من أجلِّ وأبرِّ تلامذة الإمام مسلم، فكان يُكثِر الاختلافَ إليه والحضورَ في مجلسه، فقد قال: "فرغ لنا مسلمٌ من قراءة الكتاب في شهر رمضان سنة سبع وخمسين ومئتين"[٢].

فقد رواه أهلُ المغرب عن أبي محمد أحمد بن علي القلانسي عن مسلمٍ، و لم يَرِدْ له ذكرٌ عند غير أهل المغرب، دخلت روايته إليهم من مصر على يدي من رحل منهم إلى جهة المشرق[٣].

طبعات "صحيح مسلم":

طُبع "صحيح مسلم" أكثر من مرَّةٍ، ومن أحسن الطبعات له: طبعةُ دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة والتي طُبعت بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في خمس مجلَّدات، في عام ١٣٧٥هـ، خَصَّص الخامسَ منها لفهارس الكتاب، حيث سهل تناوله والرجوع إليه. ثم توالت له طبعات كثيرة، ومن أحسنها: طبعة دار السلام بالرياض التي صدرت عنها عام ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، لكونها قد حُقِّقت بمقابلة العديد من نسخ "صحيح مسلم" بإشراف لجنة من العلماء المتخصصين في علم الحديث.

---

[١] انظر مقدمة النووي لـ"المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج": (١/١٢٢، ١٢٣).

[٢] انظر مقدمة النووي لـ" المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" (١/١٢٢،١٢١).

[٣] انظر: "صيانة صحيح مسلم" ص: ١٠٤، ١٠٥.

المبحث الثالث: شروح "صحيح مسلم":

لقد اهتمَّ العلماءُ بشرح الحديث النبوي في فترة مبكّرة تعود للقرن الثالث الهجري، فشرحوا غريبَ ألفاظه، و بيَّنوا معانيه، وتكلَّموا على أسانيده من حيث الصناعة الحديثية، وبيَّنوا ما يُستنبَط منه من أحكام وما يُستفاد منه، فمنهم من التزم شرحَ أحاديث كتابٍ معيَّنٍ من مشاهير كتب الحديث كـ "صحيح البخاري" مثل الإمام أبي سليمان حَمْد بن محمد الخطابي (ت٣٨٨هـ)، ومنهم مَن ألَّف كتابَه استقلالاً لشرح الحديث دون التقيُّد بكتاب معيَّن مثل الإمام أبي محمد حسين بن مسعود البَغَوي (ت٥١٦هـ) في "شرح السنة"، ومنهم من شرح غريب ألفاظَ الحديث فقط، وأطلق على كتابه "غريب الحديث" مثل الإمام أبي عبيد القاسم بن سلاَّم الهروي (ت٢٢٤هـ) في كتابه "غريب الحديث والآثار"[1].

أمّا من التزم بشرح كتاب معيّن من كتب الرواية فكان لـ"الصحيحين" أكبر نصيبٍ منه، ومنهما "صحيح مسلم" الذي قد حاز مكانةً عاليةً بين مصنَّفات الحديث، وتربَّع سدةً رفيعة من التقدير والعناية، فكثرت حوله الشروح حتى بلغت أكثر من خمسين شرحاً، واختلفت طولاً وقصراً، فسأقوم فيما يلي بتعريف أهمِّ شروحه المطبوعة مع بيان مناهج مؤلِّفيها.

١- **المعلم بفوائد المسلم**: للإمام أبي عبد الله، محمد بن علي بن عمر الْمَازِري (ت٥٣٦هـ).

هذا الكتابُ – في الحقيقة – عبارةٌ عن الفوائد والنُّكَت والتعليقات التي كان يُمليها المازريُّ لطلابه أثناء دروسه لـ"صحيح مُسلم" أو أثناء قرائتهم عليه، فهؤلاء لما فرغوا من القراءة؛ عَرضُوا عليه ما كَتبُوه، فنظر فيه المازري وهذَّبَه فكان ذلك سبب تأليف هذا الكتاب، وهو بداية انطلاقة لشرح "صحيح

---

[1] مصادر الحديث ومراجعه دراسة وتعريف: لسيد عبد الماجد الغوري: (٩/٢).

مسلم"، وبدأت الشروحُ بالظُّهُور في عصر المازري ولم يُعرَف منها قبل ذلك، فـ"الْمُعلِم" هو أقدم الشُّرُوح التي وصلتنا الآن من شروح "صحيح مسلم".

لم يتعرَّض المازري لشرح مقدمة "صحيح مسلم" رغم أهميتِها؛ وإنَّما علَّق في مواطن ستَّة أو سبعة منها، وكذلك لم يذكر جميعَ الفوائد المتعلِّقة بأحاديث "صحيح مسلم" وإنَّما اقتصر على نُكت يراها تحتاج إلى بيان في مجال الحديث روايةً ودراية، كما أنّ أكثَر اهتمامِ المازري في هذا الكتاب منصبٌّ على الأحكام الفقهيَّة وتفسير الغريب واللُّغة، فهو لم يلتزم في تعليقاته بترتيب الأحاديث في "صحيح مسلم"، بل يُورد أحياناً الألفاظ المختلفة بين رواة الصَّحيح، يُعنى بالمسائل الفقهيَّة، يستنبط من الأحاديث مباشرةً ولا يُكثِر من ذكر أقوال الفقهاء، ويهتم بمسائل العقيدة التي اشتملت عليها بعض الأحاديث؛ ويُعنى بالمباحث اللُّغوية عنايةً كبيرة.

طُبع هذا الكتاب بتحقيق الشيخ محمد الشاذلي النيفر، في دار الغرب الاسلامي ببيروت، عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، في ثلاث مجلَّدات.

٢- **إكمال المعلم بفوائد كتاب مسلم:** للقاضي عياض اليَحْصُبي البُسْتِي (ت٥٤٤هـ).

ترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه استكمالٌ لما بدأ به الإمام المازري في "المعلم"، وأنه أول كتابٍ شرح "صحيح مسلم" بالتحرير والتقييم والتهذيب، وأنه الأصل الذي أخذ منه ابنُ الصلاح ثم النووي بعده، ومن بعدهما ترادف أئمة الشروح على النقل منه والأخذ عنه، كالعراقي، وابن حجر، والعيني.

أما منهج القاضي عياض في شرح "صحيح مسلم" في هذا الكتاب فإنه قد بدأه بذكر مقدمة له تضمَّنتْ بعضَ معالم المنهج والطريقة التي سار عليها في

كتابه، وسبب تأليفه له[1].

ثم ذكر القاضي عياض أسانيدَه إلى "صحيح مسلم"، ثم ذكر مقصدَ صاحبِه الإمام مسلم من جمعِه الصحيحَ، ثم بدأ بشرح المقدمة التي قدّم بها الإمامُ مسلم لكتابه الصحيح، ثم شرع بشرح الصحيح. ولَمّا كان موضوع "الإكمال" هو إكمالُ عمل المازري في شرحه لـ"صحيح مسلم" وتهذيبُ ما تمَّ منه، فقد وجدَ القاضي عياض بتتبّع عمله أنه لزم منهجاً في ذلك تمثَّل فيما يلي:

- يفصِّل كثيراً مما أجمله المازري من مذاهب العلماء.
- الأصل في عمله أن يأتي كلامَه بعد كلام المازري في الحديث، إلا أنه كان أحياناً يفسِّر ما جاء في الحديث أولاً، ثم ينقل كلامَ المازري، وهذا إذا كان التفسيرُ قليلاً.
- ما تركه المازري من أجزاء في الحديث بغير تعليق أو شرح فإنَّ القاضي عياض يبدأ به.
- يترك الكلامَ على الحديث إذا لم يكن عنده ما يضيفه إلى كلام المازري.
- حيث يسوق شاهداً لمعنى، فإنه يتولّى غالباً بيان المراد من بقيّته.
- يرجِّح بين الروايتين الصحيحتين بمقتضى السياق اللغوي.
- يستفيد من النُّسَخ المغايرة لنسخة مسلم المعتمدة لديه؛ لبيان سبب الحديث وكشف عباراته.
- في تحقيقه لدقائق المسائل؛ فإنه لا يكتفي فيها ببيان نظره فيها، بل يعرضها على أهل التحقيق من شيوخه، ولهذا كثيراً ما نراه يردِّد بقوله: "أنَّ هذا مستفاد من متقني شيوخنا".

---

[1] إكمال المعلم بفوائد كتاب مسلم: للقاضي عياض اليحصبي: (١/٧١، ٧٢).

- إذا كثر الاختلافُ في أصل الاشتقاق للمصطلح الشرعي؛ استعان على تصويب ما يختار بسير القدامى، ومطالعة الآثار القريبة المعنى بها، مع استقراء كلام العرب وأشعارها فيه.
- يميل كثيراً إلى الاختصار في عرض المسائل الفقهية المتصلة بالحديث.
- يُراعي الدِّقّةَ في وصف حالة التحمُّل.
- يبالغ في العناية ببنية الكلمة وسلامة معناها؛ لذلك نراه أنه:

أ- يرجع إلى أهل اللغة أولاً في بيان معاني الألفاظ.

ب - ويَسترسِل في شرحه لمفردات الحديث بإيراد الشواهد لها من كتاب الله تعالى وأمثالها منم الحديث النبوي.

جـ- ويعرض ما للفظة من روايات لغوية متعددة، ثم يقيم تلك الروايات بردّها أولاً إلى الأصول اللغوية والقواعد النحوية.

- يعزو القولَ إلى قائله، سواء في السند أو المتن.
- يعتني كثيراً بضبط المختلف فيه من رجال السّند.
- يلزم دائماً الاعتدال عند تناول القضايا العلمية إذا كانت بعيدة عن المباحث المذهبية، وما عدا ذلك فهو شديد الميل للانتصاف لمذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى، وإن انتقد عليه أحياناً وانتصر لغيره.
- إذا عرض له ما يستوجب التصحيح في السند؛ يعجِّل بالتنبيه عليه قبل الفراغ من الحديث في المتن.
- لا يمنعه إجلاله للمازري من أن يعقِّب ويَستدرِك عليه، ويصحِّح له ما وقع في كلامه من أوهام وأخطاء.
- حيث يقدِّم "المعلمُ" الحديثَ عن السند في الشرح والبيان، فإن "الإكمال" يؤخِّره.

- حرص على ترتيب مسائل "المعلم" وفق ترتيب الصحيح لمسلم، فنراه يقول حين يجد المازري قدَّم حديثاً في التعرُّض له عن غيره: "وليس هذا بموضعه".

تنبيهات:

إذا قال عياض: "قال الإمام" فمقصده: المازري.

وإذا قال: "ذكر في الأم" فمقصده: صحيح مسلم.

طُبع هذا الكتاب أولاً في مطبعة السعادة بالقاهرة مع "مكمل إكمال الإكمال" لأبي عبد الله محمد بن محمد السَّنوسي الحسني (ت٨٩٢هـ). ثم طُبع بتحقيق الدكتور يحيى اسماعيل في دار الوفاء بالرياض، عام ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، في تسع مجلَّدات.

٣- **المفهم لِما أَشْكَل من تلخيص صحيح مسلم:** للإمام ابن المزيّن المالكي القرطبي، أبي العباس، أحمد بن عمر بن ابراهيم الأنصاري (ت٦٥٦هـ).

يُعَدّ كتاب " المفهم " - تجوُّزاً - شرحاً واضحاً، ذا أهمية بالغة لـ"صحيح مسلم"، فهو حلقةُ وصلٍ لا بُدَّ منها بين المازري والقاضي عياض من جهةٍ، وبين من جاء بعد أبي العباس القرطبي كالأبي، والسنوسي من جهة أخرى؛ ذلك: أنَّ المازري شرح "صحيحَ مسلم" بكتابه "المعلم" شرحاً مختصراً، أكمله القاضي عياض بأوسع منه، وجاء القرطبي، واستفاد من سابقيه، وأدلَى بالجديد بعبارة مفهومة سلسة من باب ما يوصف بالسهل الممتنع. ثم جاء الأبي والسنوسي بعد القرطبي، واستفاد من الشروح التي سبقتهم، وأضاف إضافات مفيدة، تغني شرح "صحيح مسلم"، وتوضح المستغلق منه.

وبذا يُعَدّ القرطبي حلقةً وصلٍ متألقةٍ في رحاب شروح" صحيح مسلم"[١].

---

[١] من مقدمة المحقِّق بتصرف.

لقد أضاف القرطبي إلى تلخيص "صحيح مسلم" عملاً علمياً؛ إذ وضع عليه شرحاً لما أشكل في تلك الأحاديث من معنى غامض، أو لفظة غريبة، ونبَّه على نُكَتٍ من إعرابه، وعلى وجوه الاستدلال بحديثه.

ويكفيه أهميةً ومكانةً اعتماد الإمامين الجليلين: النووي وابن حجر عليه كمصدرٍ مهمٍّ في شرحيهما على الصحيحين.

وقد شرع القرطبي في شرحه بذكر مقدّمة مختصرة، بيَّن فيها منهجَه في الشرح ومقصده منه،

ثم بدأ عنايته بـ"صحيح مسلم" أولاً بتلخيصه حيث صنع له تلخيصاً متميّزاً، ثم ضبط ألفاظَه بالرواية السماعية، ثم شرح مشكلاتِه بما رواه عن مشايخه، وبما فتح الله عليه من الفهم والإدراك الذاتي، وقد وضع القرطبي لنفسه في تلخيصه للصحيح منهجاً نوضّحه بما يلي:

- لم يحذف مقدمة الإمام مسلم لصحيحه، بل اختصرها كذلك.
- اختصر أسانيد الصحيح، واكتفى بذكر الصحابي، وأحياناً التابعي.
- حذف المكرَّرَ من الأحاديث، وذكرها في موضع واحد حسب موضوعها.
- ترجم لأبواب "الصحيح" بعناوين وافية دقيقة.
- اختياره للحديث وفق أتمّ الروايات وأكملها، ثم إيراد بعض الروايات إن كان فيها زيادة في المعنى.
- اتّباعه لترتيب الإمام مسلم، ولم يُخالف إلا في نقل بعض الأحاديث من أماكنها، وإيرادها في المكان الأكثر ملاءمة مع موضوعها، وقد نقل كتاب الجهاد من مكانه في الصحيح، ووضعه بعد كتاب الحجّ، إظهاراً لأهميّته.

هذا منهج القرطبي في اختصاره لـ"صحيح مسلم". أمّا منهجه في الشّرح، فهو كما يلي:

- أنه يضبط ألفاظَ غريب الحديث، ثم يستعرض أقوالَ علماء اللغة في شرحها، ويُشير إلى الأرجح منها. ولكنه يورد بعض الألفاظ من صحيح مسلم، ويقول: جاء في "الأمّ". وفي بعض الأحيان تدخُل عليه بعض الألفاظ من "صحيح البخاري"، أو من غيره من الكتب دون أن يُشير إلى ذلك، ولعلّ سبب ذلك الاستقصاء أو توارد حفظه أثناء التأليف.

وهو يعتني عنايةً فائقة بشرح الكلمات اللغوية، وإيراد تفاصيل حول الكلمة الواردة، من خلال عرضه لروايات الحديث المتعدّدة في كتاب مسلم وغيره من كتب السنّة، مستدلاً عليها بالآيات القرآنية، ومستشهداً لها بالشعر العربي، والأمثال، والحكم.

- يتطرّق إلى الأحكام الفقهية المستفادة من الأحاديث، ويُشير إلى طرائق الفقهاء في انتزاع الأحكام منها وطرق الاستنباط، مع البدء والتركيز على مذهب الإمام مالك – رحمه الله –. ولكنه ليس دائماً – ويناقش الأدلّة لغةً وفقهاً، ويردّ ما قد يُفهم خطأً من الحديث، ويصحّح ذلك الفهم.
- يركِّز على تأويل المختلف وحلّ المشكل، إذا تعرَّض الحديثُ لذلك.
- يختم كثيراً من الأحاديث، وأحياناً فقرات الحديث الواحد، باستنباط توجيهات وإرشادات مفيدة جداً.
- يَحكُم – أحياناً – على الأحاديث التي يوردها، أو ينقل عن غيره الحكم فيها: كالترمذيّ.
- لا يكتفي بنقل الأقوال دون تحقيق وتمحيص؛ بل يتعقّب الشُّرّاح واللغويين ما يراه غير صحيح من أقوالهم.

- يعتني بتحقيق الكلام على بعض المسائل المشكلة التي وردت في مقدمة "صحيح مسلم"، والتي منها قوله في: " قلتُ: هذا الإسناد ذكره مسلمٌ مرْدَفاً على الإسناد السليم الذي لا تعقّبَ فيه، وكأنّ مسلماً تحقّق ما قاله الدارقطني، ولذلك أردفه على الإسناد الأول الذي هو عمدته، وعلى شرطه. وهذا وغيره يدلّ على أن القسم الثالث الذي ذكره مسلمٌ في أوّل كتابه أدخله في مسنده، والله أعلم"[1]. كما تطرّق في مقدمة "صحيح مسلم" إلى بعض القضايا في علم المصطلح. منها على سبيل المثال: الخلاف في المراسيل[2]، وحديث المجهول[3]، المطاعن في بعض أحاديث الصحيحين[4]، وغيرها كثير.

وكلٌّ ذلك في أسلوب يتّسم بالرّشاقة وحُسن السبك، مع البعد عن التقعّر أو التكلّف، في الجمل المتقابلة أو المسجوعة، من غير تكلّف ظاهر.

طُبع هذا الشرح بتحقيق الأستاذ أبي فرحة الحسني، في دار الكتاب المصري بالقاهرة، عام ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، في ثلاث مجلّدات. ثم طُبع بتحقيق الأساتذة الفضلاء: محيي الدين مستو، ويوسف بديوي، وأحمد السيد، ومحمود بزال، في دار ابن كثير بدمشق، عام ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، في سبع مجلّدات. كما أنه حُقِّقَ كذلك في قسم السنَّة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ولكنه لم ير نور الطباعة بعد.

[1] المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم: (١٠٢/١).
[2] المرجع السابق: (١٢٢/١).
[3] المرجع السابق: (٩٣/١).
[4] المرجع السابق: (٩٩/١).

٤- **صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط**: للحافظ ابن الصلاح، أبي عمرو، عثمان بن عمرو الشَّهْرَزُوري الكردي (ت٦٤٣هـ).

ذكر ابن الصلاح في مقدمة هذا الكتاب الأسباب التي من أجلها صنَّف هذا الكتاب، ويُفهَم منها أنَّ أحد تلاميذه - الذين كانوا يقرؤون عليه "صحيح مسلم" - سأله أن يبيِّن له، ويقيِّد ما يكثر فيه لطلاب العلم من الإخلال والغلط والإسقاط والسقط في "صحيح مسلم". ويبدو أن هذا السؤال وجد في نفس ابن الصلاح الموافقة التامة، فأجاب طلبه.

ولما كان السائل أراد من شيخه أن يبيِّن له ويقدر ما يكثر فيه لطلاب الحديث من الإخلال والغلط والإسقاط والسقط في" صحيح مسلم" لذا فقد سَمَّى ابن الصلاح كتابه بـ" صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط".

إذاً فهذا الكتاب ليس بشرح للصحيح، وإنما هو عبارة عن تصحيح ما وقع فيه من الغلط والسقط وما يشبههما.

طُبع هذا الكتاب بتحقيق الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر، في دار الغرب الاسلامي ببيروت، عام ١٤٠٤هـ.

٥- **المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**: للإمام أبي زكريا محيي الدين، يحيى بن شرف النَّوَوي الدمشقي (ت٦٧٦هـ).

لم يَعرِف الناس شرحاً لكتاب في الحديث أتقَنَ وأوفَى وأبرَعَ - مع اختصار- من هذا الشرح، فإنَّ صاحبه الإمام النووي لم يدع لقارئه مهما يبلغ علمه سؤالاً في سِرّه، أو في علنه إلا ووجد جوابَه فيه، من بحث السند إذا كان فيه ما يبحث، ومن اللغة وما يتعلّق بها، ومن تسمية لما يجهل اسمه، ومن شرح

المعنى، ومما يستنبط من الحديث، ومن قال بظاهر الحديث، ومن خالف، وما حجته؟ مع فوائد كثيرة، وعلوم غزيرة لا تستقصى[1].

وقد ألقى النووي النظرَ على الشروح السابقة لـ"صحيح مسلم" فاستخلص منها الخلاصةَ العلمية، وأضاف من عنده فوائد واستنباطات مما جعله أهمَّ شروح الصحيح، وهو من الشروح المتوسطة التي يستوعبها طالبُ العلم، إذ هو ليس بالطويل الْمُمِلّ ولا بالْمُوجَز الْمُخلّ[2].

وأما المنهج الذي سلكه النووي في تأليف هذا الشرح القيِّم فهو كما يلي:

- وضع تراجمَ لأبواب "صحيح مسلم"؛ لأن الإمام مسلم – رحمه الله تعالى – لم يضعها له، بل اكتفى بترتيب كتابه على الأبواب. وقد ذكر النووي في مقدمة الشرح وفي أثنائه أنه قام بذلك، فقد قال في مقدمته: "ثم إن مسلماً رحمه الله رتَّب كتابه على أبواب فهو مبوَّب في الحقيقة، ولكنه لم يذكر تراجمَ الأبواب فيه؛ لئلاَّ يزداد بها حجمُ الكتاب أو لغيره ذلك"، ثم قال: "وقد ترجم جماعةٌ أبوابَه بتراجم بعضها جيدٌ وبعضها ليس بجيدٍ، إما لقصور في عبارة الترجمة، وإما لركاكة لفظها، وإما لغير ذلك، وأنا – إن شاء الله – أحرص على التعبير عنها بعبارات تليق بها في مواطنها"[3].
- اهتمَّ كثيراً في شرحه برفع التعارُض الظاهر بين النصوص الشرعية بحمل كل منها على محملٍ صحيحٍ حيث قال: "والجمعُ بين الأحاديث التي

[1] الإمام النووي شيخ الإسلام والمسلمين وعمدة الفقهاء والمحدثين: للشيخ عبد الغني الدقر، ص: ١٦٠.

[2] أعلام المحدثين: للدكتور أبي شهبة، ص:٢٠١.

[3] المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي: (١١٥/١).

تختلف ظاهراً ويظن بعض من لا يحقِّق صناعتَي الحديث والفقه وأصوله كونها متعارضات". [1].

- استنبط من الأحاديث النبوية قواعدَ أصوليةً حيث قال: "وأذكر فيه – إن شاء الله – جُمَلاً من علومه الزاهرات من أحكام الأصول والفروع... وبيان نفائس من أصول القواعد الشرعيات"[2].
- ذكر الأحكامَ الفقهية المستنبطة من الأحاديث بإيجازٍ مع ذكر أقوال الأئمة في المسألة، وتوجيه هذه الأقوال بذكر وجهِ استلالاتِها بالأحاديث.
- اعتنى بضبط ألفاظ الحديث والأماكن الواردة فيه والأعلام، فقد قال مبيِّناً منهجَه في ذلك في مقدِّمة الشرح أنه قد اهتمَّ فيه: "بإيضاح معاني الألفاظ اللغوية وأسماء الرجال وضبط المشكلات... وضبطِ جُمَل من الأسماء المؤتلفات والمختلفات"[3].
- حاول بعد شرح بعض الأحاديث اقتناصَ الفوائد واستنباط الفوائد من الحديث، حيث سرد مثلاً فوائد منتزعة من الحديث قريبه أو بعيده، ويسردها حسب ما استنبطه من الحديث، كما بيَّن منهجَه في ذلك في مقدمة الشرح فقال: "وأنبِّه على ما يحضرني في الحال في الحديث من المسائل العليات، وأشير إلى الأدلة في كل ذلك إشارات إلا في مواطن الحاجة إلى البسط للضرورات، وأحرص في جميع ذلك على الإيجاز وإيضاح العبارات"[4].

---

[1] المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي: (١/١١٥).

[2] المرجع السابق: (١/١١٥).

[3] المرجع السابق: (١/١١٥).

[4] المرجع السابق: (١/١١٥).

- اهتمَّ بعزو ما ينقله عن غيره من العلماء، حيثُ ذكر الأعلامَ عند أول ذكرهم بشيء من البيان بذكر نسبهم وعُلُوّ منْزلتهم في فنِّهم، وبيَّن منهجَه في ذلك بقوله: "وحيثُ أنقل شيئاً من أسماء الرجال واللغة وضبط المشكل والأحكام والمعاني وغيرها من المنقولات، فإن كان مشهوراً لا أضيفه إلى قائليه لكثرتهم إلا نادراً لبعض المقاصد الصالحات، وإن كان غريباً أضفته إلى قائليه إلا أنْ أذهل عنه في بعض المواطن لطول الكلام أو كونه مما تقدَّم بيانه في الأبواب الماضيات"[1].
- ذكر اختلافَ النُّسَخ، وذكر أقوالَ العلماء في توجيه هذا الاختلاف وبيان الراجح في ذلك.
- نقد الأحاديثَ الضعيفة والآراء الشاذة.
- أجاب عن الإمام مسلم في موضوعات كثيرة فيما استدركه العلماء عليه كالإمام الدارقطني (ت٣٨٥هـ)

طُبع هذا الشرح لأول مرة في المطابع المصرية بالقاهرة عام ١٣٤٧هـ. ثم صدر له طبعات كثيرة، ومن أحسنها طبعة دار المعرفة ببيروت، التي طُبعت بتحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا.

٦- **إكمال المعلم بفوائد كتاب مسلم**: للإمام أُبَيّ، أبي عبد الله، محمد بن خليفة الأُبَيّ المالكي التونسي (ت٨٢٧ أو٨٢٨هـ).

جمع فيه الشارحُ الشروحَ الأربعة لصحيح مسلم، وهي: "المعلم" للمازري، و"إكمال المعلم" للقاضي عياض، و"المفهم" للقرطبي، و"المنهاج" للنووي، مع زيادات مكملة، والتنبيه على المواضع المشكلة من كلام هؤلاء.

فينقل الشارحُ من تلك الشروح بالمعنى لا باللفظ طلباً للاختصار، ويوضِّح ما

---

[1] المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي: (١/١١٥).

يشكل من هذه النقول، و لم يشرح مقدمةَ الصحيح؛ لأنها في علوم الحديث، كما قال في مقدمة شرحه: "و لم أتعرَّض للكلام على الخطبة - الأبي لم يشرح الخطبة - لأنها في علم الحديث، وذلك شيء آخر، ورأيت الأهم البداية بشرح الأحاديث، وإن أنسأ الله في الأجل وسهَّل، فسأتكلَّم عليها - إن شاء الله تعالى-".

واستعمل الرموزَ في الشروح التي اعتمد عليها في شرحه، واكتفي عن اسم كل واحد من أسماء الشرَّاح بحرف، مثلاً: (م) للمازري، و(ع) لعياض، و(ط) للقرطبي، و(د) لمحي الدين النووي، ولفظ (الشيخ) لأبي عبد الله ابن عرفة، وما يقع من الزيادات المشار إليها ترجم عليها بلفظ: "قلتُ".

طُبع هذا الكتاب لأول مرة مع "مكمل إكمال الإكمال" للعلامة أبي عبد الله محمد بن محمد السنوسي الحسني (ت٨٩٢هـ) الآتي الكلام عليه، في سبعة مجلَّدات، في مطبعة السعادة بمصر، عام ١٣٢٨هـ/١٩١٠م.

٧- **مكمل إكمال الإكمال**: للعلامة أبي عبد الله محمد بن محمد السنوسي الحسني (ت٨٩٢هـ).

ذكر الشارح خطته في مقدمة الكتاب، والتي تدل على منهجه الذي سار عليه في شرح "صحيح مسلم"، حيث قال: "كان من أحسن شروح (صحيح مسلم) وأجمعها شرحُ الشيخ العلامة أبي عبد الله الأُبَيّ - رحمه الله تعالى- أردتُ أن أتعلَّق بأذيال القوم، وإن كنت في غاية البُعد منهم إلا أن يَمُنّ الوهّاب تعالى باللحاق بعد اليوم"، ثم قال: "فاختصرتُ في هذا التقييد المبارك - إن شاء الله تعالى- معظم ما في هذا الشرح الجامع من الفوائد، وضممتُ إليه كثيراً مما أغفله مما هو كالضروري لا كالزوائد، وأكملته أيضاً بشرح الخطبة، فتمّ النفع -والحمد لله تعالى- بشرح جميع ما في الكتاب، وجاء

بفضل الله تعالى مختصراً يقنع أو يغني عن جميع الشروح، وما فيها من تطويل أو مزيد إطناب، فهو جدير -إن شاء الله تعالى- أن يُسمَّى لذلك بـ: مكمل إكمال الإكمال".

وهو مقدمة مضافة لما قام به الأبي. فكان هذان الشرحان من أتمِّ الإفادات على "صحيح مسلم"، كما أنهما يُبدِيان الطريقةَ المغربية في شرح الحديث النبوي.

وقد طُبع هذا الشرحُ مع "إكمال المعلم" للأُبَيّ الذي سبق الكلام عليه آنفاً، في سبعة مجلَّدات، في مطبعة السعادة بمصر، عام ١٣٢٨هـ/١٩١٠م.

٨- **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج**: للحافظ السُّيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ).

وهو حاشية على "صحيح مسلم"، ابتدأها السيوطي بذكر مقدمةٍ قصيرة بيَّن فيها منهجَه باختصار، فقال: "فلما منَّ الله تعالى - وله الفضل - بإكمال ما قصدتُه من التعليق على صحيح الإمام البخاري ﷺ، المسمَّى بـ (التوشيح)، وجهتُ الوجهة الى تعليق مثله على صحيح الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجَّاج ﷺ، المسمَّى بـ (الديباج)، لطيف مختصر، ناسج على منوال ذلك التعليق، وإنْ كان لهو على هذا الصحيح مبتكرٌ يشتمل على ما يحتاج إليه القارئ والمستمع من: ضبط ألفاظ، وبيان اختلاف روايات على قلتها، وزيادة في خبر لم ترد له طريقة، وتسمية مبهم، وإعراب مشكل، وجمع بين مختلف، وإيضاح مبهم بحيث لا يفوته من الشرح إلا الاستنباط".

فابتدأ السيوطي كتابةَ هذه الحاشية بهذه المقدمة القصيرة، وسار فيه على المنهج الذي بيَّنه فيها، وأما ما لم يذكره من منهجه في هذه الحاشية فهو أنه:

- لم يذكر متنَ الحديث، وإنما ذكر ما يحتاج لشرح.

- اعتمد في شرحه على نسخة للصحيح مكتوبة في القرن السابع الهجري بيد الحافظ الصريفيني، وقد وصفها بأنها خالية من تراجم الأبواب، لكنه ذكر تراجمَ للأبواب بعد أن ذكر المقدمةَ.
- وذكر فصلاً في شرط مسلم ومصطلحه في كتابه، ثم ذكر فصلاً في تسمية من ذُكِر في "صحيح مسلم" بكنيته.
- لم يتعرَّض للأحكام الفقهية إلا نادراً، ولا للإجابة عن الأحاديث المتكلَّم فيها، إلا نادراً جداً ولكنه لم يشفِ.
- أكثر – لاسيما في " كتاب الإيمان" – من نقل كلام المازري، والقاضي عياض، والنّووي في مسائل الاعتقاد، ولا سيّما النووي، فإنّ السّيوطي استلَّ حاشيته جلّها من شرحه المشهور. لكنه لا ينقل النصّ بحرفيّته وإنما بالمعنى وفق أسلوبه المشهور حين يفعل ذلك من كتب سابقيه.

طُبعت هذه الحاشية في المطبعة الوهبية بالقاهرة، عام ١٢٩٩هـ. ثم طبعت بتحقيق الدكتور بديع السيد اللحام، بإدارة نشر علوم القرآن، في كراتشي، عام ١٤١٢هـ في مجلَّدتين. ثم طُبعت بتحقيق وتعليق الشيخ أبي اسحاق الحويني الأثري، في ست مجلَّدات عن نسختين خطيّتين، في دار ابن عفان للنشر الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ، إلا أنه أضاف متن الصحيح إلى طبعته، مع أن السيوطي لم يذكر المتن،كما تقدّم، وجاءت طبعة الدكتور اللحّام خاليةً من المتن كذلك.

وقد اختصر هذه الحاشيةَ عليٌّ بن سليمان البُجُمْعَوي الدّمناتي (المتوفى في أوائل القرن الرابع عشر للهجرة) في كتابٍ سمّاه: "وشي الدِّيباج على صحيح مسلم بن الحجاج "، وقد طُبع في القاهرة سنة ١٢٩٨هـ.

٩- **السِّراج الوهَّاج في كشف مطالب مختصر صحيح مسلم بن الحجَّاج**:
للشيخ صديق حسن خان القَنُّوجي البخاري (ت١٣٠٧هـ).

شرح القنوجي في هذا الكتاب "مختصرَ صحيح مسلم" للإمام أبي محمد زكي الدين بن عبد العظيم المنذري (ت٦٥٦هـ)، وهو شرح وسط جيد، لم يتكلَّم فيه القنوجي على الأسانيد، لكون الأصل (أي "مختصر صحيح مسلم" للمنذري) كان مجرَّداً عنها؛ فلذلك قصر القنوجي الكلامَ على متون الحديث فقط، كما أنه لم يتعرَّض فيه لشرح مقدمة الإمام مسلم، فلأنه الأصل لم يكن يحتوي عليها.

ومنهج القنوجي في هذا الشرح لا يعدو عن ذكر عنوان الباب، ثم متن الحديث، مع الاقتصار على ذكر صحابيّ الحديث فقط، ثم يشرع في الشرع معتمداً على شرح النووي لـ"صحيح مسلم"، بدون التعلق بمباحث الإسناد.

طُبع هذا الكتابُ لأول مرة في بهوفال، في أحد عشر مجلَّد. ثم طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة القطر، عام ٢٠٠٩م، في إحدى عشر مجلَّد. ثم أصدرته دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، وتشتمل هذه الطبعة على ثماني مجلَّدات.

١٠- **فتح الملهم في شرح صحيح مسلم**: للعلامة شَبِّيْر أحمد العثماني الدِّيُوْبَنْدِي (ت١٣٦٩هـ)[١].

بدأ المؤلِّفُ هذا الشرح بمقدمة علمية قيمة تشتمل على أهمِّ مباحث علم الحديث وأصوله، فهي كما قال المؤلِّفُ: "فهذه فصول نافعة مهمة في بيان مبادئ علم الحديث وأصوله التي يعظم نفعها، ويكثر دورانها، انتقيتُها من

[١] مما جاء في تعريف هذا الكتاب فهو مأخوذ بتصرف يسير من بحث "المحدِّث شبير أحمد العثماني وجهود في الحديث النبوي" للأستاذ سيد عبد الماجد الغوري، المنشور في مجلة "الحديث" في عددها الثاني، صفر ١٤٣٣هـ، ص: ١١٣، ١٢٣.

الكتب المعتبرة عند علماء هذا الشأن، مع بعض زيادات مفيدة سنحت لي في أثناء التأليف؛ فأحببت أن أجعلها كالمقدمة للشرح؛ ليكون الناظر على بصيرة فيما يتضمَّن عليه الكتاب من مباحث الحديث: متونه وأسانيده"[1].

وقد طُبعت هذه المقدمة مستقلةً عن الأصل بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة رحمه الله تعالى، بعنوان: "مبادئ علم الحديث وأصوله".

شرع المؤلِّف بشرح "صحيح مسلم" مباشرةً من "كتاب الإيمان" دون شرح المقدمة للصحيح، وبلغ في تأليف الشرح إلى كتاب النكاح، ثم توفّاه الله ﷻ، ثم قيَّض الله تعالى لإكماله الشيخ محمد تقي العثماني - أحد علماء المشهورين بتضلعه من علم الحديث والفقه-، فأكمله - حفظه الله — من حيث لم يستطع المؤلِّفُ إكماله، فجاء الكتاب في ست مجلَّدات ضخام مع التكملة، وأعرض فيما يلي منهج الشيخ شبير أحمد العثماني أولاً، ثم أختصر الحديث عن منهج صاحب التكملة.

أما منهج الشيخ شبير أحمد في شرح "صحيح مسلم" فهو يتلخَّص في النقاط التالية:

- بدأ الشرحَ بمقدمة علمية ضافية عن علم الحديث تشتمل على (٢٠٨) صفحة، فقد سبق الحديث عنها.
- شَرَح مشكلاتِ الحديث مما يتعلَّق بذات الله ﷻ، وصفاته وأفعاله والحقائق الأخرى الغامضة.
- نَقَل عمدةَ أقوال العلماء في كل باب.
- سَعَى إلى تفهيم الغوامض وتسهيلها بالأمثلة والنظائر بحيث يتقرَّب إلى الفهم.

[1] العثماني، شبير أحمد، فتح الملهم بشرح صحيح مسلم، ج١، ص١٧.

- نَقَل مذاهبَ الأئمة المتبوعين في الفروع من كتبهم المعتمدة.
- خدم المذهبَ الحنفيَّ وأيَّده بدلائل قوية من الأحاديث والآثار الصحيحة، ووضَّح كثيراً من مسائله المختلف فيها بكل حيطة ونصفة، وبذلك أصبح هذا الشرح مرجعاً في الفقه الحنفي أيضاً عند علمائه، بحيث يمكن لهم الرجوع إليه في خلافاتهم وبحث مسائلهم.
- نقل بعضَ نكات السلوك والإحسان، ومقاصد الشريعة من كتاب "حجة الله البالغة" للإمام ولي الله الدهلوي (ت١١٧٦هـ).
- دفع شبهات المتنوِّرين بتقليد الغرب، والمتأثِّرين بالمستشرقين، وقدَّم ردوداً مفحمةً عليهم بالاستدلال العقلي والنقلي، وبذلك نجده قد دافع عن الدين والسنة دفاعاً قوياً.
- جمع بين كثير من الأحاديث المتعارضة ووفَّق بينها.
- جمع الأحاديثَ من المصادر والكتب المختلفة تحت باب واحد، ورجع إلى المصادر الأصلية في كل ما نَقَل، وعزا النصوصَ إليها بكل أمانة ودقة.

كما سبق أن ذكرتُ آنفاً أن الشيخ شبير أحمد لم يمهله الأجل لإكمال هذا الشرح، حيث توفي – رحمه الله – قبل ذلك، ثم قدَّر الله ﷻ أن يكون إكمالُه على الشيخ محمد تقي العثماني في ستة مجلدات ضخمة، والذي تناول في هذه التكملة عدداً كبيراً من القضايا، وما جاء في الحديث النبوي واحتوى عليه "صحيح مسلم" كغيره من كتب الحديث من أحكام وقضايا، قد تُثار حولها بحوث وتساؤلات بتأثير الثقافة الحديثة، والحضارة الغربية، والتشريعات الجديدة، بالبحث العلمي والمقارَن، وأزال ما أُثير حولها من

شُبُهات كثيرة، وما استغلَّت لمنافع شخصية أو جماعية أو سياسية وما إلى ذلك[1].

فجاءت تكملة الشيخ تقي العثماني بمباحث بديعة دقيقة، وفوائد مبتكرة، في أسلوب عصري سهل، ويمكن تلخيص المنهج الذي سلكه في تأليف هذه التكملة على النقاط التالية[2]:

- خرَّج الأحاديثَ من الأصول الستة مستوعباً، ومِن غيرها إذا احتاج ذلك.
- ضبط أسماءَ الرجال الأماكن الواردة في الروايات، مع ترجمة الرواة باختصار.
- أتى في بداية كل كتاب من كتب الصحيح بمقالة قيمة، وتحدَّث فيها عن أصول ذلك الكتاب وتاريخه وأسراره.
- بيَّن الطُّرُقَ التي لم يخرِّجها الإمام مسلم في صحيحه، موضِّحاً لمعنى الحديث، ومفصِّلاً للقصة.
- نَقَل المذاهبَ الفقهية مِن كتب أصحابها المعتمدة، مستدلاًّ بالكتاب والسنة، وتكلَّم عليها متناً وإسناداً بكل نصفةٍ وحيطةٍ.
- التزم بإثارة الأبحاث التي أحدثها العصرُ الحاضر، والتي تخلو منها كتب المتقدِّمين، فأتى بكلام فصل في الباب بتصريحات فقهاء العصر، واستنباطٍ دقيقٍ من الكتاب والسنة، وكلام الفقهاء والمتقدمين.
- اعتنى ببيان المسائل التي تركها المتقدِّمون؛ لكونها كانت مفروغاً منها عندهم، ولكن أثارها المستشرقون في عصرنا حولها شبهات وتشكيكات

---

[1] تكملة فتح المهلم: للشيخ تقي العثماني: (١/١٩، ٢٠).

[2] ذكرها الشيخُ نور البشر بن نور الحق في ترجمة الشيخ شبير أحمد العثماني، نقلت هنا بزيادة وتصرف، انظر: "فتح الملهم"، ج١، ص١٠، ١١.

بعبارات ودلائل جديدة، وقلَّدهم المستغربون من المسلمين، مثل: مسألة الاسترقاق في الإسلام، ومسألة إباحة الطلاق، ومسألة المِلكية الشخصية، ومسألة ربا البنوك... وأمثالها، ففنَّد الشيخ محمد تقي كلَّ ما يُثار حول هذه المواضيع من شُبَهٍ، ودحض أباطيلهم وتُرَّهاتهم في أسلوب مقنع يطمئن له قلبُ القارئ.

قُبلت هذه التكملة مع أصلها بحفاوة بالغة، واستحسان عظيم منذ صدورها، وقد قرَّظ لها جلة فطاحل علماء العالم الإسلامي بكلماتهم الفياضة، أمثال: العلامة أبي الحسن الندوي، والشيخ عبد الفتاح أبي غدة، والدكتور يوسف القرضاوي، والدكتور وهبة الزحيلي، وغيرهم.

طُبع هذا الكتاب لأول مرة مع التكملة في إدارة إشاعة علوم القرآن بكراتشي في باكستان، ثم طبعته دار القلم بدمشق عام ١٤٢٧هـ، في ست مجلَّدات.

١١- **منة المنعم شرح صحيح مسلم**: للشخ صفي الرحمن المباركفوري (ت١٤٢٧هـ).

وهو شرح مختصر للصحيح، ومنهج مؤلِّفه فيه يتحدَّد من خلال هذه النقاط:

- أنه راعى فيه الإيجاز، حيث اقتصر على قدر الحاجة، وترك جوانب يتنبَّه لها القارئ والدارس بقليل من التأمُّل والنظر.
- بيَّن المسألةَ الفقهية وربما غير الفقهية التي يدل عليها الحديث مع التنصيص أو الإشارة إلى اللفظ أو الجملة التي تُستنبَط منها تلك المسألةُ، وبيَّن وجهَ الاستنباط إذا كان غامضاً.
- بيَّن الراجحَ أو الصحيحَ في مسائل الخلاف، والاستدلال له بلفظ الحديث، وتأييده بأحاديث أخرى عند الحاجة.

- أوضح الجوانبَ والمعاني التي تكفي للقضاء على التأويلات الفاسدة، دون ذكر تلك التأويلات، ودون بيان وجه الردِّ عليها.
- بيَّن الوقائعَ والأيام والغزوات والسَّرايا ونحو ذلك إذا وردت في حديث من أحاديث الصحيح.
- بيَّن الأماكنَ المهمة التي وردت ذكرها في الصحيح، واستفاد في ذلك بالمعايير والمعلومات الجديدة.
- شرح غريبَ الحديث باختصار مفيد.
- وضَّح الإعرابَ والتراكيب النحوية عندما يُخشى اللبس في فهم المراد بالحديث، وهو قليل.
- بيَّن ما يتعلَّق ببعض الرجال ممن ورد في المتن أو السند، مثل بيان نسبهم أو نسبتهم أو عملهم أو بلدهم أو نحو ذلك.
- وبما أنَّ الإمام مسلم – رحمه الله تعالى – يُورد الحديثَ الواحد بطرق وألفاظ عدة؛ فقد التزم الشارحُ بشرح كل ما رأى شرحَه تحت أول طريق منها، ثم ترك بقيةَ الطرق خاليةً دون الشرح إلا أن تجيء فيها كلمةٌ أو جملةٌ تحتاج إلى إيضاح، أو لها دلالةٌ خاصةٌ على حكم أو معنى أو قيد أو شرط أو نحو ذلك؛ فنبَّه عليها الشارح.
- حيثُ إنَّ الإمام مسلم لم يضع لصحيحه التراجمَ لكتبه وأبوابه مثل شيخه الإمام البخاري في صحيحه، فقد وضعها الإمام النووي – رحمه الله تعالى – إلا صنيعُه في ذلك لا يخلو من نظر، فكثيرٌ منها لا يُطابِق الحديثَ تمام المطابعة، بل يُطابِق لِما أفتى بها سادةُ الفقهاء الشافعية، وربما يأتي النووي للمسائل بقيود وشروط لا أصلَ لها في الحديث، وحتى إنه أحياناً يُطيل لأجل تلك ترجمة الباب إطالةً يخرج عما هو

معهودٌ عند فقهاء المحدِّثين في كتبهم عامةً، وإنما يفعل ذلك نصرةً وإيضاحاً لِما ذهب إليه فقهاء المذاهب، كما أنه ربما يعقد باباً غريباً لا يُناسِب الكتابَ ولا الأبوابَ التي تلي قبله وبعده. وكذلك لم يقتصر كثيرٌ مما وضعه النووي من الكتب على أحاديث تدخل تحت عنوانها، بل جاوزتها إلى أحاديث لا علاقة لها بعنوان الكتاب. فنظراً إلى ذلك كله رأى الشارحُ – المباركفوري – أن يُعيد العمل في وضع الكتب والأبواب، وأن يختار التراجمَ لها، مع الحفاظ بقدر الإمكان على ما وضعه النووي رحمه الله تعالى[1]. وهذا من أهمِّ ميزات هذا الشرح.

طُبع هذا الشرح في أربع مجلَّدات، في دار السلام بالرياض عام ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٢- **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**: للشيخ موسى شاهين لا شِيْن (ت١٤٣٠هـ).

وضع المؤلِّفُ هذا الشرحَ لطلاب كليات أصول الدين التابعة لجامعة الأزهر، حيث عمل – رحمه الله تعالى – أستاذاً حتى وفاته؛ فلذلك جاء شرحُ أحاديث هذا الكتاب موافقاً جداً لمستوى الطلاب، كما يظهر ذلك من منهج المؤلِّف الآتي الذي سار عليه في شرح الصحيح:

- بدأ شرحَ الصحيح بكتاب الإيمان، وأجَّل شرحَ مقدمته ليشرحها في جزء خاص أسوةً للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) في مقدمة "فتح الباري".
- جمع الرواياتِ المتعدِّدة للحديث الواحد، ثم قام بشرحها كوحدةٍ، فلأنَّ الواقع أنَّ "صحيح مسلم" – كما سبق في تعريفه – يضمّ كثيراً من

[1] من مقدمة المؤلف بتصرف وزيادة يسيرين، انظر: (١/١٠،٩،٨).

الأحاديث المكرّرة بسبب اختلاف الرواة في رواياتها بالزيادة والنقص والتغيير والتقديم والتأخير، بل قد يفرق بين روايات الحديث الواحد بأحاديث أخرى، ولذلك جمع الشارحُ مثلَ هذه الروايات تفادياً لتكرار الشرح، وتخلُّصاً من إحالة اللاحق على السابق.

- اختصر الأسانيدَ، واقتصر على الراوي الأعلى، وبذلك أوفر مجهودَ الطالب للبحث في متن الحديث وصلبه بدلاً من التشتيت بين رجاله وشرحه.
- تناول شرحَ الحديثِ بعبارةٍ مبسَّطة وأسلوبٍ سهل تحت عنوان "المعنى العام". ثم تكلَّم عن كلمات الحديث وتراكيبه من الناحية اللغوية وما يحتاجه الطلاب من النحو والبلاغة تحت عنوان: "المباحث العربية". ثم بسط الأحكامَ الشرعية، وجمع بين الروايات المختلقة، وعرض آراءَ العلماء في وجه الاستدلال به أو الرد عليه، وأبرز ما يُؤخد منه من الأحكام والفوائد تحت عنوان: "فقه الحديث".

لكن الشارحُ في الطبعة الثانية للكتاب غيَّر في منهجه بعضَ تغيير، حيث إنه:

- وضع أسانيدَ "صحيح مسلم" بالهوامش، ليستفيد منها من أرادها من أهل الحديث، والترم ألفاظها، واكتفى في صدر الصفحة بالمتن والراوي الأعلى مصدِّراً بكلمة "عن".
- وأعاد أحاديثَ الصحيح إلى ترتيبها، ولم يجمع الروايات المتعددة المتباعدة للحديث الواحد، كما فعل في الطبعة الأولى؛ وذلك حفاظاً على أمانة النقل.
- ورقَّم أبوابَ الصحيح، حيث إنه لم يلتزم كثيراً بتبويب الإمام النووي، ورقَّم أحاديثَ كلِّ باب بأرقام مستقلة، وكذلك رقَّم أحاديثَ الصحيح

مسلسلة من أول الكتاب إلى آخره معتمداً على ترقيم الشيخ محمد فؤاد الباقي[1].

طُبع هذا الشرح في عشر مجلَّدات، في دار الشروق بالقاهرة عام ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٣- **الكوكب الوهَّاج والرَّوض البهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج:**

للشيخ محمد الأمين بن عبد الله الأُرمي العَلَوي الهَرَوي الشافعي (معاصر).

وهو من أحدث شروح "صحيح مسلم" وأضخمها كذلك، بدأه مؤلِّفه بمقدمة علمية قيمة سمّاها بـ"قرة عين المحتاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، ومنهجه في هذه المقدمة أنه:

- يقسِّم الكتاب إلى فقرات يتعرَّض لكل منها بالشرح والبيان والتحليل والنقد.
- يشرح الفقرةَ شرحاً إجمالياً ثم يتبعه بالشرح التفصيلي.
- يتناول الآيات التي احتوتها الفقرةُ بالتفسير والشرح.
- يتناول القضايا التي ذكرها المصنِّف الإمام مسلم بالشرح والتحليل والنقد، ويقسِّمها إلى مسائل، فيقول مثلاً: "المسألة الأولى"، و"المسألة الثانية.... وهكذا دواليك.
- يتعرَّض بتخريج الأحاديث الواردة في نصّ الأصل، فيحيلها إلى المصادر الأصلية مع بيان الكتاب والباب ورقم الحديث، وأحياناً الجزء والصفحة.
- يتبع تخريج الحديث ما حواه من فوائد حديثية سواء كانت إسنادية أو متنية.

---

[1] من مقدمة الشارح بتصرف واختصار، انظر: (١/٥، ٦، ٧، ٨).

- يترجم لرجال السند، ويذكر كلامَ العلماء فيهم ومرتبتهم من ناحية الجرح والتعديل.
- يركِّز على الجانب اللغوي حيث يُكثر النقلَ عن كتب اللغة في شرحه.
- ينقل عن العلماء السابقين أثناء شرحه لمتن المقدمة سواء لبيان المعنى أو للتدليل على قضية يريد إثباتها، خاصةً شُرّاح كتاب "صحيح مسلم" كالقاضي عياض، والإمام أبي العباس القرطبي، والإمام النووي، وغيرهم.
- يورد الشبهةَ المتعلقة ببعض الأحاديث، فيذكرها معدّداً إياها، ثم يرد عليها الواحدة تلو الأخرى.
- يتعرَّض لبعض مسائل المصطلح، ويفصل فيها مع بيان الأدلة والراجح من الأقوال.
- يذكر بعض المسائل الفقهية بطريقة مختصرة مع نسبة الأقوال إلى أصحابها.
- يناقش بعض المسائل الأصولية كالفرق بين "الرواية" و"الشهادة"، وحقيقة كل واحدة منهما[١].

أما منهجه في الشرح فيتبيَّن لنا ذلك من مقدمته التي أنقلها فيما يلي:

"ولما كان هذا الكتاب بهذه الصفة، ومصنفه بهذه الحالة.. خطر لي أن: أعلِّق عليه شرحاً يفك مبانيه، ويحلّ معانيه، ويفسِّر غرائبه، ويبيِّن أغراضه متناً وسنداً، ويشرح متابعته تابعاً ومتبوعاً، لفظاً ونحواً ومعنىً، ويبيِّن موضع التراجم من الأحاديث، ويذكر التراجمَ للأحاديث التي لم يُترجم لها، وحكمةَ ما يدخله في خلال الأسانيد من نحو: (يعني)، ومراجع الضمائر

---

[١] مستفاد من بحث "الأثيوبي ومنهجه في شرح مقدمة صحيح مسلم" للدكتور سعد الدين منصور، (المنشور في مجموعة أبحاث "مؤتمر عالمي عن مناهج تفسير القرآن الكريم وشرح الحديث الشريف)"، ص:١١٢٦،١١٢٣.

والإشارات في نحو قوله: (مثله) و(نحوه) و(معناه)، وفي قوله: (بهذا الإسناد) مما قد زَلَّتْ فيه أقدامُ كثير من ضعفاء الطلبة، وغير ذلك من الفوائد التي انفرد بها عن سائر شروح السابقين مما يطول ذكره، ويصعب تعداده ونشره...، فشمّرتُ ذيل العزم عن ساق الحزم، وأتيت بيوت التصنيف من أبوابها، وقمت في جامع جوامع التأليف بين أئمته بمحرابها، وأطلقت لسان القلم في ساحات الحِكم بعبارة صريحة واضحة، وإشارة قريبة لائحة، لخصتها من كلام الكبراء الذين رقَت في معارج علوم هذا الشأن أفكارهم، ومن إشارات الألباء الذين أنفقوا على اقتناص شوارد أعمارهم، وبذلتُ الجهد في تفهم أقاويل الفهماء المشار إليهم بالبنان، وممارسة الدواوين المؤلفة في هذا الشأن.

و لم أتردَّد عن الإعادة في الإفادة عند الحاجة إلى البيان، ولا في ضبط الواضح عند علماء هذا الشأن، قصداً لنفع الخاص والعام، راجياً ثواب ذي الطول والإنعام.

وسميته: الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج".

فبدأ الشارح بشرح الكتاب على النحو الذي ذكره في مقدمته، حيث بدأ شرح كتاب الإيمان منه في خمس مجلدات.

طُبع هذا الشرح في دار المنهاج بجدة عام ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، في خمس وعشرين مجلَّداً.

خاتمة البحث:

وهذا ما تيسَّر لي – بفضل الله وعونه – من تسليط الضوء على شخصية الإمام مسلم بن الحجاج القشيري – رحمه الله تعالى –، والتعريف بكتابه "الصحيح

المسند" باختصار، ثم من الدراسة والتعريف لشروحه مع بيان مناهج مؤلِّفيها فيها. وأرجو أن يكون هذا الجهد المقل المتواضع مفيداً – بإذن الله تعالى– لقراء "صحيح مسلم"، فلأنَّ فهمَهم لهذا الكتاب الجليل وغيره من كتب الرواية لا يتأتَّى لهم في يُسْر إلا من خلال شروح الصحيح، فثم بمعرفة مناهج أصحابها فيها.

مصادر ومراجع البحث:

١) **أعلام المحدثين**: للدكتور أبي شهبة: القاهرة: مطابع دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٦٢م.

٢) **أعلام المحدثين ومآثرهم العلمية**: للدكتور تقي الدين الندوي، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

٣) **إكمال المعلم بفوائد كتاب مسلم**: للقاضي عياض اليحصبي، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل، الرياض: دار الوفاء، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٤) **الإمام مسلم ومنهجه في صحيحيه**: لمحمد عبد الرحمن الأحمد المحمد، (أطروحة مكتوبة على الآلة مقدمة إلى الجامعة الزيتونية بتونس، عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

٥) **الإمام النووي شيخ الإسلام والمسلمين وعمدة الفقهاء والمحدثين**: للشيخ عبد الغني الدقر، دمشق: دار القلم، ط٥، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٦) **الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف**: للإمام ولي الله الدهلوي، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، بيروت: دار النفائس.

٧) **تاريخ بغداد**: للحافظ الخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٨) **تاريخ التراث العربي**: للدكتور فؤاد سزكين، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٩) **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**: للحافظ أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: الأستاذ أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الرياض: دار العاصمة، ط١، ١٣٢٤هـ/٢٠٠٣م.

١٠) **تذكرة الحفاظ**: للحافظ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي، حيدرآباد: دار المعارف النظامية. ط١، ١٣٣٣هـ/١٩١٥م.

١١) **تهذيب الأسماء واللغات**: للإمام النووي أبي زكريا محيي الدين يحيى ين شرف، بيروت: دار النفائس.

١٢) **تهذيب التهذيب**: للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عادل مرشد، بيروت: دار النفائس، ط١، ٢٠٠٥م.

١٣) **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: للحافظ أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، ن: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: ١، عام ١٤٠٢هـ.

١٤) **توجيه النظر إلى أصول الأثر**: للشيخ طاهر الجزائري، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط٢، ١٤٣٠هـ.

١٥) **حجة الله البالغة**: للإمام ولي الله الدهلوي، الطبعة الهندية.

١٦) **الحديث والمحدثون**: للشيخ محمد أبي زهو، القاهرة: المكتبة التوفيقية.

١٧) **حياة البخاري**: للشيخ جمال الدين القاسمي، بيروت: دار النفائس، ط١، ١٩٨٤م.

١٨) **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج**: للحافظ أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: الدكتور بديع السيد اللحام، كراتشي: إدارة نشر علوم القرآن، ط١، ١٤١٢هـ.

١٩) **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**: للشيخ محمد بن جعفر الكتاني، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط٧، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٢٠) **السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج**: للشيخ صديق حسن خان القنوجي البخاري، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢١) **سير أعلام النبلاء**: للحافظ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠١هـ.

٢٢) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: لابن العماد أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤط، دمشق: دار ابن كثير، ط١، ١٤٠٦هـ.

٢٣) **صحيح مسلم**: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الرياض: دار السلام، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٢٤) **صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الاسقاط والسقط**: لابن الصلاح، أبي عمرو، عثمان بن عمرو الكردي الشافعي، تحقيق: الدكتور موفق بن عبد الله بن عبد القادر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢٥) **طبقات المحدثين**: للحافظ أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ.

٢٦) **العبر في خبر من غبر**: للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، الكويت: مطبعة حكومة الكويت.

٢٧) **عبقرية الإمام مسلم في ترتيب أحاديث مسندة الصحيح دراسة تحليلية**: للدكتور حمزة عبد الله المليباري، بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٢٨) **علوم الحديث**: للحافظ ابن الصلاح أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر، دمشق: دار الفكر، ط١٣، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م.

٢٩) **غنية المحتاج في ختم صحيح مسلم بن الحجاج**: للحافظ أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: الدكتور جمال فرحات صاولي، الرياض: كنوز إشبيليا، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٣٠) **فتح الملهم بشرح صحيح مسلم**: للشيخ شبير أحمد العثماني، دمشق: دار القلم، ط١، ١٤٢٧هـ.

٣١) **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**: للدكتور موسى شاهين لاشين، القاهرة: دار الشروق، ط٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٣٢) **الفهرست**: لابن النديم، محمد بن إسحاق بن محمد، طبع طهران.

٣٣) **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: لحاجي خليفة مصطفى بن عبد الله القسطنطني الرومي، بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٣٤) **الكشاف عن أبواب مراجع تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**: للشيخ عبد الصمد شرف الدين. بيروت: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٣٥) **الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج**: للشيخ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري، جدة: دار المنهاج، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٣٦) مجلة "**الحديث**" (الصادرة عن معهد دراسات الحديث النبوي في الجامعة الإسلامية العالمية بسلانجور في ماليزيا)، العدد الثاني، صفر ١٤٣٣هـ.

٣٧) **مجموعة أبحاث "مؤتمر عالمي عن مناهج تفسير القرآن الكريم وشرح الحديث الشريف"**: كوالالمبور: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٨م.

٣٨) **المدخل إلى دراسة جامع الترمذي**: للشيخ سلمان الحسني الندوي، تحقيق: سيد عبد الماجد الغوري، دمشق: دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٣٩) **مصادر الحديث ومراجعه دراسة وتعريف**: لسيد عبد الماجد الغوري، بيروت: دار ابن كثير، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٤٠) **معجم البلدان**: لياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، بيروت: دار صادر، ط١، ١٣٧٦هـ.

٤١) **معجم المصطلحات الحديثية**: لسيد عبد الماجد الغوري، بيروت: دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٤٢) **مفتاح كنوز السنة**: للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، لاهور: إدارة ترجمان السنة.

٤٣) **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**: للإمام أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محي الدين مستو وآخرين، دمشق: دار ابن كثير، ط٤، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٤٤) **مقدمة تحفة الأحوذي**: للشيخ محمد عبد الرحمن المباركفوري، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٤٥) **مناهج المحدِّثين العامة والخاصة**: للدكتور علي نايف بقاعي، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٤٦) **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**: للحافظ ابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن البغدادي، حيدرآباد: دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٥٧هـ.

٤٧) **منهج النقد في علوم الحديث**: للدكتور نور الدين عتر، دمشق: دار الفكر، ط٢٨، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٤٨) **منة المنعم في شرح صحيح مسلم**: للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، الرياض: دار السلام، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٤٩) **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**: للإمام النووي أبي زكريا محيي الدين يحيى ين شرف، تحقيق: خليل مأمون شيحا، بيروت: دار المعرفة، ط٤، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٥٠) **النكت على كتاب ابن الصلاح**: للحافظ ابن حجر أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق: الدكتور ربيع بن هادي عمير المدخلي، القاهرة: دار الإمام أحمد، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٥١) **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**: لإسماعيل باشا البغدادي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٩٥٥م.

٥٢) **وفيات الأعيان**: لابن خلكان أبي العباس حمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، طبع مصر عام ١٣١٠هـ.

٥٣) **هدي الساري**: للحافظ ابن حجر أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

الأمير صديق حسن خان البخاري القَنُّوْجِي وإسهامه في الحديث النبوي

سيد عبد الماجد الغوري[1]

المقدمة:

يُعَدّ الأمير صديق حسن خان القنوجي أحد مشاهير الإسلام، ومن أعلام النهضة الإسلامية المعاصرة، وأحد طليعة المؤلّفين الهنود الذين راجت كتبهم في الأقطار العربية ونالت قبولاً واستحساناً لدى علمائها. كما أنه يُعَدّ كذلك في رواد النهضة الحديثية في بلاد شبه القارة الهندية إذ كان سبباً لجلب العديد من المحدِّثين العرب في الهند، ونشرِ الكثير من دواوين السنة وكتب أئمة الحديث في هذه البلاد. وهذا البحث يحتوي على ثلاثة مطالب، يترجم أولها للقنوجي، ويعرِّف الثاني بإسهاماته الجليلة في مجال الحديث النبوي، ويزيل الثالث بعض الشبهات المثارة حول مؤلّفاته.

المطلب الأول: ترجمته الذاتية

اسمه وكنيته ونسبته ونسبه:

أولاً: اسمه: صِدِّيق حسن خان.

ثانياً:كنيته: أبو الطيب.

ثالثاً: نسبته: "البخاري" إلى "بخارى" تلك المدينة التاريخية العريقة التي أنجبت أئمةً عظاماً في الحديث مثل الإمام البخاري[2]. وقد هاجر إليها الشريف محمد أحد

---

[1] المحاضر في قسم الكتاب والسنة في الكلية الجامعية الإسلامية العالمية (كويس)، والباحث الزميل في معهد دراسات الحديث النبوي (إنهاد) بسلانجور.

[2] هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (١٩٤ – ٢٥٦هـ): حبر الإسلام، إمام المحدِّثين، وأمير المؤمنين في الحديث، وصاحب "الجامع المسند الصحيح". وُلد في "بخارى" وتوفي بها، وقام برحلة طويلة في طلب الحديث وسمع من نحو ألف شيخ. ومن مصنفاته: "الأدب المفرد"، و"التاريخ الكبير"، و"التاريخ الأوسط" وغيرها. انظر: الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج ٢، ص١٢٢.

أحفاد الإمام النقي من بغداد، وأقام فيها، وسكن بعده هناك أولاده، إلى أن غادرها الشيخ جلال الأعظم إلى الهند في عام ٦٥٢هـ، وسكن مدينةَ "مُلْتان"، ثم انتقل أحد أحفاده – هو الشيخ جلال الثالث – إلى دلهي على دعوة من حاكمها بَهْلُول شاه اللُّوْدِي[١]، ثم انتقل منها إلى مدينة "قَنُّوْج"[٢] حيث استقرت فيها أسرته، وعُرف أفرادها بالانتساب إليها[٣].

رابعاً: نسبه: ينحدر نسبه من سلالة النبي ﷺ من جهة ابنته فاطمة رضي الله عنها[٤].

مولده:

وُلد القنوجي يوم الأحد، التاسع عشر من شهر جمادى الأولى لعام ١٢٤٨هـ (الموافق ١٤ أكتوبر عام ١٨٢٢م)، في بلدة "بانْس بَرَيْلِي" في ولاية "أترابرديش"، في موطن جدِّه لأمه، ونشأ في موطن آبائه "قَنُّوج"[٥].

نشأته:

أبصر النورَ في أسرة معروفة بتمسُّكها بالكتاب والسنة، وباهتمامها بالعِلم واحترامها للعلماء، فنشأ في أحضان هذه الأسرة الكريمة على حُبِّ العِلم وأهله.

---

[١] هو بهلول بن كالا بن بهرام اللُّودي الأفغاني: (ت٨٩٤هـ): السلطان العادل الفاضل، ولّي الملكَ بدهلي في سنة ٨٥٥هـ، وحكمها قرابة أربعين سنة، وكان مقداماً شجاعاً، وصالحاً ومحباً للعلم وأهله. انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**، ج٢، ص٢٤٠، ٢٤١.

[٢] وهي من أقدم المدن في شمالي الهند، وكانت قاعدة مملكة الهند في القديم. يقول المقدسي في وصفها: "قصبة كبيرة لها ربض، ومدينة بها لحوم كثيرة، ومياه غزيرة، وبساتين محيطة، ووجوه حسنة، وماء صحيح، وبلد فسيح، متجر ربيح...، وبها علماء وأجلة". انظر: عبد الله بن محمد بن أحمد بن البناء البشاري المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق: محمد مخزوم، ص٣٦١.

[٣] محمد اجتباء الندوي، **الأمير صديق حسن خان حياته وآثاره**، ص٣٣، ٣٥.

[٤] صديق حسن خان القنوجي، **التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الأول والآخر**، ص: ٥٤١.

[٥] القنوجي، **الحطة في ذكر الصحاح الستة**، ص: ٢، ٣.

وقد تُوفِّي والدُه حين كان عمرُه سِتّ سنوات، فتولَّت والدتُه تربيتَه منذ نُعومة أظفاره، فرعتْه رعايةً صالحةً.

طلبه للعلم:

بدأ مسيرته في طلب العلم بتلقِّي القرآن الكريم مجوّداً في أحد كُتَّاب بلدته "قنوج". ثم قرأ عدداً من العُلوم والفنون على شُيوخ أطراف وأكناف تلك البلدة، والجدير بالذكر منهم شقيقه الأكبر الشيخ أحمد بن حسن القَنُّوجي[1]. ثم رَحَل في طلب العِلم إلى مختلف بلاد الهند، وتتلمذ على أكابر علمائها، لا سيما "دهلي" عاصمة الهند ومركز العلم آنذاك، وتعلَّم هناك على يد تلامذة الإمام ولي الله الدهلوي[2] وغيرهم من العلماء الأجلّة أمثال: الشيخ محمد صدر الدين خان بَهَادُرْ[3]، والشيخ

---

[1] هو أحمد بن أولاد حسن بن أولاد علي الحسيني البخاري القنوجي، المشهور بلقب "العَرْشِي" (١٢٤٦ – ١٢٧٧هـ): أحد العلماء المبرَّزين في الحديث والعلوم العربية. أخذ الحديثَ عن المحدِّث عبد الغني بن أبي سعيد العمري الدهلوي. توفي بمدينة "بَرُوْدَهْ" عن ثلاثين سنة من عمره. ومن مصنفاته: "الشهاب الثاقب" في مجلد في الاجتهاد والتقليد. انظر: القنوجي، **أبجد العلوم**، ص٧٢٣، وعبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٧، ص٨٩٧.

[2] هو ولي الله قطب الدين أحمد بن أبي الفيض عبد الرحيم الدهلوي (١١١٤-١١٧٦هـ): المصلح المجدِّد، المفسِّر المحدِّث، الفقيه المجتهد. أخذ العلم عن والده، وقرأ الحديثَ على المحدِّث الشيخ محمد أفضل السيالكوتي، ثم رحل إلى الحجاز وتتلمذ في الحديث على أجلة علمائه. ثم عاد إلى الهند وبدأ تدريسَ الحديث النبوي في دلهي، وانتفع به خلقٌ كثيرٌ لا يحصى عددهم. تُوفّي بدهلي. وله مؤلَّفات كثيرة، ومنها: "المسوَّى من أحاديث الموطأ" (بالعربية)، و"المصفَّى" (بالفارسية)، و"حجة الله البالغة". انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٦، ص٨٥٦.

[3] هو صدر الدين بن لطف الله الكشميري ثم الدهلوي، الملقَّب بـ"خانْ بَهَادُرْ" (١٢٠٤ – ١٢٨٥هـ): العلامة المفتي، وأحد العلماء المشهورين في الهند، كان جامعاً بين الفقه والحديث. وُلد بدهلي وتوفي بها. أخذ الحديثَ عن الشيخ إسحاق بن أفضل العمري وأسنده عنه. تصدَّر للتدريس في دلهي مدةً طويلة. ومن مصنفاته: "منتهى المقال في شرح حديث: لا تشد الرحال" في الحديث، و"الدر المنضود في حكم امرأة المفقود". انظر: الحسني، عبد الحي، **نزهة الخواطر**، ج٧، ص٩٩٢.

حسين بن مُحسن السَّبْعي الأنصاري[1]، والشيخ زين العابدين بن مُحسِن السَّبْعي الأنصاري[2]، والشيخ عبد الحقِّ بن فضل الله البَنَارَسِي[3]، وكلُّهم أجازوه بإجازات عامة فيما قرأ عليهم من العلوم والفنون[4].

---

[1] هو حسين بن محسن بن محمد بن مهدي الخزرجي السعدي الأنصاري اليماني (١٢٤٥ - ١٣٢٧ﻫ): القاضي المحدّث المسند المِفَنّ الأثري، من كبار علماء الحديث في وقته. وُلد بـ"الحُديدة" في اليمن. قرأ على أكابر علماء اليمن. ثم رحل إلى مكة وقرأ الصحاح الست ومسند الإمام الدارمي وغيرها من كتب الحديث على الحافظ محمد بن ناصر الحسني الحازمي. انتقل إلى الهند على دعوة من الأمير صديق حسن خان القنوجي وسكن في"بهوفال" فكانت مستقره إلى وفاته، حيث كان عمل مدرِّساً في مدرسة الرئاسة، وقد تخرَّج عليه عدد وجيه من العلماء الكبار في الهند. وله عدة رسائل في موضوعات مختلفة. انظر: القنوجي، **أبجد العلوم**، ص٦٩٠، ٦٩١. وعبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١٢١٢، والندوي، **شخصيات وكتب**، ص٧٥، ٧٧، و٢٤١.

[2] هو زين العابدين بن محسن بن محمد بن مهدي الخزرجي السعدي الأنصاري اليماني (ت١٢٩٧ﻫ): أحد العلماء المشهورين في الهند. وُلد ونشأ ببلدة "حُديدة" في اليمن. وقرأ العلم على علماء اليمن المشهورين أمثال الشيخ السيد حسن بن عبد الباري الأهدل وغيره. ثم سافر إلى الهند وسكن بإمارة "بهوفال" إلى أن توفي بها، وتبوَّأ فيها مكانة علمية مرموقة حتى وُلِّي منصب القضاء بالإمارة، وظلَّ على هذا المنصب إلى وفاته. وقد أخذ عنه عدد كبير من العلماء الأجلاء في الهند. انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٧، ص٩٧٨.

[3] هو عبد الحق بن فضل الله العثماني النيوتيني ثم البنارسي (١٢٠٦-١٢٧٦ﻫ): المحدِّث المعمَّر، أحد العلماء المشهورين في عصره. وُلد بقرية "نيوتيني" من أعمال "موهان" ونُسب إليها. أخذ العلم عن أبناء الإمام شاه ولي الله الدهلوي. ثم سافر إلى الحجاز، ومكث في اليمن عند عودته إلى الهند، ولقي أئمة العلم بها أمثال الإمام محمد بن علي الشوكاني والشيخ محمد عابد بن أحمد علي السندي واستجاز منهم. وله كتب ورسائل في المنع عن التقليد، ورسالة له في أسانيد الشيخ محمد عابد السندي. انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٧، ص١٠٠٠، ١٠٠١.

[4] الأحمد، **دعوة الأمير العالم صديق حسن خان واحتسابه**، ص: ٥٦. وعبد الجبار بن عبد الرحمن الفريوائي، **جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم**، ص ٣٤.

تأثُّره بالإمام الشوكاني:

كان لشخصية الإمام محمد بن علي الشَّوكاني[1] الاجتهادية أثر كبير في تكوين شخصية القنوجي العلمية، لكونه قد تتلمذ على بعض شيوخ اليمن، أمثال الشيخ حسين بن محسن الأنصاري وعلى أخيه الشيخ زين العابدين الأنصاري الَّلذَين أخذا عن الشيخ محمد بن ناصر الحازمي[2] الآخذ عن الإمام الشَّوكاني. كما أخذ القنوجي عن الشيخ عبد الحقِّ بن فضل الله البَنَارَسي المجاز من الشوكاني، لذلك عَدَّه بعضُ المترجمين له من تلامذة الشوكاني بالواسطة، وكان القنوجي يفتخر بذلك، كما يظهر ذلك من قوله: "ينتهي سندي إلى القاضي محمد بن علي الشَّوكاني بواسطة الشيخ عبد الحق بن فضل الله الهندي"[3].

وقد غلبت عليه محبة الشوكاني لدرجة أنه أكثر النقلَ عنه في كثير من مؤلَّفاته، وبالغ في نشر علومه وأفكاره في صياغة جديدة بين المسلمين وخاصةً بين

---

[1] هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني (١١٧٣-١٢٥٠هـ): المفسِّر المحدِّث، المجتهد المطلق، ومن كبار علماء اليمن. وُلد بهجرة "شوكان"، ونشأ بصنعاء. قرأ الحديث وغيره من العلوم على كبار علمائه في. ثم تفرَّغ للتدريس والإفتاء. ووُلِّي قضاء الصنعاء. كان على المذهب الزيدي، ثم تركه ومال إلى العمل بالكتاب والسنة، وأصبح أحدَ كبار الدعاة إلى ترك التقليد، وأخذِ الأحكام اجتهاداً من الكتاب والسنة. وله مؤلَّفات كثيرة، ومن أشهرها: "نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار"، و"فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير"، وغيرها. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٢ ص ١٩٠.

[2] هو محمد بن ناصر الحازمي الحسني الضمدي (ت١٢٨٣هـ): العلامة المحدِّث، من أعيان علماء القرن الثالث عشر، ومن كبار مشايخ الحديث والمسندين في وقته، من أشراف "تهامة". أخذ العلم عن علماء الحرمين أمثال: الشيخ الوجيه عبد الرحمن الأهدل، والإمام محمد بن علي الشوكاني (اللذَين كانا مقيمَين هناك وقتئذ)، والشيخ محمد إسحاق بن أفضل العمري الدهلوي، والشيخ محمد عابد السندي، وغيرهم. ممن أخذ عنه الشيخ حسين بن محسن الأنصاري – وهو أجلّ وأشهر الآخذين عنه – وأخوه زين العابدين بن محسن الأنصاري. ومن آثاره: رسالة في الصفات. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، ص١٢٢، كحالة، **معجم المؤلفين**، ج٣، ص٧٤٧.

[3] انظر: القنوجي، **أبجد العلوم**، ج٣، ص١٦٩.

مسلمي الهند الذي ابتلوا بأدواء الجهل والعصبية والجمود في التقليد والبدع والخرافات. وقد أبدى القنوجي تأثُّرَه بالشوكاني وإعجابه به في ترجمة الحافظ محمد بن عبد الرحمن السَّخاوي[1] في كتابه "التاج المكلَّل" حيث قال: "وقد غلبت عليه محبة شيخِهِ الحافظ ابن حجر[2]، فصار لا يخرج عن غالب أقواله، كما غلبت على ابن القيِّم[3] محبة شيخ ابن تيمية[4]، وعلى الهيثمي[1] محبة شيخه العراقي[2]"، وعليَّ محبة شيخي العلامة الشوكاني رحمه الله"[3].

---

[1] هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي (٨٣١ - ٩٠٢هـ): المحدِّث المؤرخ، المؤلف المكثر. أصله من "سخا" من قرى مصر، ومولده بالقاهرة، ووفاته بالمدينة. لازم الحافظَ ابن حجر وتخرَّج عليه في الحديث. صنَّف زهاء مئتي كتاب، ومنها في الحديث: "فتح المغيث في شرح ألفية الحديث للعراقي"، و"شرح التقريب للنووي"، والمقاصد الحسنة"، وفي التاريخ: "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريخ" وغيرها. انظر: الشوكاني، **البدر الطالع**، ج١، ص٧٣٨، والزركلي: **الأعلام**، ج٦، ص١٩٤.

[2] هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر العسقلاني، شهاب الدين، أبو الفضل (٧٧٣-٨٥٢هـ): شيخ الإسلام، الإمام الحافظ. تخرَّج في الحديث على الحافظ العراقي. وله مؤلَّفات بديعة فيه مثل: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، و"تهذيب التهذيب"، و"تقريب التهذيب"، و"لسان الميزان"، و"الإصابة في تمييز الصحابة"، "نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر" وشرحه، و"بلوغ المرام من أدلة الأحكام"، وغيرها. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج١، ١٧٨.

[3] هو محمد بن أَبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، شمس الدِّين، المعروف بـ "ابن قيم الجوزية" (٦٩١-٧٥١هـ): المفسِّر المحدِّث، المجتهد المطلق، المصنّف المشهور. وُلد بدمشق وتوفي بها. لازم شيخَ الإسلام ابن تيمية واستفاد منه في جميع العلوم. وله نحو مئة مؤلف في موضوعات مختلفة. انظر: الشوكاني، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع**، ج٢، ٦٩٥.

[4] هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، أبو العباس، تقي الدين الشهير بـ"ابن تيمية" (٦٦١-٧٢٨هـ): الإمام المحدِّث، المجتهد المطلق. وُلد في "حَرَّان" وتوفي بدمشق. طلب العلم على أيدي علماء دمشق منذ صغره، وعُني بالحديث عناية خاصة. وله مؤلَّفات كثيرة، ومن أبرزها: "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية"، و"اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم"، و"مجموع الفتاوى"، وغيرها. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج١، ص١٤٤.

فكما كان هؤلاء الأئمة لا يخرجون عن غالب أقوال مشايخهم مع رسوخهم في العلم، وإمامتهم في الفنون، كذا كان يحب القنوجي مع علمه وفضله ورسوخه في العلم أن ينشر علم شيخه الشوكاني بالواسطة، الذي رزقه الله موهبةً علمية وغيرةً دينية نادرة، مما جعل القنوجيَّ يتأثَّر به تأثراً شديداً، حيث إنه أقبل على كتبه في سنٍّ مبكِّر وطالع جميعَها بفرط شوقه، والتي عادت عليه بفوائد كبيرة كشفت عن نبوغه، وأظهرت همته العالية في طلب العلم، فأثَّر ذلك كله في مسيرته العلمية التي جعلته أحدَ مشاهير علماء الإسلام[4].

رحلته إلى الحج:

خرج القنوجي إلى الحجاز عام ١٢٨٥ﻫ عن طريق البحر، ونزل في "عدن" التي تقع في الطريق، حيث التقى بعلمائها وشيوخها، واطَّلع على مخطوطات نادرة

---

[1] هو علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي المصري، نور الدين، أبو الحسن (٧٣٥ – ٨٠٧ﻫ): الإمام الزاهد، الحافظ المتقن. وُلد بالقاهرة وتوفي بها. لازم الحافظَ العراقي ورافقه في جميع رحلاته، وشاركه في جميع مسموعاته، وتخرَّج عليه في علم الحديث. له مصنفات جليلة، ومن أشهرها: "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد". انظر: ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٧، ص٧٠، والشوكاني، **البدر الطالع**، ج١، ص٤٨٠.

[2] هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم المصري، زين الدين أبو الفضل (٧٢٥–٨٠٦ﻫ): الإمام الحجة، محدِّث الديار المصرية. وُلد بمنشاة المهراني بين مصر والقاهرة على شاطئ النيل. أخذ الحديث عن كبار علمائه في مصر في وقته، ثم رحل في طلبه إلى بلاد الشام الحجاز وسمع من علماءها. ومن مؤلفاته: "المغني عن حمل الأسفار في الأسفار"، والتقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح"، و"الألفية" في مصطلح الحديث وغيرها. انظر: ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٧، ص٥٥، والشوكاني، **البدر الطالع**، ج١، ص٣٩٢.

[3] القنوجي، **التاج المكلل**، ص٤٤٠.

[4] انظر: الأحمد، **دعوة الأمير العالم صديق حسن خان رحمه الله واحتسابه**، ص٥٦. والفريوائي، **جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم**، ص٣٤.

عندهم، فاستنسخ منها البعض[1]. وبعد أداء فريضة الحجِّ؛ مكث في مكة المكرمة أياماً، يحضر دروسَ العلماء في الحرم، ويستنسخ المخطوطات القيمة. وهكذا قضى وقته في المدينة المنورة[2]. وقد سجَّل القنوجي جميع وقائع وأحداث هذه الرحلة المباركة في كتاب سمَّاه: "رحلة الصديق إلى البيت العتيق"[3].

المناصب والأعمال التي تقلَّدها:

تدرَّج القنوجي في عدة مناصب إدارية في إمارة "بهوفال"[4]، ومن أهمِّها ما يلي:

١. وزيراً لشؤون التعليم.
٢. ورئيساً للديوان الأميري.
٣. ونائباً للملكة[5].

---

[1] منها: رسائل الأمير الصنعاني "صاحب سبل السلام"، و"اقتضاء الصراط المستقيم" لابن تيمية، و"نيل الأطار شرح منتقى الأخبار" و"إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في الأصول" للشوكاني. (انظر: القنوجي، **مآثر صديقي**، ج٢، ٧٧، ٨١، والندوي، **الأمير صديق حسن خان حياته وآثاره**، ص١٠٢، ١٠٣).

[2] القنوجي، **مآثر صديقي**، ج٢، ٧٧، ٨١، والندوي، **الأمير صديق حسن خان حياته وآثاره**، ص١٠٢، ١٠٣.

[3] طُبعت في مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، في عام ١٤٢٧هـ.

[4] من أشهر مدن الهند، تقع في وسطها، وهي اليوم تُعد في إحدى ولايات الهند، وكانت قبل استقلال الهند من الاستعمار البريطاني إحدى أكبر وأغنى الإمارات الإسلامية فيها بعد "إمارة حيدرآباد، الدَّكَن". انظر: عبد الحي الحسني، **الهند في العهد الإسلامي**، ص ٢٥٨.

[5] هي الأميرة شاه جهان بيغم بنت الأميرة سكندر بيغم (١٢٥٤ - ١٣١٩هـ): إحدى النساء الفاضلات النادرات في التاريخ، يُضرَب بها المثل في الذَّكاء والحفظ والكرم والجود. تعلَّمت العديدَ من العلوم والفنون، وبرعت في الأدب الفارسي، وتعلَّمت إدارةَ الدولة وأتقنتها، ووُلِّيت الإمارة في سنة ١٢٨٥هـ. فلمَّا توفي زوجها الأمير باقي محمد خان؛ تزوَّجت بالأمير صديق حسن خان القنوجي في سنة ١٢٨٨هـ. توفيت ببهوفال ودُفنت بها. وكانت امرأةً صالحةً، قرأت على القنوجي عدة علوم، وكانت محبةً للخير، وجهودها في ذلك كثيرة لا تُحصى. ولها كتب مشهورة، منها: ديوان الشعر، وتهذيب النِّسوان". انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١٢٤٥، ١٢٤٦، والقنوجي، **التاج المكلل**، ص: ٥٤٣.

وبعد هذا المنصب الأخير؛ جلس القنوجي مجلس الحكم في أمور الدولة، حيث قام مقام الملكة التي أنعم الله عليه بزواجه منها بعد، فتولّى بعد زواجه الإمارةَ، وظلَّ عليها مدةً طويلة حتى وفاته[1].

صفاته الْخِلْقية والْخُلقية:

ذكر المترجمون للقنوجي في وصفه الخِلقي: أنه كان معتدلَ القامة، مليحَ اللّون، مائلاً إلى البياض، ممتلئ الوجنات، أقنى الأنف، واسِعَ الجبين، أسيلَ الوجه، جميلَ المحيا، بهيَّ المنظر، عريضَ ما بين المنكبين، متوسّطَ اللِّحية[2].

أما في وصفه الخُلقي فقالوا: إنَّه كان دمث الخُلق، حيياً، جمَّ التواضع، لا يعدّ نفسه إلا كآحاد الناس، لطيفَ المعاملة، حلوَّ المنطق، قليلَ الكلام، عفيفَ اللّسان، قليلَ الغضب، واسعَ الحلم، دائمَ البشر، حسنَ العشرة، ذا مرح وأناقة، مُحبّاً للناس، معترفاً لهم بالفضل، بريئاً من التذمُّر، قريباً من القلب والنفس، محباً للإنصاف والعدل.

وكان من أبرز صفاته: الشجاعة، كما تلوح من كتاباته، وذلك بإحقاق ما يراه أنه الحقّ، واحتسابه على المنكرات، وعدم مبالاته بلوم اللائمين وكيد الواشين أياً كانوا[3].

من ثناء العلماء عليه:

لقد حظي القنوجي بالمكانة العلمية المرموقة في أفئدة كثير من مُسلِمي بُلدان العالم الإسلامي، فكانت صِلاته وعلاقاته متشبّعةً بوسائل متنوّعة، والتي أتاحت له

---

[1] الأحمد، **دعوة الأمير العالم صديق حسن خان واحتسابه**، ص ٦١، ٦٢.

[2] انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١٢٤٩، والأحمد، **دعوة الأمير العالم صديق حسن خان واحتسابه**، ص٨١، ٨٢.

[3] الأحمد،، **دعوة الأمير العالم صديق حسن خان واحتسابه**، ص ٧٩، ٨٠.

الشهرة الواسعة والسمعة الطيبة، فسمع به القريبُ والبعيد، وعرف العلماءُ له مكانته، وامتدحوه كثيراً وأثنوا عليه مراراً، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

فقد وصفه معاصره علامةُ الشَّام الشيخ عبد الرزاق البيطار[1] بأنه سيد علماء الهند في زمانه حيثُ قدم لذلك بقوله: "كان مُلِمّاً بالعلوم، متضلِّعاً منها بالمنطوق والمفهوم، ومجتهداً في إشاعتها، مجدِّداً لإذاعتها، مع كونه يرى ذاته الشريفة كآحاد المسلمين، ويتواضع مع كل واحد من الناس لله ربِّ العالمين، ويتحاشى عن الدنيا وزخارفها، ويتجافى بقلبه عن مراقيها معاطفها. أحيا السُّنّةَ الميتة في ذلك المكان بالأدلة البيضاء من السنة والفرقان، فهو سيد علماء الهند في زمانه"[2].

ووصفه مؤرِّخُ الهند الكبير الشيخ عبد الحي الحسني[3] بقوله: "علاَّمةُ الزمان، وترجمانُ الحديث والقرآن، ومحيي العلوم العربية، وبدر الأقطار الهندية"[4].

وقال عنه عالم الحجاز الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ[5]: "كان آيةً من آيات الله في العِلم والعمل والأخلاق الفاضلة، والتمسُّك بالكتاب

---

[1] هو عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار (ت١٣٣٥هـ): أحد أعلام مؤرخي دمشق، ومن كبار علماء الدين. ولد بدمشق في حي الميدان وتوفي بها. كان سلفي العقيدة، ومتبحراً في علم الحديث، اشتغل بالأدب مدة، ولكنه اقتصر في آخر أمره على علمي الكتاب والسنة. ومن مؤلَّفاته: "حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر"، في ثلاثة مجلدات، ترجم فيه لمشاهير القرن الثالث عشر الهجري. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص٣٥١.

[2] عبد الرزاق البيطار، **حلية البشر في تاريخ القرن الثاث عشر**، ج٢، ص٧٤٥.

[3] هو عبد الحي بن فخر الدين الحسني (١٢٨٦-١٣٤١هـ: المؤرخ الشهير، العلامة البحاثة. قرأ الحديثَ على الشيخ نذير حسين الدهلوي. تولَّى رئاسةَ "دارالعلوم ندوة العلماء"مدةً طويلةً. وكانت له عناية جيدة بالحديث تأليفاً وتدريساً، ومن مؤلَّفاته فيه: "تهذيب الأخلاق" و"منتهى الأفكار في تلخيص الأخبار"، وشرح على "سنن أبي داود" لم يكمله. انظر: عبد العلي الحسني، في مقدمته لـ "**نزهة الخواطر**"، ج١، ص٢٣،٢٨.

[4] عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص٢٠٢.

[5] هو عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله (١٣٣٢-١٤٠٦هـ): من ذرية الإمام محمد بن عبد الوهاب

والسنة، صرف ما آتاه الله من المال والجاه في خدمة الإسلام والدين، وفي نشر عِلم الحديث والدعوة إلى العقيدة السلفية... "[1].

ووسمه علامةُ المغرب الحافظ المسند الشيخ عبد الحي الكتّاني[2] بأنه: "من كبار مَن لهم اليدُ الطولى في إحياء كثيرٍ من كتب الحديث وعلومه بالهند وغيره، جزاه الله خيراً، وقد عَدَّ صاحبُ كتاب (عون الودود على سنن أبي داود) المترجَمَ له[3] أحدَ المجدِّدين على رأس المئة الرابعة عشرة"[4].

وأثنى عليه العلاَّمة أبو الحسن النَّدوي[5] ثناءاً بالغاً في مقدِّمة كتاب "الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره"، ومما قال فيها: "ومما يمتاز به الأمير بين

النجدي، وُلد في مدينة الرياض ونشأ بها، لازم حِلَق الذكر في مساجدها، ثم انتقل مع والده إلى مكة المكرمة سنة ١٣٥٣هـ وقرأ على جملة من العلماء الذين كانوا يفدون إليها. له تآليف منها: "مشاهير علماء نجد وغيرهم"، و"دعوة الشيخ ومناصروها"، و"علماء الدعوة "، و"نسب آل سعود". (انظر: عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام، **علماء نجد خلال ثمانية قرون**، الرياض: دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ، ج٣، ص٨٣، ٨٧).

[1] آل الشيخ، **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، ص ٤٥٧.

[2] هو السيد محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الكتاني الإدريسي الحسني (١٣٠٢-١٣٨٢هـ): العلامة الكبير، حافظ المغرب الشهير، المؤرِّخ النسّابة، من سلالة آل البيت. وُلد بمدينة "فاس" ببلاد المغرب الأقصى وبها نشأ، وتلقَّى العلم على يد كبار علمائها ومن الوافدين عليها من كبار أهل العلم من جميع الأصقاع. درَّس في الزاوية الكتانية بفاس وبجامع القرويين، وتتلمذ على يده العدد الكثير من أفاضل العلماء. توفي بفرنسا. وكانت له عناية خاصة بالحديث. وله مؤلَّفات كثيرة تربو على المئتين في مختلف العلوم والفنون. انظر: يوسف المرعشلي، **نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر**، بيروت: دار المعرفة، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ج٢، ص١٢٩٢.

[3] أي الأمير صديق حسن خان القنوجي.

[4] الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج٢، ص١٠٥٧.

[5] هو أبو الحسن علي الحسني الندوي بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني (١٣٣٣-١٤٢٠هـ): أحد أعلام الدعوة الإسلامية، وأقطاب الفكر الإسلامي. وُلد بقرية "تكيّة كلان" قُرب "لكهنؤ" وتوفي بها. أكمل دراسته في "دار العلوم ندوة العلماء"، ثم عمل بها مدرّساً فرئيساً. نال جائزةَ الملك فيصل العالميّة لخدمة الإسلام سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ومن أشهر مؤلفاته: "السيرة النبوية"، و"الصراع بين الفكرة الإسلامية

أقرانه، ويخلِّد ذِكره في تاريخ العلم والإصلاح في الهند؛ جمعُه بين الرئاستين: العِلمية والعَمَلية، الذي لا يتأتَّى إلا لأفراد الناس في فترات قليلة...، وقد قام في مجال التأليف والإنتاج العلمي بما لو قامت به مجامعُ علمية كبيرة في الشرق أو الغرب؛ لاستحقَّت الإعجابَ والتقدير..."[١].

وغير ذلك من كلمات كثيرة لكبار علماء العالم الإسلامي، قيلت في القنوجي مدحاً له وثناءً على ما قام به من نهضة علمية في نشر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وفاته:

أُصيب القنوجي في آخر عمره بمرض الاستسقاء، والذي اشتدَّ به شيئاً فشيئاً حتى عجز الأطباء عن علاجه، حتى وافاه أجله المحتوم في ليلة التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٧هـ[٢].

خلفه:

رُزق القنوجيُّ – رحمه الله تعالى – من الأولاد: ابنان وبنت، وها هي تراجمهم المختصرة:

١ – الشيخ أبو الخير سيد نور الحسن خان القنوجي (١٢٨٨-١٣٣٦هـ)[٣]:

والفكرة الغربية"، و"ماذا خسر العالم من انحطاط المسلمين؟"، و"رجال الفكر والدعوة في الإسلام". انظر: سيد عبد الماجد الغوري، **أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب**، ص١٤٦، ٣٤١.

[١] الندوي، **الأمير سيد صديق حسن خان: حياته وآثاره**، ص ١١.

[٢] عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١٢٤٨، والندوي، **الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره**، ص ١٥٣.

[٣] انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١٣٩٥، ١٣٩٦، والندوي، **الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره**، ص١٥٥، ١٥٦.

وُلد في إمارة "بهوفال"، ونشأ على الورع والصلاح في بيئة علمية بحتة، وتلقّى العلمَ عن والده وعن كبار العلماء الموجودين في الإمارة من الهند واليمن. وكان شاعراً مجيداً بالأردية، وقد ورث من والده مكتبةً ضخمةً تحتوي على نفائس الكتب ونوادر المخطوطات، وكان يعتني بها أشد العناية، وأهداها قبل وفاته إلى "دارالعلوم ندوة العلماء" بلكنؤ.

كان له اشتغال بعلوم السنة والتفسير، فقد نسب إليه والده بعض مؤلّفاته ك "فتح العلاّم" وكتاب "الغنة". وله كذلك مؤلّفات مفيدة ألّفها بنفسه مثل: "الجوائز والصلات من جمع الأسامي والصفات"، و"منتخب عمل اليوم والليلة" لابن السُّنّي أحمد بن محمد بن إسحاق (ت٣٦٤هـ). و"منتخب مشارق الأنوار في الجمع بين الصحيحين" للصَّاغاني رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد اللاَّهُوْرِي (ت٦٥٠هـ).

٢ – والشيخ أبو النصر سيد علي حسن خان الطاهر القنوجي (١٢٨٩–١٣٥٥هـ)[١]:

وُلد في إمارة "بُوفال"، وقرأ على علمائها. وكان أديباً بارعاً، وشاعراً مجيداً بالأردية. انتنخب أميناً عاماً لـ"دارالعلوم ندوة العلماء" عام ١٣٤١هـ، وبقي على هذا المنصب حتى وفاته.

وله عدة مؤلّفات بالعربية والأردية في الدين والأدب، منها: "الإقليد لأدلة الاجتهاد والتقليد"، و"فطرة الإسلام"، و"شريعة الإسلام"، و"سيرة الإسلام"، و"المدنية في الإسلام" و"مآثر الصديقي" (وهو كتابٌ ضخم في أربع مجلّدات في سيرة والده)، وغير ذلك كتب كثيرة.

[١] انظر: الندوي، **الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره**، ص١٥٦.

المطلب الثاني: مساهمته في خدمة الحديث النبوي

إن الأمير صديق حسن خان القنوجي – رحمه الله تعالى – العالِم الأوحد من علماء هذه البلاد التي قيَّضه الله لخدمة حديث نبيِّه المصطفى عليه الصلاة والسلام، بشتّى الطرق والوسائل التي سخَّرها الله له، وسأذكر بعضاً منها بتفصيل فيما يأتي:

(أ) جلبُ المحدِّثين إلى الهند من اليمن:

وهذا لا شكّ من مآثر القنوجي الجليلة، حيث كان السببَ الرئيس في انتقال بعض المحدِّثين الكبار من اليمن إلى الهند، وإقامتهم الدائمة فيها، مثل المحدِّث المسنِد الشيخ حسين بن مُحسن الأنصاري اليماني[1] الذي قدم الهندَ وأقام في إمارة "بهوفال" حتى وفاته، فكانت إقامته في هذه الإمارة قد أثمرت نتائج عظيمة، كما ذكرها الشيخ أبو الحسن الندوي – رحمه الله تعالى — في ترجمته حيث قال: "وكانت إقامة الشيخ حسين بن محسن في بهوفال قد جعلتها مدرسةً للحديث تُضاهي شيرازَ واليمن، وظلَّ (مُوْتِي مسجد)[2] ببهوفال مثل الأزهر الشريف، يدوِّي صوت: (قال: قال رسول الله ﷺ) أكثر من ثلاثين سنة، وانتشر عبيره في أنحاء الهند المختلفة"[3]، وقد انتهت إلى هذا الشيخ الجليل رئاسةُ تدريس الحديث النبوي في عصره، وانتشرت إجازاته في الهند بين علمائها في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، وتخرَّج عليه أئمةُ تدريس الحديث وكبار أساتذته في هذه البلاد.

كذلك بوجود القنوجي على منصّة رئاسة وإمارة "بهوفال"، وإقامةِ المحدِّث الشيخ حسين اليماني في جواره وحِماه؛ أصبحت تلك الإمارةُ محطَّ رحال العلماء، ومنتجعَ رُوَّاد الحديث، وكانت لعِلم الحديث نهضةٌ وانتفاضةٌ لا نظيرَ لها حتى في

---

[1] سبقت ترجمته في المطلب الأول.

[2] أحد أشهر وأجمل مساجد "بهوفال"، بُني في عهدها الإسلامي، وكان محطَّ العلماء والمحدِّثين.

[3] الندوي، **شخصيات وكتب**، ص٧٧.

البلاد العربية، وفي مراكز هذا العلم القديمة. ونشطت حركة التأليف والتدريس والشرح في طول الهند وعرضها، وكان للسُّنَّة وحَمَلتِها، والدعاة إليها جولةٌ وصولةٌ، وكان لأهل البِدَع ضعفٌ واختفاءٌ، في ربوع هذه الإمارة الإسلامية، التي مَلَك القنوجيُّ زمامَ الأمور فيها مدةً من الزمن، وكانت له فيها الكلمة المسموعة، والأعلام المرفوعة[1].

(ب) إحياء التراث النبوي:

كان القنوجي محباً للعلم ومغرماً بالكتب منذ صِغره، ويرجع الفضل في ذلك إلى أسرته العلمية التي توارث رجالها هذا الشغف أكابر عن أكابر، وكان والده الشيخ حسن بن علي القنوجي[2] مشغوفاً بقراءة الكتب وجمعها، وكان له مبخِّرٌ خاصٌّ، يأخذ المخطوطات ويعرضها في الشمس أمداً طويلاً، كي تنجو من التلف المنتظر، فلفت القنوجيَّ هذا المشهدُ وهو طفل صغير، وجعل منذ نشأته يرقب هذا العملَ في شغف[3]، فكان يتصفَّح تلك المخطوطات والكتب، ويتشوّق إلى معرفة الجديد منها، فلما عُيِّن ناظراً للمعارف في إمارة "بهوفال" سنحت له فرصة عظيمة لاقتناء المخطوطات النادرة والكتب النفيسة من مكتبات أنحاء العالم الإسلامي، والتي كان ينشرها ويوزِّعها مجاناً على المجامع والمكتبات.

وهكذا استطاع القنوجي أن يقتني مجموعةً كبيرة من المخطوطات والكتب، وصارت لديه مكتبة غنية وعامرة بها لم يكن لها نظير في طول الهند

---

[1] أبو الحسن علي الحسني الندوي، في مقدمته لكتاب "**الأمير سيد صديق حسن خان: حياته وآثاره**"، للدكتور محمد اجتباء الندوي، ص١٢.

[2] هو أولاد حسن بن أولاد علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (١٢١٠-١٢٥٣هـ): الشيخ الفاضل. وُلد بـ"قنوج "وتوفي بها. أخذ العلم عن الشيخ رفيع الدين بن ولي الله الدهلوي، ثم لازم الإمامَ الشهيد أحمد بن عرفان، وجاهد معه في سبيل الله. وله مؤلَّفات في ثلاثة لغات: العربية والفارسية والأردية. انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٧، ص٩٣١، والقنوجي، **أبجد العلوم**، ص٧٢٢.

[3] البيومي، **النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين**، ج٤، ص١١٩.

وعرضها، وقد أشار إلى ذلك بنفسه في كتابه "إبقاء المنن بإلقاء المحن"[1]، حيث قال: "وهكذا تجمَّع لديَّ من ذخائر الكتب الثمينة الكبيرة لمؤلَّفات: ابن حجر العسقلاني[2]، والذهبي[3]، والشَّعْرَاني[4]، والْمُنْذِري[5]، والسَّفَّارِيْنِي[6]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[7]، والحافظ ابن قيِّم[8]، وابن رجب الحنبلي[9]، وابن الجوزي[10]، والسيوطي[1]

---

[1] وهو كسيرته الذاتية، سجَّل فيه بعض وقائع حياته.

[2] سبقت ترجمته في المطلب الأول.

[3] سبقت ترجمته في المطلب الأول.

[4] هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي - نسبةً إلى محمد ابن الحنفية — الشعراني، أبو محمد (٨٩٨ - ٩٧٣هـ): من علماء المتصوفين. وُلد في "قلقشندة" بمصر وتوفي في القاهرة. وله تصانيف كثيرة في التصوف والوعظ الرقائق، ومنها في الحديث: "البدر المنير". انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص١٨٠، ١٨١.

[5] هو عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري، زكي الدين، أبو محمد (٥٨١ - ٦٥٦هـ): من حفاظ الحديث، وكبار المؤرخين في عصره. مولده ووفاته بالقاهرة. تولَّى مشيخةَ "دار الحديث الكاملية" بالقاهرة نحو عشرين سنة، وعكف فيها على التأليف والتحديث، ومن مصنفاته: "الترغيب والترهيب"، و"مختصر صحيح مسلم"، و"مختصر سنن أبي داود"، و"التكملة لوفيات النقلة" وغيرها. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٤، ص٣٠.

[6] هو محمد بن أحمد بن سالم السَّفَّاريني، شمس الدين، أبو العون (١١١٤ - ١١٨٨هـ): عالم بالحديث والأصول والأدب، محقِّق. وُلد في "سَفَّارين" من قرى "نابلس"، ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها، وعاد إلى نابلس فدرَّس وأفاد وأفتى، وتوفي فيها. ومن كتبه: "الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات"، و"كشف اللثام شرح عمدة الأحكام"، و"غرامي صحيح"، وغيرها. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٦، ص١٤.

[7] سبقت ترجمته في المطلب الأول.

[8] سبقت ترجمته في المطلب الأول.

[9] هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السَّلامي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، زين الدين (٧٣٦-٧٩٥هـ): ٧٩٥هـ): من حفاظ الحديث وعلمائه الأجلاء. وُلد ونشأ في بغداد، وتوفي بدمشق. وله مصنفات كثيرة، منها: "شرح علل الترمذي"، و"جامع العلوم والحكم"، وكان قد بدأ بشرح "صحيح البخاري" وسمَّاه بـ"فتح الباري" لكنه لم يكمله، وكذلك الحال بالنسبة إلى "جامع الترمذي". (انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص٢٩٥).

[10] هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج (٥٠٨-٥٩٧هـ): فقيهٌ حنبليٌّ، محدِّثٌ ومؤرِّخٌ ومتكلِّمٌ، برز في كثير من العلوم والفنون، وألَّف في معظمها. مَولِده ووفاته ببغداد. له نحو

وأئمة اليمن وغيرهم، ومؤلَّفات السيد الأمير محمد بن إسماعيل[2] والقاضي محمد بن علي الشوكاني[3] وغيرها خاصةً، رضي الله عنهم أجمعين. وانعدمت هذه الكتب من عالمنا اليوم كالكبريت الأحمر وعنقاء المغرب، وأنفقتُ عليها مبالغ كثيرة تصل إلى مئات آلاف من الروبيات، وإنني انتفعت من تلك الآثار المقدَّسة كثيراً، ولله الحمد"[4].

ومن الجدير ذكره هنا أنَّ بعضاً من تلك الكتب كانت متحليةً بإمضاءات مؤلِّفيها كالحافظ ابن حجر، والشوكاني، والأمير إسماعيل الصنعاني وغيرهم، وبذلك يُقدَّر مدى حُبِّه وشغفه بالعلم والكتب، وإحياء التراث الإسلامي العظيم، فقد أنفق على اقتنائه مبالغ كثيرة من جيبه الخاص.

وكذلك من مآثره التي لا تُنسى، ولا يغمط حقُّها أنه كان أول من قام بطبع بعض كتب قيمة على نفقته الخاصة، وأهداها إلى أهل العلم في كل العالم الإسلامي، منها على سبيل المثال:

ثلاثمئة مصنَّف. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، ص٣١٦.

[1] هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، جلال الدين (٨٤٩ - ٩١١هـ): إمام حافظ، مؤرِّخ أديب، كثيرُ التصانيف، مولده ووفاته بالقاهرة. رحل في طلب العلم إلى بلاد كثيرة وأخذ عن كبار علمائها، ومن أجلِّهم الحافظ ابن حجر العسقلاني. وله نحو ستمئة مصنَّف. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج ٣، ص٣٠١.

[2] هو محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بـ"الأمير" يُلقَّب "المؤيّد بالله" (١٠٩٩-١١٨٢هـ): المحدِّث الفقيه. وُلد بمدينة "كحلان" وتوفي بـ"صنعاء". رحل إلى الحجاز وقرأ الحديثَ على أكابر علمائها، وبرع في جميع العلوم، وتفرَّد برئاسة العلم في صنعاء، وتظهَّر بالاجتهاد، وعمل بالأدلة، ونفر عن التقليد. ومن مؤلفاته: "توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار"، و"سبل السلام شرح بلوغ المرام". انظر: الشوكاني، **البدر الطالع**، ج٢، ص٦٨٦، ٦٨١.

[3] سبقت ترجمته في المطلب الأول.

[4] القنوجي، **إبقاء المنن بإلقاء المحن**، ص٢٢.

١- فتح الباري في شرح صحيح البخاري: للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، والذي لم تكن له نسخة في الهند، فاشتراها القنوجي من الحُدَيْدَة باليمن، والتي كانت بخطِّ ابن عَلاَّن[١]، وطبعها بمطبعة بولاق في القاهرة.

٢- تفسير القرآن العظيم: للحافظ ابن كثير، أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، طبعه مع تفسيره "فتح البيان".

٣- نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار: للإمام الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ).

لقد طُبعت هذه الكتب في عدد الآلاف بأمر القنوجي، ووُزِّعت مجاناً على أهل العلم والمكتبات العامة والمجامع العلمية في بلدان العالم الإسلامي، وكان يتولّى أمورَ طباعتها خارجَ الهند الشيخُ أحمد البابي الحلبي[٢] أحد كبار الناشرين وقتئذ لكتب التراث الإسلامي في العالم الإسلامي[٣].

---

[١] هو محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (٩٩٦-١٠٥٧هـ): مفسر، عالم بالحديث، من أهل مكة. له مصنفات ورسائل كثيرة، منها: "ضياء السبيل" في التفسير، و"دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين". (انظر: **الزركلي، الأعلام**، ج٦، ص٢٩٣).

[٢] لم يعثر الباحث على ترجمته، غير أنه كان من رواد حركة الطباعة والنشر في العالم الإسلامي، وكان أصله من حلب في سوريا، هاجر إلى مصر واستوطنها، وأسَّس المطبعة الميمنية عام ١٨٥٩م، والتي امتازت بعنايتها الفائقة بطبع الموسوعات، ونشرت كثيراً من عيون التراث. سلَّم المطبعة إلى أبناء أخيه قبل وفاته، الذين غيّروا اسمها إلى "شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده". انظر: **جريدة "المصري اليوم"** (الصادرة عن مؤسسة المصري اليوم للصحافة والنشر بالقاهرة)، العدد١٩٠٨، تاريخ ٣ سبتمبر ٢٠٠٩م، ص٢.

[٣] أبو يحيى إمام خان النوشهري، **تراجم علماء أهل حديث**، (دهلي: برقي بريس، ط١، ١٣٥٦هـ)، ص٢٨٢، والقنوجي، **مآثر صديقي**، ج٤، ص١٦٨.

(جـ) إسهامه في خدمة الحديث من خلال التصنيف والتأليف:

رُزق القنوجي مُكنةً تامة من الحديث النبوي وعلومه، كما تشهد بذلك مؤلَّفاته في هذا المجال، والتي تنبئ عن قدرته الفائقة في الاستدلال بالأحاديث النبوية، والاستنباط منها في شرح الأحكام الفقهية والمسائل العويصة.

وهذه بعض أهمّ مؤلَّفاته في الحديث النبوي أعرِّفها فيما يلي، وأما التي ليست ذات أهمية كبيرة منها فأكتفي بسرد أسمائها فقط مع الإشارة إلى مكان نشرها وسنة طباعتها.

بالعربية:

١ – عون الباري لحل أدلة البخاري.

إنَّ "الجامع الصحيح" للإمام البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦ه) من أصحِّ الكتب المؤلَّفة في بابه، والمتلقَّى بالقبول من العلماء في كل زمان ومكان، وقد فاق أمثاله، وخُصَّ بمزايا من بين دواوين الإسلام، شهد له بالبراعة الصناديدُ العظام، والأفاضلُ الكرام.

لذا فقد اعتنى العلماء به؛ حفظاً، وسماعاً، وضبطاً، وتفسيراً، وشرحاً، واختصاراً، فكان ممن اختصره الشيخ أحمد الزَّبِيْدِيّ الشَّرْجِي[1] باسم "التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح"، ومن باب الإفادة من هذا المختصر قام القنوجي بشرحه شرحاً مختصراً يفيد القارئ، فأتى بما عَزَّ عند أولي العِلم وجلّ، كاشفاً أدلّته لطالبيه، موضِّحاً مشكله، فاتحاً مقفله، مقيِّداً مهمله، مستمداً من كلام أئمة هذا الشأن، محرِّراً لأقاويله، مُعرِباً عن مُجمَلاته وتفاصيله. كما أنه أفاد من

[1] هو أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشَّرْجي، شهاب الدين، المعروف بـ "الزَّبِيديّ" (٨١٢ – ٨٩٣ه): محدِّث البلاد اليمنية في عصره. ومن مصنفاته: "التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح"، وهو مختصر لصحيح البخاري، ويُعرَف بـ"مختصر الزبيدي"، و"طبقات الخواص" في سير أولياء اليمن، و"الفوائد"، و"نزهة الأحباب". انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج١، ص٩١.

كتب شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) وتلميذه الإمام ابن قيِّم الجوزية (ت٧٥١هـ)، والسائرِ على منوالهما الإمام محمد بن علي الشَّوكاني (ت١٢٥٥هـ) في مواطن كثيرةٍ جداً من هذا الشرح، وأحال في مواضع أُخَر إلى جملة من كتبه المفيدة. أمّا المنهج الذي اتَّخذه في شرح هذا الكتاب فهو كما يلي:

- اعتمد في شرح هذا الكتاب على الشروح الثلاثة المتداولة وهي: "فتح الباري" للحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ)، و"عُمدة القارئ" للعَيْنِيّ أبي محمد بدر الدين محمود بن أحمد (ت٨٥٥هـ)، "وإرشاد السَّاري" للقَسْطَلاَّني أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المصري (ت٩٢٣هـ). ولا يتجاوز عمله في الكتاب عن الاختصار والنسخ من هذه الشروح الثلاثة، ومما يدل على ذلك قوله المتكرّر في الكتاب، مثل ما في الجزء الخامس منه، حيث يقول: "وهنا تمَّ الجزء السادس من فتح الباري، والجزء السابع من إرشاد الساري"[1]. واكتفى بمقدمة الفتح عن أي تفاصيل متعلقة بالصحيح فأحال القارئَ إليها[2]، وكثيراً ما يُجمِل الكلامَ ثم يقول: "ويظهر تفصيل هذا الإجمال من الرجوع إلى فتح الباري"[3].

ونقل ختمَ الحافظ ابن حجر للفتح والقسطلاني للإرشاد بتماميهما، بل أفصح القنوجي عن حقيقة شرحه فقال: "وبالجملة فشرحي هذا نتيجة فتح الباري، وزبدة إرشاد الساري"[4].

وهذه النصوص تدلُّ على أنَّ الكتاب مختصَرٌ، ومبنيٌّ على الشروح السابقة المذكورة، ولكن مع ذلك تبقى للكتاب أهمية لكونه قد انتقى الأقوالَ من

---

[1] القنوجي، **عون الباري**، ج٥، ٣٤.

[2] المرجع السابق، ج١، ١٩.

[3] المرجع السابق، ج١، ١٦.

[4] المرجع السابق، ج٥، ص٧٥٦.

تلك الشروح ورتَّبها على نحو يسهل على القارئ العام الاستفادة منه أكثر من تلك الشروح.

- وأنه لم يتطرَّق في هذا الشرح للكلام عن الإسناد، والرجال، ونُكَت الجرح والتعديل، والعِلَل، والتعقيبات، والتخريجات، والمناقشات التي تتعلَّق بهذه الفنون؛ ولعلَّ ذلك لكون الأصل (أي كتاب "مختصر صحيح البخاري" للزبيدي) الذي بنى عليه شرحه؛ كان مجرَّداً عن الأسانيد، فلم تكن حاجة له إلى التصدِّي لتلك المباحث.

ولكنه مع ذلك ذكر لطائفَ إسناد البخاري، مع خلوِّ مختصر الزبيدي من الإسناد، واقتصارِه على ذكر الصحابي فقط، من ذلك قوله: "ورجال إسناد هذا الحديث كلهم مدنيون إلا أبا الربيع. وفيهم تابعي عن تابعي، وفيه التحديث والعنعنة، وأخرجه البخاري أيضاً في الوصايا والشهادات والأدب، ومسلم في الإيمان، والترمذي والنسائي"[1].

ومن ذلك قوله:" ورجال إسناد هذا الحديث كلهم بصريون، وفيه ثلاثة من التابعين، يروي بعضهم عن بعض، وهم: أيوب، والحسن، والأحنف. واشتمل على التحديث والعنعنة والسماع"[2].

ومن ذلك قوله: "وفي إسناده رواية ثلاثة من التابعين بعضهم عن بعض، وهم: الأعمش، عن إبراهيم النَّخعي، عن علقمة بن قيس. والثلاثة كوفيون فقهاء، وهذا أحد ما قيل فيه: (إنه أصَحّ الأسانيد)، وأمن تدليس الأعمش بما وقع عند البخاري: (حدَّثَنا إبراهيم)، وفيه التحديث بصورة الجمع والإفراد والعنعنة"[3].

---

[1] المرجع السابق، ج١، ص١٣٦.

[2] المرجع السابق، ج١، ص١٣٢.

[3] المرجع السابق، ج١، ص١٣٤.

وغير ذلك أمثلة كثيرة في الكتاب، حيث ذكر القنوجي إثر ذِكر الحديث لطائفَ إسناده التي لم يذكرها الزبيدي في مختصر الصحيح، وذلك نقلاً عن ابن حجر في "الفتح" وعن العيني في "العمدة" دون عزوها إليهما، وهما قد ذكراها لمناسبة وجود الأحاديث مسندةً في شرحيهما، أما القنوجي فلم يكن له داعية إلى ذلك لكونه شرح كتاباً مجرَّداً عن الأسانيد، فهذا مما يُؤاخَذ عليه في شرح هذا الكتاب.

٢ – السِّراج الوهَّاج في كشف مطالب مختصر صحيح مسلم بن الحجَّاج (أو: "السِّراج الوهَّاج في كشف مطالب مسلم بن الحجّاج شرح مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري"):

يُعتبَر كتاب "المسند الصحيح" للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجَّاج القُشَيْري النَّيسابوري (ت٢٦١هـ) من أصحِّ كتب الحديث بعد "صحيح البخاري"، حتى عُرف فيما بعد بين العلماء بلقب "الصحيح الثاني". فهو يتميَّز عن "صحيح البخاري" بخصائص علمية، وأهمّها ترتيب الأحاديث في معظم أبوابها حسب صحتها وسلامتها من العيوب والنقائص. فلذلك عُدّ هذا الكتابُ من الكتب التي أصبحت عمادَ علوم الدين، ومصدرَها الموثوق الذي لا يستغني عنه أحد من طلاب العلم.

ونظراً إلى أهمية هذا الكتاب العظيمة من بين كتب الحديث؛ تناوله علماء الأمة بالرواية والدراسة، والشرح، والتخريج، والاختصار، فممن اختصره الحافظ المنذري[١]، ثم قام بشرح مختصرِه القنوجيُّ في هذا الكتاب، وذكر في مقدمته أنه

[١] سبقت ترجمته في هذا المطلب.

شرح وسط، وقد حرَّره تحريراً بالغاً، وأتى فيه بالفوائد والنكات والمسائل المنتقاة المفيدة[1].

لم يتكلَّم القنوجي في شرحه لهذا الكتاب على الأسانيد، ولعلَّ سبب ذلك أن الأصل (أي "مختصر صحيح مسلم" للمنذري) الذي اعتمد عليه في هذا الشرح كان مجرَّداً عن الأسانيد؛ فلذلك قصر القنوجي الكلامَ على متون الحديث فقط، كما أنه لم يتعرَّض فيه لشرح مقدمة الإمام مسلم، لكون الأصل مجرَّداً عنها.

وقد مشى القنوجي خلف المنذري في مختصره، كما ذكر هو نفسه: "وأضربتُ فيه عما ذكره الإمام النووي[2] - رحمه الله تعالى- في مقدمة شرحه لـ (صحيح مسلم)، وفي مطاوي فحاويه مما يتعلَّق برجال الإسناد، وتقسيم الحديث إلى أقسام، وما إليها قبل الشروع في الشرح في فصول متتابعة، فطويت الكشح عن ذلك كله"[3]. فعُلم بذلك أن الشرح خاصٌّ بمتون "صحيح مسلم".

واكتفى القنوجي في شرحه بمقدمة تشتمل على فصول أُخذت باختصار من مقدمة "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" للإمام النووي (ت٦٧٦هـ)[4].

أما منهج القنوجي في هذا الكتاب فهو لا يزيد عن ذكر عنوان الباب، ثم متن الحديث، مع الاقتصار على ذكر صحابيّ الحديث فقط، ولا يترجم للصحابي،

---

[1] القنوجي، مقدمة **السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ج١، ص١٠.

[2] هو يحيى بن شرف بن مرِّي النووي الشافعي، محيي الدين، أبو زكريا الدمشقي (٦٣١ - ٦٧٦هـ): أحد أشهر فقهاء السنة ومحدّثيهم. وُلد في قرية "نوى" في حوران بسوريا وتوفي بها. ومن أشهر مؤلَّفاته في الحديث: "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، و"رياض الصالحين"، و"الأذكار"، و"الأربعون النووية"، و"إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة الحق من هدي خير الخلائق". انظر: الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج٤، ص ١٤٧٠-١٤٧٤.

[3] القنوجي، **مقدمة السراج الوهاج**، ج١، ص١٢،٩،١.

[4] القنوجي، **السراج الوهاج**، ١٧،١٣،١.

ثم يشرع في الشرح معتمداً على شرح النووي لصحيح مسلم، بدون التعلُّق بمباحث الإسناد. بل إنه بنى شرحه على شرح النووي؛ حيث لم يأت فيه بشيء جديد من عنده، فقد اكتفى بنقل نصوص العبارات برمتها من شرح النووي، وقد ينتقي منها أحياناً فيتكلَّم إذا تكلَّم النووي، ويسكت إذا سكت.

٣ - فتح الإعلام لشرح بلوغ المرام.

إن كتاب "بلوغ المرام من أحاديث الأحكام" للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) يُعَدّ من أهمّ الكتب التي تشتمل على أحاديث الأحكام، فقد جمع فيه - رحمه الله تعالى - الأحاديث التي استنبط منها الفقهاءُ الأحكامَ الفقهية، مبيِّناً عقب كل منها مَن أخرجه من أئمة الحديث، موضِّحاً درجةَ الحديث من صحة أو حسن أو ضعف، مرتِّباً له على أبواب الفقه، وضمَّ إلى ذلك في آخر الكتاب قسماً مهماً في الآداب والأخلاق والذكر والدعاء[١].

لقد اعتنى العلماء بشرح هذا الكتاب اعتناءاً كبيراً، حتى وُجدت له عدة شروح ما بين الصغير والكبير ومن أهمّها وأشهرها: "سُبُل السَّلام"، الذي اختصر فيه صاحبُه الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني كتابَ "البدر التَّمام" للقاضي شرف الدين. ثم اختار القنوجيُّ هذا الشرحَ وبنى عليه شرحه "فتح الإعلام"، حيث نقل منه جميعَ نصوصه برُمَّتها، ثم قام فيه بتعديلات يسيرة، ثم نسبه إلى ابنه الأمير نور الحسن القنوجي[٢].

فلذلك كلُّ مَن يتصفَّح هذا الشرحَ يبدو له بادئ ذي البدء أنه بحروفه مأخوذ من "سبل السلام" للصنعاني، "والسبلُ" يغني عنه، لكن الذي يقرأ مقدمة القنوجي يُدرك الفرقَ بينه وبين السبل، حيث إن القنوجي لم يرض بصنيع الصنعاني

---

[١] محمد بن جعفر الكتاني، **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**، ص١٨٠.

[٢] سبقت ترجمته في المطلب الأول.

في شرحه "سبل السلام" في بيان رأي أئمة العلم المعتمدين في فقه الحديث والاستدلال به، لكونه عُني فيه بآراء علماء "الزيدية"[1] ولا سيما "الهادوية"[2] وغيرهم من الفِرَق مع المذاهب الأربعة، مما يشوِّش القارئَ ويشكِّكه في معلوماته الفقهية، أو يعطيه معلومات خاطئة عن المذاهب، ولهذا كله ضرره العلمي والعملي.

وهذا ما حدا بالقنوجيِّ إلى أن يبني شرحه على شرح الصنعاني، بحذف ما فيه تلك المذاهب الفقهية المهجورة والمغمورة، وإبقاءِ المذاهب الأربعة المتبوعة المشهورة المعتبرة، وإيرادِ أقوال الأئمة أمثال ابن تيميه وابن القيِّم والشَّوكانى أحياناً. فكتابه من هذه الحيثية نافعٌ جداً، وإلا فمنهجُ الصنعاني في كتابه "السبل" نفسُ منهج القنوجي في "الفتح" لكونه اعتمد عليه اعتماداً كلياً.

٤ – الحِطَّة في ذكر الصِّحاح السِّتّة.

وهو من أهمّ مؤلَّفات القنوجي في الحديث، فقد جمع فيه لشتات كثير من المسائل النفيسة الفريدة، كما ضمَّنه أبحاثاً نافعة لا تكاد توجد مجموعةً في كتاب آخر.

بدأ القنوجي الكتابَ بمقدمة قيمة تشتمل على فصلين، أولهما في فضيلة العلم والعلماء، وما ينصُّ بها من الفوائد العليا. والثاني في شرف علم الحديث وفضيلة المحدِّثين.

---

[1] إحدى فرق الشيعة، تنتسب إلى مؤسِّسها الإمام زيد بن علي زين العابدين (ت١٢٢ﻫ)، لكنهم متفقون مع أهل السنة بشكل كامل في العبادات والفرائض سوى اختلافات قليلة في الفروع. انظر: محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**، ص٦٣٣، ٦٦٩.

[2] إحدى فِرَق "الزيدية"، تنتسب إلى الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم (ت٢٩٨ﻫ)، الذي عُقدت له الإمامة باليمن. تعتقد هذه الفرقة نفس عقائد فرقة الزيدية، وإذا أطلق اسم الهادوية قصد به في الغالب المذهب الفقهي لهذه الفرقة. انظر: محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، ص٦٦٦، ٦٦٧.

ثم ذكر في الباب الأول مبادئَ هامة تتعلَّق بعلم الحديث، مثل: مبدأ جمع الحديث وتدوينه وتصنيفه وتأليفه ونشره، ومبدأ اختلاف الأغراض في تصانيف علم الحديث عند مصنِّفيها، ومبدأ أنواع كتب الحديث من الرواية والدراية، وما إلى ذلك.

ثم ذكر في الباب الثاني العلومَ المتفرِّعة عن علم الحديث، المتصلة به، فبدأ بتعريف علم رواية الحديث ودرايته، ثم ذكر علم ناسخ الحديث ومنسوخه، والنظر في الأسانيد، وعلم الجرح والتعديل، وعلم أسماء الرجال، وعلم غريب الحديث وغيرها من العلوم.

وفي الباب الثالث ذكر ما يتعلَّق بطبقات كتب الحديث، والأحاديث المحتجّ بها في الأحكام، وضبط الحديث وقراءته وتحمُّله، وصفة المحدِّث والطالب، وغير ذلك مما يتعلَّق به، وهو بحث مفيد ممتع، ومشحون بالمعلومات الواسعة العميقة.

أما الباب الرابع – وهو مقصود الكتاب – فقد ذكر فيه الكتبَ السِّتّة، وما يتعلَّق بها من فضائل وشروح وحواش واستدراكات، وذكر أهميتَها وثناءَ العلماء عليها، وغير ذلك مما يَسُرُّ الناظرَ فيه. كما أضاف في نفس هذا الباب الكلامَ على "موطأ الإمام مالك" – وكان قد بدأ الكلام عليه قبل الكتب السِّتة – ثم ختم كلامَه في ذلك حول "مسند الإمام أحمد بن حنبل" وما يتعلَّق به، وفي هذا الباب فرائد الفوائد النفيسة قلما توجد مجتمعةً مثلها في كتاب آخر.

والباب الخامس – وهو الأخير – خصَّه لتراجم الأئمة الثمانية، فذكر سِيَرهم، وما قيل في مدحهم والثناء عليهم، وذكر فضائلهم[١].

وأما خاتمة الكتاب فخصَّصها بالترجمة لنفسه، وذكرِ أسانيده للعلوم النقلية والعقلية.

---

[١] انظر: علي حسن الحلبي الأثري، مقدمته لكتاب "**الحطة في ذكر الصحاح الستة**"، ص١٢، ١٣.

ومما يُلاحَظ في كل هذا الكتاب أن القنوجي لم يتطرَّق فيه إلى المباحث المعروفة في علم مصطلح الحديث، من ذكرِ تعريفات الحديث وأقسامه وأحكامه، وذكرِ الأمثلة على ذلك، كما هو شأن كتب مصطلح الحديث، فلذلك يُعتبَر هذا الكتابُ تتميماً لكتب المصطلح، وليس تكراراً لما فيها، وهذه ميزة مهمة قد لا توجد في كتاب غيره.

ولكن وقع في الكتاب عدد من الأوهام، وندَّت بعض الهفوات، كما أشار إلى ذلك الشيخ محمد عبد الحي الكتَّاني[١] في كتابه "فهرس الفهارس"[٢]، والشيخ علي حسن الأثري الحلبي[٣] في تعليقاته على هذا الكتاب.

وكذلك مما ينتقد على القنوجي في هذا الكتاب أنه تساهل في تسميته للكتب الستة بـ "الصحاح" – وإن كانت التسمية بذلك بطريق التغليب – فإنَّ فيه تساهلاً واضحاً لا يخفى، وقد أشار إلى ذلك الحافظ العراقي[٤] في "ألفيته الحديثية"[١] بقوله نظماً:

---

[١] هو السيد محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الكتاني الإدريسي الحسني (١٣٠٢-١٣٨٢هـ): العلامة الكبير، حافظ المغرب الشهير. وُلد بمدينة "فاس" في المغرب، وتلقَّى العلم على يد كبار علمائها. درَّس في الزاوية الكتانية بفاس وبجامع القرويين، وتتلمذ على يده العدد الكثير من أفاضل العلماء. توفي بفرنسا. وكانت له عناية خاصة بالحديث. وله مؤلَّفات كثيرة تربو على المئتين في مختلف العلوم والفنون. انظر: يوسف المرعشلي، **نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر**، ج٢، ص١٢٩٢.

[٢] حيث قال رحمه الله تعالى:"وقد وقع في الحطة أوهام تصدَّى لبيانها عصريُّه أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي في (ظفر الأماني)". (الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج١، ص٣٦٣).

[٣] هو علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، أبو الحارث الحلبي (من مواليد ١٣٨٠هـ): المحقق المؤلف. وُلد في مدينة الزرقاء في الأردن. لازم الشيخَ محمد ناصر الدين الألباني، وتخرَّج عليه في الحديث. وله مؤلَّفات وتحقيقات كثيرة تزيد على المئة وخمسين ما بين رسالة وكتاب ومجلَّد ومجلدات. (انظر لترجمته **موقع الشيخ علي حسن الحلبي الأثري**: http://alhalaby.com/catplay.php?catsmktba=23).

[٤] سبقت ترجمته في هذا المطلب.

ومَن عليها أَطلَق الصَّحيحا   فقد أَتى تَساهُـــلاً صَريْحا

٥ – حُسْن الأسوة بما ثَبَت من الله ورسوله في النِّسوة.

وهو كتاب فذٌّ فريد لم يُنسَج على منواله كتاب آخر غيره، وهو يختصّ بالنساء وشؤونهن، فقد استوعب فيه القنوجي كلَّ ما ورد عنهن من الآيات في القرآن الكريم، والأحاديث في السنة المطهَّرة.

وابتدأه القنوجي بمقدمة ضافية، ذكر فيها السبب الذي حفزه لتأليفه، وقال: "دعتني إلى تأليفه صاحبتي وعيبتي، في حضرتي وغيبتي: تاج الهند نواب شاه جهان بيغم حفظها الله وسلّم، وهي من اللاَّتي ملكن ناصية الحكومة والولاية في مملكة بهوفال، منذ سنة ١١٢٠ الهجرية، وإنما حملها اقتراح ذلك عليّ أنها لما تلت القرآنَ الكريم مع ترجمته بلسانها، وقرأت بعضَ كتب الحديث ك (مشكاة المصابيح)، وأتقنت بيانها؛ سألتني أن أُفرِد لها ما نزل وورد فيهن من نصوص الكتاب والسنة بحيث لا يترك من ذلك صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، فنهضتُ لذلك الخطب الخطير، والأمر الكبير"[٢].

فتحقيقاً لرغبة الزوجة الفاضلة ألَّف القنوجي هذا الكتاب، وانتقى أحاديثه من كتب الصحاح، والسنن، و"الموطأ" للإمام مالك (ت١٧٩هـ)، وكتاب "تجريد الصحاح والسنن"[٣] لرَزِيْن بن معاوية بن عمار السَّرَقُسْطي (ت٥٣٥هـ)، و"الترغيب والترهيب" للمُنْذِري أبي محمد زكي الدين بن عبد العظيم (ت٦٥٦هـ)، ثم شَرَحها.

---

[١] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **شرح ألفية العراقي**، تحقيق: أبي حفص شادي بن محمد سالم النعمان، ص١١٩.

[٢] صديق حسن خان القنوجي، **حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة**، تحقيق مصطفى سعيد الخن ومحيي الدين مستو، ص ١٣، ١٤.

[٣] وهي الصحاح الثلاثة: للبخاري ومسلم والموطأ، والسنن الثلاثة: لأبي داود والترمذي والنسائي.

ومنهجه في الكتاب: أنه يقدِّم آيةً من آيات القرآن الكريم، أو حديثاً من أحاديث السنة النبوية التي تتعلَّق بالنساء وشؤونهن، ثم يشرحها شرحاً مُوجَزاً في أسلوب سهل، ثم يُعالِج في ضوء الكتاب والسنة كثيراً من القضايا المتعلّقة بهن، ويقدِّم لها حلولاً صحيحة سليمة دون أن يخرج في ذلك من نطاق الآيات والأحاديث، وذلك مما يدعو إلى الإجلال والتقدير لعمل القنوجي الجليل في هذا الكتاب، ويزيد قيمته وأهميته.

وقد جعل القنوجي في آخر هذا الكتاب ملحقاً لطيفاً ومفيداً، خصَّه بذكر الكثير من الأمور التي تخصَّصت النساء بها دون الرجال، وتفرَّدن بها عنهم في مراتب الإهمال والأعمال.

٦ – نُزُل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار.

يتعلَّق هذا الكتاب بالأدعية والأذكار، والسنن والأحكام الشرعية، اقتبسها القنوجي من بطون كتب الأحاديث، وذكر في سبب تأليفه: أنه رأى الناس يقرؤون محض الأدعية غير المأثورة، أو الموضوعة، أو المشوبة بالبدع، مع أنَّ في الصحاح كثرة وافرة من مثل تلك الأدعية، التي تُغنيهم عن الضعاف والموضوعات، مما دفعه إلى تأليف هذا الكتاب، فقد انتقى أحاديثَه من الصحاح والسنن[١].

٧ – الحرز المكنون من المعصوم المأمون.

وهي رسالة صغيرة تحتوي على أربعين حديثاً يتعلَّق بالآداب الاجتماعية، انتقى القنوجي أحاديثها من الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث المعتبَرة، وذكر في مقدمتها سبب التأليف فقال: "هذه أربعون حديثاً مما بلغ حدَّ التواتر، والتوالي، ورويناها بالسند الصحيح العالي، حملني على جمعها أمران:

---

[١] انظر: صديق حسن خان القنوجي، مقدمته لـ"**نزل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار**"، ص٢.

الأول: ما ورد في الخبر من سيد البشر برواية علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبي الدرداء، وابن عمر، وأنس بن مالك، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري ﷺ بطرق كثيرة، وألفاظ غزيرة: أنه ﷺ قال: «من حَفِظَ على أمتي أربعين حديثاً؛ بَعَثَه الله تعالى يوم القيامة في زُمْرَة الفقهاء والعلماء»[١].....

والثاني: أسوة الأئمة الأعلام، وقدوة حفاظ الإسلام؛ فقد صنَّفت جماعة منهم في هذا الباب ما لا يحصى كثرةً من المؤلَّفات...".

٨ – العبرة بما جاء في الغزو والشهادة والهجرة.

وهو كتاب فريد في بابه، ألَّفه القنوجي إبان نشوب حرب دامية بين الخلافة العثمانية وبين الروس. تحدَّث القنوجي في هذا الكتاب عن الغزو، والجهاد، والشهادة في سبيل الله، فحفز الهِمَمَ، وشجَّع به النفوسَ، وبعث في القلوب الشجاعة والكفاح، وحبَّب المجاهدين الأتراك الموت في سبيل الله، والتفاني في دينه، مستدلاً في كل ذلك مما جاء في الكتاب العزيز، والسنة المطهَّرة.

٩ – قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر.

يتناول هذا الكتاب العقيدة الإسلامية من جوانب مختلفة، قسَّم القنوجي موضوعات الكتاب في ستة وعشرين فصلاً، وبدأه بكلام نفيس في بيان عقيدة أهل

---

[١] وهو حديث موضوع، وقد رُوي بألفاظ أخرى وليس له إسناد صحيح، قال الذهبي: "هذا مما تحرم روايته إلا مقروناً بأنه مكذوب من غير تردُّد، وقبَّح الله من وضعه...". الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج٤، ص١٢٣٩. وقال النووي في خطبة كتابه "الأربعين": "اتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف كثرت طرقه". انظر: النووي، محي الدين أبي زكريا يحي بي شرف، **الأبعين النووية**، بشرح ابن دقيق العيد، ص ١٤. انظر للتوسع في تخريج الحديث والاطلاع على علله كتاب "**العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**" لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي، ج١، ص١١٩، ١٢٩.

الحديث إجمالاً، وسرد آيات كثيرة في الصفات وعلوِّ الله على خلقه، ثم نقل أقوالَ المشاهير من الأئمة في ذمِّ الكلام.

بالأردية:

١٠ – فتح المغيث بفقه الحديث.

وهي رسالة صغيرة، جمع فيها القنوجي المسائل الفقهية والأحكام الشرعية على مذهب فقهاء المحدِّثين، معتمداً على ما ألَّفه المتقدمون في أحاديث الأحكام؛ وذلك حين شعر بحاجة ماسة إلى مثلها لأتباع هذا المذهب في بلاد الهند، فلأن الكتب التي ألَّفها علماء هذه البلاد في الفقه والعبادات من قبل؛ كلها كانت منحصرةً على الفقه الحنفي السائد في البلاد.

فألَّف القنوجي هذه الرسالة، التي تُغني أتباعَ مذهب "أهل الحديث" الناطقين باللغة الأردية عن الرجوع إلى كتب أخرى في الأحكام، حسبما ذكره القنوجي في مقدمته للرسالة: أنه "إذا حصل الكتابان في هذا الباب فلا حاجة إلى كتاب آخر: هذه الرسالة، وكتاب (بلوغ المرام في أدلة الأحكام) للحافظ ابن حجر العسقلاني"[١].

١١ – تقوية الإيقان بشرح حديث حلاوة الإيمان.

وهي رسالة صغيرة ألَّفها القنوجي في تعريف الإسلام والإيمان والإحسان، وذكر فيها مجموعةً من الأحاديث الواردة في الحبّ لله ورسوله ﷺ، وفي الرجل يحبّ أحداً لله، وفي الرجل يكره العودةَ إلى الكفر. وبحثُ هذه الرسالة مستفاد من الحديث الذي رواه الشيخان عن أنس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه؛

[١] صديق حسن خان القنوجي، **فتح المغيث بفقه الحديث**، ص١.

وَجَد حلاوةَ الإيمان: أن يكون اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سِواهما، وأن يُحِبّ المرءَ لا يحبه إلا لله، وأن يَكرَه أن يعود في الكفر كما يَكرَه أن يُقذَف في النار»[1].

بالفارسية:

١٢ – إفادة الشيوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ.

يشتمل هذا الكتاب على بيان الناسخ والمنسوخ من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية معاً، وعلى دراسةٍ جامعةٍ وبيانٍ مسهبٍ عن أهمية هذا العلم.

قسَّم القنوجي موضوعات هذا الكتاب في بابين، وتكلَّم في مقدمته عن مفهوم النسخ ومعانيه وأحكامه وآثاره، ثم أورد في الباب الأول الآيات القرآنية الناسخة والمنسوخة حسب ترتيب السُّوَر، وفي الباب الثاني أورد الأحاديثَ النبوية الناسخة والمنسوخة. وختم الكتابَ بمبحث نفيس تشتمل على فوائد علمية كأُسُس الشريعة وأحكامها، كما تحدَّث فيه عن الاجتهاد والتقليد في ضوء الكتاب والسنة.

أما سبب تأليف هذا الكتاب باللغة الفارسية[2] حصراً دون سواها؛ فقد بيَّنه القنوجي في مقدمته قائلاً: "إنني جمعت هذا الكتاب من علم السلف والخلف؛ لأن المؤلَّفات القديمة في هذا الموضوع لا توجد إلا قليلاً نادراً، وفي بلادنا خاصةً، لذلك ألّفتُ هذا الكتاب، وحشدتُ فيه المعلومات الجمَّة عن الموضوع ليسهل الانتفاع والاستفادة في هذا الزمان"[3].

١٣ – إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدِّثين.

وهو كتاب قيّم مستطاب، يشتمل على تعريفات الكتب في الفقه والحديث، وتراجم بعض الفقهاء والمحدِّثين.

---

[1] أخرجه البخاري **الصحيح**، في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ص١٨، رقم١٦، ومسلم في **الصحيح**، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن حلاوة الإيمان، ص٤٠، رقم٤٣.

[2] وللعلم بأن الفارسية كانت لغة أهل العلم في بلاد الهند أيام مجدها الإسلامي في ذلك الزمان.

[3] صديق حسن خان القنوجي، **إفادة الشيوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ**، ص١.

قسَّم القنوجي موضوعات هذا الكتاب في قسمين (اللذين سمَّاهما بـ"مقصدين")، ذكر في الأول أسماء الكتب المتعلّقة بالفقه والحديث مع أسماء مؤلِّفيها وسِيَرهم بإيجاز، مرتِّباً على حروف الهجاء. وذكر في القسم الثاني صفوةً طيبة من المحدِّثين وكبار الفقهاء، بدءاً من عهد الإمام محمد بن علي الشّوكاني حتى عصره، حيث ختم الكتاب بترجمته وتراجم معاصريه.

وقد أثنى القنوجي على هذا الكتاب بنفسه في مقدمته له، وقال: "إن هذا الكتاب صغير الحجم، كبير النفع، قليل اللفظ، كثير المعنى، ذكرتُ فيه جميع الكتب التي أُلِّفت خلال ثلاثة عشر قرناً مضت من هجرة الرسول الأعظم ﷺ، وجمعتُ فيه تراجم المحدِّثين الكبار، والفقهاء الكرام، وسِيَرهم ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ [الواقعة: ١٣-١٤]... ثم سجَّل قصيدةً في مدحهم"[١].

١٤ - الإدراك في تخريج أحاديث الإشراك.

جمع فيه القنوجي الآيات من الكتاب العزيز، والأحاديث من السنة المطهَّرة، مما ورد في التحذير عن الإشراك والبدع، وما يتصل بذلك من الأمور المنهي عنها. وكان هذا الكتاب - أصلاً - للعالم الشهيد محمد إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي[٢]، فقام القنوجي بتلخيصه، وتخريج أسانيده، والإضافة إليه بعضَ مواد قيمة عن الموضوع.

---

[١] صديق حسن خان القنوجي، **إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدِّثين**، ص٤.

[٢] هو إسماعيل بن عبد الغني بن وَلي الله بن عبد الرحيم العُمري الدهلوي (١١٩٣-١٢٤٦هـ): العلامة المجاهد. وُلد بدِهْلِي، قرأ على أبناء الإمام ولي الله الدهلوي. لازم الإمامَ الشهيد أحمد بن عرفان البَرِيْلَوي، وجاهد معه في سبيل الله حتى اُستشهد. وله مصنفات كثيرة بالعربية والفارسية والأردية، ومن أشهرها: "تقوية الإيمان"، و"رد الإشراك والبدع"، و"الصراط المستقيم". انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٧، ٩١٤، ٩١٦.

وهذا من أهمِّ ما ألَّفه القنوجي في الحديث النبوي في ثلاث لغات، وكلها مطبوعةٌ ومتداولة بين أيدي المشتغلين بالحديث، وله كذلك العديدُ من الكتب والرسائل في الحديث في تلك اللغات، وأكتفي بسرد أسمائها فقط مع الإشارة إلى مكان الطباعة وتاريخها، وهي:

بالعربية:

١٥ – **الإذاعة لما كان ويكون بين يدي قيام الساعة**: طُبع مراراً في البلاد العربية.

١٦ – **أربعون حديثاً في فضائل الحج والعمرة**: طُبع في كانفور بالهند عام ١٣٤٥هـ.

١٧ – **أربعون حديثاً متواتراً**: طُبع في مطبعة الشاهجهاني ببهوفال في الهند عام ١٣٤٥هـ.

١٨ – **الجنة في الأسوة الحسنة بالسنة**: طُبع في مطبعة الشاهجهاني ببهوفال في الهند عام ١٣٤٤هـ.

١٩ – **الحرز المكنون من المعصوم المأمون**: طُبع في مطبعة الشاهجهان ببهوفال في الهند عام ١٢٩٠هـ.

٢٠ – **حضرات التجلِّي من نفحات التحلِّي والتخلِّي**: طُبع في مطبعة الشاهجهاني ببهوفال في الهند عام ١٢٩٧هـ.

٢١ – **الرحمة المهداة إلى من يريد زيادة العلم على أحاديث المشكاة**: طُبع ببهوفال في الهند. بدون تاريخ الطباعة.

٢٢ – **الروض البسَّام من ترجمة بلوغ المرام**: طُبع في مطبعة الفاروقي بدهلي بدون تاريخ.

٢٣ – يقظة أولي الاعتبار فيما ورد من ذكر الناس وأهل النار: طُبع في مطبعة الشاهجهاني ببهوفال في الهند عام ١٢٩٤هـ.

بالأردية:

٢٤ – **بغية القاري في ثلاثيات البخاري**: طُبع في مطبعة نَوَلْكِشْوَرْ بلكنؤ في الهند بدون تاريخ.

٢٥ – تميمة المجدي في ترجمة "الأربعين" من أحاديث النبي ﷺ: طُبع في مطبعة الشاهجهاني ببهوفال في الهند بدون تاريخ.

٢٦ – سفينة القاري في ترجمة ثلاثيات البخاري: طُبع في لاهور بدون اسم الناشر والتاريخ.

٢٧ – فضائل الحج والعمرة: طُبع في مطبعة الشاهجهاني ببهوفال في الهند بدون تاريخ.

٢٨ – كشف الكربة عن أهل الغربة: طُبع في مطبعة "مفيدِ عام" بآغْرا في الهند بدون تاريخ.

٢٩ – محو الحوبة بإيثار الاستغفار والتوبة: طُبع في مطبعة "مفيدِ عام" بآغْرا في الهند بدون تاريخ.

٣٠ – منهج الوصول إلى اصطلاح أحاديث الرسول: طُبع في مطبعة الشاهجهاني ببهوفال في الهند بدون تاريخ.

٣١ – جامع السعادات ترجمة منبهات ابن حجر: وهو مازال مخطوطاً.

٣٢ – خير القرين ترجمة أربعين: وهو مازال مخطوطاً.

بالفارسية:

٣٣ – إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدِّثين: طُبع في مطبعة النظامي بكانفور في الهند بدون تاريخ.

٣٤ – الإدراك في تخريج أحاديث الإشراك: طُبع في مطبعة النظامي بكانفور في الهند بدون تاريخ.

٣٥ – إفادة الشيوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ: طُبع في المطبع النظامي بكانفور في الهند عام ١٢٨٨هـ.

٣٦ – بلوغ السول من أقضية الرسول: طُبع في مطبعة نولكشور بلكنؤ في الهند بدون تاريخ.

٣٧ – حجج الكرامة في آثار القيامة: طُبع في مطبعة نولكشور بلكنؤ في الهند بدون تاريخ.

٣٨ – حظيرة القدس وذخيرة الأنس: طُبع في مطبعة الشاهجهاني ببهوفال في الهند بدون تاريخ.

٣٩ – سلسلة المجد في ذكر مشائخ السند: طُبع في مطبعة الشاهجهاني ببهوفال في الهند عام ١٢٩٣هـ.

٤٠ – مسك الختام في شرح بلوغ المرام: طُبع في مطبعة نولكشور بلكنؤ في الهند بدون تاريخ.

المطلب الثالث: إزالة بعض الشبهات المثارة حول مؤلَّفاته

إنَّ الكثير من الباحثين يرون أن مؤلَّفات الأمير صديق حسن خان القنوجي ليست فيها أصالة وجدّة وابتكار، وإنما هي ملخَّصة من بعض مصنَّفات السابقين، وأنه لم يزد عليها شيئاً يُذكَر.

فأقول: لا شكَّ أن السِّمة البارزة على مؤلَّفات القنوجي: التلخيصُ والتهذيب، والزيادة والترتيب، والجمع والتبويب، وهذا ما لا يُنكَر عليه، فهو بذلك مشبهٌ لأعظم المؤلِّفين في الإسلام الحافظ السيوطي، فقد عُرف عنه المنهج نفسه الذي اتَّخذه القنوجي في معظم مؤلَّفاته (كالتلخيص والتهذيب والترتيب

والزيادة والترتيب والجمع والتبويب)، وهو منهجٌ يدلُّ على استبحارٍ في العلوم، ونظرٍ في الكتب والفنون، وليس أمراً سهلاً هيِّناً كما يظنُّه بعض المنتسبين للعلم، فكان من طبيعة التأليف في القرون المتأخِّرة أن يُختصَر الكتاب، ويُنسَب من اختصره، وأن يُزاد عليه ويُنسَب إلى من جاء بالزيادة، وهو عملٌ متَّفق على مشروعيته إذ ذاك، إذ لم تكن المطبعة حينئذ في حيِّز الوجود، فكان من نفع القارئ أن يجد من اختصر له المطوَّلَ ليغني عن أصله[١].

كذلك فإنَّ الكثرة الوفيرة للإنتاج العلمي عند القنوجي، أو إكثاره من التأليف إلى جانب تولِّيه المهامَ العظيمة في الإمارة؛ موضعُ الشَّكِّ والارتياب عند الكثيرين، ولا سيما المستشرقين أمثال "إدوارد فانديك"[٢]، وبعض المؤلِّفين النصارى أمثال "لويس شيخو"[٣]؛ لأن سَيْل هذه المؤلَّفات في رأيهم لا يمكن أن يصدر عن رجل واحد، مهما بذل من الوقت ليلاً ونهاراً ما يستنفده في التحرير والتسطير، فأثاروا الشبهات حول مؤلَّفاته بالظنِّ الواهم لا باليقين الجازم أنها منتحلة، ورموه بالسرقة العلمية.

---

[١] انظر: البيومي، **النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين**، ج٤، ص١١٨، ١١٩.

[٢] وهو كرنيليوس إدوارد فنديك (١٢٣٣-١٣١٣هـ): طبيب عالم، هولندي الأصل، أميركي المولد والمنشأ، مستعرب. وُلد في قرية من أعمال نيويورك، وتعلَّم الطبَّ الصيدلية بمدرسة جفرسن (في فيلادلفيا). قدم بيروت في عنفوان شبابه وحذق العربيةَ كأدبائها. توفي في بيروت. له نحو خمسة وعشرين مصنفاً عربياً، أشهرها: "المرآة الوضية في الكرة الأرضية"، و"النقش في الحجر" في ثمانية أجزاء، و"أصول علم الهيئة"، وغيرها. انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ٢٢٣.

[٣] هو لويس شيخو اليسوعي (١٢٧٢-١٣٤٦هـ): أحد المؤلفين المكثرين، تنقَّل في بلاد أوربة والشرق، فاطلع على ما في الخزائن من كتب العرب، ونسخ واستنسخ كثيراً منها، وقد كتب في مجلته "المشرق" نحو خمس وعشرين سنة، وكان همه في كل ما كتب خدمة طائفته. توفي في بيروت. ومن أشهر كتبه: "الآداب العربية في الربع الأول من القرن العشرين". انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٥، ص٢٤٦.

ولا شكَّ أنَّ هذا افتراء واضح، وادِّعاء عريض من هؤلاء على القنوجي، للنيل منه لأغراض سياسية أيام الاستعمار البريطاني في الهند الذي كان القنوجي من المعارضين له، فحاولوا التشكيك في مؤلَّفاته، فقد كتب "إدوارد فانديك" ترجمةً للقنوجي في كتابه "اكتفاء القنوع بما هو مطبوع" بائناً منها تحامُله عليه، ثم أتبعه المؤلِّف النصراني لويس شيخو معلِّقاً على قول إدوارد في كتابه "تاريخ الآداب العربية".

يقول إدوارد في القنوجي وفي مؤلَّفاته في الكتاب المشار إليه آنفاً إن: "أصله من عوام الناس، إلا أنه توصَّل إلى ملكة بهوفال في إقليم (الدَّكَنْ) بالهند، وتزوَّج منها، وسُمِّي نائباً عنها، فعندما اغتنى بالمال؛ جمع إليه العلماء، وأرسل فابتاع الكتبَ المخطوطة من كل جهة، وجمع مكتبةً كبيرةً، وكلَّف مَن حوله مِن العلماء بالتأليف، ثم أخذ مصنَّفاتهم ونسبها لنفسه، بل كان يختار الكتبَ القديمة التي لم تكن منها سوى النسخة الواحدة، ويغيِّر العنوان، ويبدِّله باسم آخر، ويضع على الصحيفة الأولى اسمه مع ألقاب الفخر... ومع ذلك له مصنَّفات حسنة، منها تفسيره الذي سمَّاه: فتح البيان في مقاصد القرآن"[1].

وهذه بعض الشبهات والافتراءات المشهورة التي أُثيرت في القنوجي وإنتاجه، والتي أعرضها فيما يلي، ثم أحاول إزالتها:

أولاً: فقول إدوارد: "أصله من عوام الناس"، وهذا كذب واضح، بل هو من خيرة أهل بلدة "قَنُّوج"، فوالده كان من أعيانها المحترمين، ومن علمائها الأجلة، وله مؤلَّفات، ونسبُه معروفٌ ينتهي إلى آل البيت، إلا إذا كان

[1] ادوارد فنديك، **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع**، ص٤٩٧.

يقصد إدوارد بالعامية هنا فقره! فهذا أيضاً ليس بصحيحٍ، وقد عُرفت أسرته بميسور حالها وإن لم تبلغ حدَّ الثراء[1].

وثانياً: قوله: "إلاَّ أنه توصَّل إلى ملكة بهوبال في إقليم الدَّكن في الهند، وتزوَّج بها، وسُمِّي نائباً عنها". وهذا يُشعِر بأنه هو الذي بحث عن الملكة وحثَّها على الزواج به طمعاً منه فيها! وهذا كذلك كذب؛ لأن القنوجي بعد عودته من حجته الميمونة عام ١٢٨٦هـ؛ عرضت عليه الملكةُ نفسها فقبلها وتزوَّج منها، وكانت امرأةً متدينةً تحب العلماء، وتدنيهم منها.

وثالثاً: قوله: "وكلَّف من حوله من العلماء بالتأليف، ثم أخذ مصنَّفاتهم ونسبها لنفسه". وهذه فرية عظمى على القنوجي، والتي تابع فيها هذا النصرانيَّ الكثيرُ من الباحثين المسلمين والمتغرِّبين. وقد ردَّ على هذه الفريةِ العلامةُ عبد الحي الكتاني (ت١٣٨٢هـ) في كتابه "فهرس الفهارس" بعدما لَخَّص اتهاماته فقال: "...فكلام أعدائه فيه، وإلا فالتآليف تآليفه، ونَفَسُه فيها متحد"[2].

هذا هو الصواب، فأسلوب القنوجي هو الأسلوب نفسه في كل مؤلَّفاته المطبوعة والمخطوطة التي وصلتنا مقتطفات منها مبثوثةً في كتب من عاصره أو طالعه بعضاً منها، فأين لمن كلَّفهم القنوجي أن يتفقوا على أسلوب واحد، ويتكلَّفوا كل هذا التكلُّفَ لأجل نسبة هذه الكتب للقنوجي !!....

وكذلك نستطيع أن نلمس شطط ما تقدَّم في قول هذا المستشرق، فإنَّ النسخة إذا كانت واحدةً، فإما أن يكون مؤلِّفُها هندياً أو غير هندي، فإن كان

---

[1] انظر: الندوي، **الأمير سيد صديق حسن خان: حياته وآثاره**، ص٣٠، ٥٨.

[2] الكتاني، **فهرس الفهارس**، ج٢، ص١٠٥٧.

هندياً فسيذيع خبرُ هذا الغصب، ولن يسكت عليه ناقد، وإن لم يكن هندياً فمن أدرى القنوجيَّ أن النسخة الوحيدة بالهند ليس لها أصل آخر في غير الهند! فتعظُم الكارثة حين يتحدَّث الناس عن سرقة علمية لعالمٍ عظيم، وأميرٍ كبير مثل القنوجي، وإذا كان إدوارد قد جزم بأن تفسير القرآن المسمَّى "فتح البيان في مقاصد القرآن" من تأليف القنوجي، وهو تفسير مشتهر يحتل الصدارةَ بين كتب التفسير في عصره، أفيعجز مؤلِّف هذا العمل المفيد أن يكتب نظائره؟ وإذا كان قادراً على التأليف العلمي فلِمَ يُذلّ نفسه لمن دُونه في المنصب حين يَطلُب أن يؤلِّف له كتاباً!![1].

ثم إنَّ القنوجي أقبل على التأليف والتصنيف قبل زواجه مع الملكة، حين كان يشغل مناصبَ كبيرة في بهوفال، وكان يتقاضى راتباً كبيراً، وينفق منه القدر الأكبر في اقتناء الكتب واستنساخ المخطوطات.

وقد ألَّف القنوجي نحو ثلاثمئة كتاب، فهل كانت كلها غير معروفة المؤلِّف حتى يسهل انتحالها؟، وهل عجز قراء العربية والفارسية والأردية أن يكشفوا أثراً واحداً من ثلاثمئة كتاب منتحل؟، وكيف يجمع علماء الأماكن النائية على نسبة ما كتبه المؤلِّفُ إليه، ولا يوجد بينهم عالم واحد يقدِّم دليل السرقة في كتاب من ثلاثمئة كتاب! على أنَّ أصدقاء القنوجي ومجالسيه من كبار العلماء، لهم مؤلَّفاتهم، وليس بينها وبين مؤلَّفات القنوجي شبهٌ في التحرير، فهل كانوا جميعاً يُخفون أساليبهم حين يكتبون غير ما يُمهرونه بأسمائهم وكيف يتحقَّق ذلك! وأكثر مِن ذلك كيف فات كلَّ من قرأ كتب القنوجي، وترجم له، وعاصره حتى من أعدائه أن هذه ليست مؤلَّفاته!!؟"[2]. ثم يأتي هذا المستشرق ليكتشف مثل هذا الزعم الباطل!

---

[1] انظر: البيومي، **النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين**، ج٤، ص١٢٠-١٢١.

[2] انظر مجلة "الرابطة" الشهرية، ص٤٠.

ثم شاء الله أن يفضح جهل هذا المستشرق بما يصح مما لا يصح من مؤلَّفات للمؤلِّفين أو ما تُكُلِّم فيه بين مثبتٍ ونافٍ فقال: "وللقنوجي أيضاً (نيل المرام من تفصيل آيات الأحكام) طبُع في لكنؤ عام ١٢٩٢هـ"[١]، ذلك أن هذا الكتاب قد نسبه إلى ابنه أبي الخير نور الحسن كثيرٌ من أهل العلم والدراية بالكتب، في حينٍ يجزم هذا المستشرق بصحة نسبته إليه دون ذكر لهذا الخلاف!!

ثم أتبع المؤلِّفُ النصراني لويس شيخو افتراءَ الأول، وعلَّق عليه في كتابه "تاريخ الآداب العربية" قائلاً: "زعم البعض أنها ليست له، وإنما كلَّف العلماءَ بتصنيفها فعزاها لنفسه كـ (فتح البيان في مقاصد القرآن)، وكتاب (العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة)، و(البُلغة إلى أصول اللغة)، و(العلم الخفاق من علم الاشتقاق)، و(لَفّ القِماط على تصحيح بعض ما استلمته العامة من المعرب والدخيل والمولد والأغلاط)، وكتاب (أبجد العلوم)"[٢].

وهذا المؤلِّفُ النصراني أراد بذلك أن يَرُدَّ على المستشرق إدوارد فانديك، ويصحِّح له معلوماته إذا به يزيد الطين بلةً؛ وذلك أنه نسب إلى إدوارد أشياءاً لم يدَّعها، ولم يبيِّن موقفه من أشياء ادّعاها! إذ أن إدوارد لم يزعم أن كتاب" فتح البيان" ليس من مؤلَّفات القنوجي؛ بل على العكس من ذلك قال في آخر ترجمته: "ومع ذلك له مصنَّفات حسنة، منها تفسيره الذي سمَّاه: فتح البيان في مقاصد القرآن".

فهده بضاعة المستشرقين في العلم والتحقيق، جهلٌ مركَّبٌ، و تعالُمٌ منكبٌّ.

ومن نافلة القول: إنَّ الإكثار من التصنيف والتأليف، لم يكن صفةً ريادية

---

[١] ادوارد فنديك، **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع**، ص٤٩٧.

[٢] لويس شيخو، **تاريخ الآداب العربية**، ج١، ص١٢٢.

للقنوجي وحده في بلاد الهند، بل الكثير من أبنائها قد ألَّف كتباً ذات عدد كبير، ولم يشكّ أحد في نسبتها إليهم، فعلى سبيل المثال: الإمام عبد الحي اللكنوي[1]، الذي عاصر القنوجيَّ، فإنه رُزق عمراً أقلَّ بكثير من عمره، حيث عاش فقط (٣٩) عاماً، مع ذلك زادت مؤلَّفاته على مئة وعشرة كتب، ما بين كتابٍ في عدة مجلَّدات كبار ورسالةٍ في صفحات، وكلّها في المباحث المفيدة والمشكلات العصيبة. وكذلك عالم آخر من علماء هذه البلاد: الشيخ أشرف على التَّهَانَوِي[2]، فقد زادت تآليفه على ألف مؤلَّف ما بين صغير وكبير، وهكذا غيرهما الكثيرون من علماء هذه البلاد، الذين عُرفوا بإكثارهم من التأليف، وبإنتاجهم الضخم، ولم يشكّ في ذلك أحدٌ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

الخاتمة:

وهذه بعض أبرز ملامح لشخصية الأمير صديق حسن خان القنوجي الذاتية والعلمية، والتي حاولتُ من خلالها إلقاء الضوء على جهوده المخلصة في خدمة الحديث البنوي من نواح مختلفة، والتي قام بها – رحمه الله تعالى – وهو على منصب الإمارة المهمة التي نادراً ما تدع صاحبَها ليشغل عنها بالتفرغ لعمل علمي آخر، إلا من اصطفاه الله بخدمة دينه، وجمعه بين مهامتين العلمية والعلمية، ورزقه بعلو الهمة، وبارك في وقته وعمره.

---

[1] قد سبقت ترجمته في المطلب الثاني.

[2] هو أشرف علي بن عبد لحق بن الحافظ فيض علي التهانوي الملقَّب بـ"حكيم الأمة" (١٢٨٠–١٣٦٢هـ): العالم الجليل، العلامة المربي، المؤلف المكثر، وُلد بقرية "تمانه بهون" قرب بلدة "ديوبند" تلقَّى العلم في "دارالعلوم ديوبند". ثم تفرَّغ للتدريس والإفادة والوعظ والإرشاد. فقد أودع الله تعالى فيه قدرةً فائقة، وكفاءةً كبيرة في البحث والتحقيق، وملكةً عالية في الكتابة والتأليف، فقد قام بتاليف كتب قيمة نافعة تتسم بالأصالة في البحث والتحقيق، والعمق في النظر والتدقيق. انظر: عبد الحي الحسني، **نزهة الخواطر**، ج٨، ص١١٨٧، البخاري، **أكابر علماء ديوبند**، ص٦٠.

ففي الحقيقة أن البحث عن جهود القنوجي في هذا المجال تحتاج إلى دراسة مستقلة لتفي حقَّها، وهي - في حدود علمي الضعيف - لم تُتناوَل حتى الآن، فيا حبّذا لو قام بها أحد الباحثين في مجال الحديث النبوي، عسى أن تقع هذه المناشدة موقع القبول والإجابة.

وصلَّى الله وسلَّم، وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

مصادر البحث ومراجعه:

بالعربية:

١) آل بسَّام، عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح. (١٤١٩هـ). **علماء نجد خلال ثمانية قرون**. ط٢. الرياض: دار العاصمة.

٢) آل الشيخ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف. (١٣٩٤هـ). **مشاهير علماء نجد وغيرهم**. ط٢. الرياض: اليمامة.

٣) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**. ٢. بيروت: دار الكتب العلمية.

٤) ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الدمشقي. (١٤٠٦هـ). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. تحقيق: محمود الأرناؤوط. ط١. بيروت: دار ابن كثير.

٥) الأحمد، علي بن أحمد. (١٤٢٤هـ). **دعوة الأمير العالم صديق حسن خان رحمه الله واحتسابه**. ط١. الرياض: مكتبة الرشد ناشرون.

٦) ادوارد فنديك. (١٣١٣هـ/١٨٩٦م). **اكتفاء القنوع بما هو مطبوع**. ط١. القاهرة: مطبعة الهلال.

٧) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي. (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م). **الجامع الصحيح المسند من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**. تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا. ط٥. بيروت: دار الكتب العلمية.

٨) البيطار، عبد الرزاق. (١٤١٣هـ). **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**. تحقيق: الشيخ محمد بهجة البيطار. ط٢. بيروت: دار صادر.

٩) البيومي، محمد رجب. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). **النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين**. ط٢. دمشق: دارالقلم.

١٠) جريدة "المصري اليوم" (الصادرة عن مؤسسة المصري اليوم للصحافة والنشر بالقاهرة. العدد١٩٠٨. تاريخ ٣ سبتمبر ٢٠٠٩م). ص٢.

11) الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي. (١٣٣٣هـ/١٩١٥م). **تذكرة الحفاظ**. ط١. حيدرآباد: دار المعارف النظامية.

12) الزركلي، خير الدين الزركلي. (١٩٩٧م). **الأعلام**. ط١٢. بيروت: دار العلم للملايين.

13) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد اليماني. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. تحقيق: محمد حسن حلاق. ط٢. دمشق: دار ابن كثير.

14) عبد الحي الحسني بن فخر الدين الحسني. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**. ط١. بيروت: دار ابن حزم. ط١.

15) عبد الحي الحسني بن فخر الدين الحسني. (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م). **الهند في العهد الإسلامي**. ط١. رائ بريلي: مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد.

16) الغوري، سيد عبد الماجد. (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م). **أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب**. ط٣. دمشق: دار ابن كثير.

17) الغوري، سيد عبد الماجد. (١٤٣١هـ/٢٠١٠م). **مصادر الحديث ومراجعه دراسة وتعريف**. ط١. دمشق: دار ابن كثير.

18) الفريوائي، عبد الجبار بن عبد الرحمن. (١٤١٣هـ/١٩٩٢م). **جهود أهل الحديث في خدمة القرآن الكريم**. ط٢. بنارس: إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية.

19) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م). **أبجد العلوم**. ط١. بيروت: دار ابن حزم.

20) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٤٠٤هـ). **التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول**. ط٢. بيروت: دار إقرأ.

21) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م). **حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة**. تحقيق مصطفى سعيد الخن ومحيي الدين مستو. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

22) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٤٠٨هـ). **الحطة في ذكر الصحاح الستة**. تحقيق: الأستاذ علي حسن الحلبي. ط١. بيروت: دار الجيل.

23) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). **السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج**. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

24) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٤٣١هـ/٢٠١٠م). **عون الباري بحل أدلة البخاري**. ط٢. دمشق: دار النوادر.

25) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٣٠١هـ). **نزل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار**". ط١. قسطنطينة: مطبع الجوائب.

٢٦) الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير. (١٤٠٢هـ). **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**. ط٢. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

٢٧) الكتاني، محمد بن جعفر. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م). **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**. ط٧. بيروت: دار البشائر الإسلامية.

٢٨) كحالة، عمر رضا. (١٤١٤هـ/١٩٩٣م). **معجم المؤلفين**. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٩) لويس شيخو. (١٩٧٤م). **تاريخ الآداب العربية**. (ط١). بيروت: دار الثقافة.

٣٠) محمد خير رمضان يوسف. (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م). **تتمة الأعلام للزركلي**. ط٢. بيروت: دار ابن حزم.

٣١) محمد أبو زهرة. (١٩٩٦م). **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**. ط١. القاهرة: دار الفكر العربي.

٣٢) المرعشلي، يوسف. (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م). **نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر**. ط١. بيروت: دار المعرفة.

٣٣) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). **المسند المختصر من السنن بنقل العدل عن رسول الله ﷺ**. ط١. الرياض: دار السلام.

٣٤) المقدسي، عبد الله بن محمد بن أحمد بن البناء البشاري. (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م). **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**. تحقيق: محمد مخزوم. ط٢. كراتشي: الجامعة العربية أحسن العلوم.

٣٥) الندوي، أبو الحسن علي الحسني. (١٤١٠هـ). **شخصيات وكتب**. ط١. دمشق: دار القلم.

٣٦) الندوي، محمد اجتباء. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). **الأمير سيد صديق حسن خان حياته وآثاره**. ط١. دمشق: دار ابن كثير.

٣٧) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحوراني. (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). **الأربعون النووية**. بشرح ابن دقيق العيد. ط٢. بيروت: دار ابن حزم.

٣٨) القنوجي، الأمير حسن علي خان. (١٩٤٢م). **مآثر صديقي**. ط١. لكنؤ: مطبع نولكشور.

٣٩) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٣٠٥هـ). **إبقاء المنن بإلقاء المحن**. ط١. بوفال: مطابع شاهجهاني.

٤٠) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٢٨٨هـ). **إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدِّثين**. ط١. كانفور: مطبع النظامي.

٤١) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٢٨٨هـ). **إفادة الشيوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ**. ط١. كانفور: المطبع النظامي.

٤٢) القنوجي، صديق حسن خان البخاري. (١٢٨٩هـ). **فتح المغيث بفقه الحديث**. ط١. بهوفال: مطبعة الشاهجاني.

٤٣) النوشهري، أبو يحي إمام خان. (١٣٥٦هـ). **تراجم علماء أهل حديث**. ط١. دهلي: برقي بريس.



HADIS

Jurnal Ilmiah Berimpak

(Edisi Pertengahan Tahun)

Artikel-Artikel Berorientasikan Kajian dan Penyelidikan Dalam Bidang Hadis

Diterbitkan Oleh

Institut Kajian Hadis (INHAD)

Kolej Universiti Islam Antarabangsa Selangor (KUIS)

Tahun Kedua, Bil: 3, Syaaban 1433h, (Julai 2012)

Bilangan ini





INSTITUT KAJIAN HADIS